في حكم المستحيل

محمد عبدالسلام

في حكم المستحيل

محمد عبدالسلام

تصميم الغلاف : عبير محمد

تدقيق لغوي: عبدالله أبو الوفا

رقم ايداع:

ترقيم دولي:

دار فصلة للنشر والتوزيع

العزيزيه - منيا القمح - مصر

٠١٠٦٧٠٠٠٧٠١

fasla.pub@gmail.com

FB .Com/Fasla .Pub

جميع حقوق الطبع و النشر محفوظه

الطبعه الاولي يناير ٢٠١٨

جميع حقوق النشر محفوظه لدار فصلة للنشر و التوزيع
إن أي تصوير أو اعادة طباعه أو نشر بشكل ورقي أو الكتروني أو ترجمته أو تسجيله صوتيا بدون إذن كتابي مسبق من الدار يعرض صاحبه للمسائله القانونيه

في حكم المستحيل

محمد عبدالسلام

فصلة
للنشر والتوزيع
Fasla Publishing & Distribution

من لا يحمل في قلبه

ولو قليل من الرومانسية

فقد فاته الكثير.

إهداء

اعتادت عيناي رؤية مثل تلك الصفحة بمقدمة معظم الكتب والروايات، فكان لا بد أن أحذو حذوهم خشية تفويت ما قد يكون هامًا، فيؤثر ذلك على تقييم الرواية.

ظللت أبحث عمن أهديه تلك الرواية، واعتصرت ذهني لأتذكر شخصًا ساعدني أو شجعني على الكتابة فلم أجد.

اعتصرته أكثر حتى تذكرت صديقًا قرأ لي ثم اتهمني أن تلك الكتابة ليست لي، ولكني اعتبرت ذلك رأيًا إيجابيًا تسريةً عن نفسي، فلولا أنه قد استحسنها لما قال ذلك، ولكن على الرغم من ذلك لن أهديها إليه.

حتى أهلي لا يعلمون وسيظنون أنها مجرد تشابه أسماء حين يجدون اسمي على الغلاف، ولهذا أصررت على الاسم الثلاثي.

خطر ببالي أن أتزوج وأنجب أطفالًا قبل إصدار الرواية حتى يتسنى لي إهداء تلك الرواية إلى زوجتي وأولادي، ولكن الوقت لم يسعفني ولو للزواج فقط.

أخيرًا، قررت أن أهديها إلى كل هؤلاء.

وإليكم.

المؤلف

مقدمة

حين يتبع الحب فراقًا لأسباب خارجة عن إرادتنا تجعل منه عذابًا، نستطيع أن نتفهم ذلك، ويكفينا ما أحدثته فينا والذكريات التي تركها لنا.
وحين يتبعه خلافات تجعل منه عذابًا، نستطيع أن نتفهم ذلك أيضًا، بل ونعزي أنفسنا بما نهلنا منه سابقًا.
ولكن أن يطرق الحب والعذاب بابك في آن واحد، تلك هي المأساة الحقيقية.
فلا ذكريات تسريك ولا سابق نهل يعزيك.

الفصل الأول

أنهى أمير عمله في ذلك اليوم واتجه مسرعًا إلى خارج تلك الشركة التي يعمل بها كمحاسب، متجاهلًا نظرات زملائه التي تبعته، والتي تمتلئ بمزيج من الدهشة والتساؤل، بل هو في حقيقة الأمر لم يشعر بها أصلًا، وقد بدا وكأن ذهنه مشغول بالتفكير في أمر جلل.

لم يبال أيضًا بنداء أحد زملائه وهو يقطع الممر الأخير المؤدي إلى خارج الشركة، ثم يقوم بعبور بوابتها قبل أن يستقل سيارته متجهًا إلى منزله.

لم يكن بالمنزل ما يوحي بوجود أمر يستدعي خطواته السريعة وتلك اللهفة التي كست ملامحه، وهو يدلف إلى المنزل ومن ثم إلى غرفته التي أغلق بابها خلفه، قبل أن يتجه نحو مكتب خشبي صغير يستقر بأحد أركان الغرفة، ويسحب كرسيًا موضوعًا أمامه ليجلس عليه ثم يقوم بتشغيل حاسوبه الشخصي الموضوع فوق ذلك المكتب.

أخذ ينقر بأصابعه على سطح ذلك المكتب وهو ينتظر ظهور صفحة البدء، قبل أن يقوم بفتح أحد مواقع التواصل الاجتماعي على شبكة الإنترنت، ثم ينقر على رابط إحدى الصفحات المشترك بها لينتقل إليها على الفور.

قام بتشغيل أول فيديو يقابله بأعلى تلك الصفحة وهو يلقي نظرة سريعة على تاريخ إدراجه، والذي لم يكن قد مر عليه سوى سويعات قليلة.

ظهر بالفيديو فتاة محجبة بيضاء نحيلة بأواخر العشرينات من عمرها تقريبًا، قامت بتحية المشاهدين وتقديم نفسها بـديما، ومن ثم أخذت تتلو المادة التي قامت بتحضيرها، والذي لم يكن مطلقًا بالأهمية التي تفسر ذلك التلهف والاهتمام الشديد الذي أبداهما أمير منذ نهاية عمله وحتى تلك اللحظة، فقد كانت تتحدث لمدة لا تتجاوز الخمس دقائق عن أحد التماثيل الفرعونية المغمورة والموضوعة داخل أحد المتاحف وتحكي لمحات من حياة صاحبها.

على عكس المنطقي كان أمير يصب كل تركيزه على ذلك الفيديو، وبدا وكأنه لم

يعد يشعر بما حوله وحواسه كلها منصبه على الفيديو، والذي أخذ يعيده مرارًا وتكرارًا بعد انتهائه.
الشيء الأعجب من كل ذلك هي نظراته التي تحمل كثير من الشغف والوله، وهو الذي لم يكن قط مهتمًا بالآثار أو التاريخ من قبل، لذا بدا جليًا للناظر أن الأمر ليس مجرد اهتمام بمحتوى الفيديو بل هو أكثر من ذلك بكثير.
في حقيقة الأمر لم يكن محتوى الفيديو هو السر وراء كل هذا، بل كانت الفتاة نفسها، والتي وقع في عشقها منذ اللحظة الأولى التي رآها فيها.
قد يكون الأمر غريبًا أو عجيبًا ولكن هذا ما حدث، فقد أسرته الفتاة بكل مفردات شخصيتها، بداية من الرقة التي تقطرها شفتاها الصغيرتان، خلال حديثها الهادئ المحمل بنبرات عذبة لم يسمع مثلها قبلًا وأحبها كثير، ونهاية باختيارها للكلمات والعبارات وطريقة رؤيتها للأشياء، فهي تنظر للأمور دائمًا من زاوية خاصة تنم عن شخصية رومانسية حالمة، ومرورًا بذلك الجمال الذي حباها الله به، فهي تمتلك قوامًا رشيقًا نحيفًا، وبشرة بيضاء فاتحة، مع وجه مستدير تنتشر عليه نقاط من النمش ذي اللون البني الفاتح، والتي تتكاثف عند الوجنتين وتقل عند الجبين والذقن، بالإضافة إلى عينين عسليتين تكونان مع أنفها الصغير وجهًا ذا ملامح طفولية بريئة، يذوب في عشقها كل من يراها.
كانت ترتدي حجابًا للرأس دومًا، لذلك لم يستطع تحديد لون وشكل الشعر، ولكن يبدو من لون حاجبيها أنها تتمتع بشعر كستنائي يميل بدرجة بسيطة إلى الاحمرار.
انتهى الفيديو فأعاد أمير تشغيله لعدة مرات، وهو يتمنى في كل مرة أن يمتد الفيديو لساعات وساعات.
انتهى من تشغيل الفيديو للمرة العاشرة قبل أن يعود بظهره إلى الوراء، وهو يلتقط نفسًا عميقًا ثم يزفر كل ما استنشقه دفعة واحدة، ومال بعدها برأسه إلى الخلف أيضًا، وبدأ في الاسترسال بذهنه حكايته مع تلك الفيديوهات والفتاة التي تقدمها.
بدأ الأمر معه عندما كان يتصفح صفحته الشخصية بهذا الموقع ذات مرة،

وصادفه فيديو ذا مشاهدات تتعدى النصف مليون بقليل، فدفعه الفضول لرؤية محتواها رغم أن عنوان الفيديو لم يكن بالشيء الذي يلفت انتباهه، وكذلك المحتوى الذي لم يكن بالقدر الذي يتوقع معه كل تلك المشاهدات.

أدرك على الفور سبب ذلك بعد تشغيل الفيديو، فقد أبصر تلك الفتاة ذات الوجه الملائكي والتي تملك سحرًا أخاذًا جاذبًا، ليس لجمال منقطع النظير أو ما خلافه، بل سحر من نوع آخر لم يدرك كنهه في بادئ الأمر، ولم يمنعه ذلك من أن ينجذب إليها بلا شك رويدًا رويدًا، ثم بدأ يدرك السر الذي جذبه إليها، ومع الوقت جعل قلبه يختلج كلما رآها، فبالإضافة إلى جمال صورتها استشف من حديثها أنها تمتلك صفات أحبها دومًا وتمناها في فتاة أحلامه، كالطيبة والطباع اللينة الهادئة والثقافة والوعي والذكاء، والأهم من هذا كله الرقة والتي يجب أن يوضع تحتها مائة خط.

رغم أن معظم تلك الصفات لا تظهر وقد لا تكون فيها، إلا أنه استنتجها ـ أو توقعها إن أردنا الدقة ـ ليس لأن من يحب شخصًا يتصور أنه يمتلك كل الصفات المستحسنة كعادتنا، ولكن لأنه قرأ كثيرًا في علم النفس وتنامت لديه القدرة في تحليل الشخصيات إلى حد كبير.

من ضمن قراءاته أن كل مجموعة من الصفات لا بد وأن تكون متلازمة، وبهذا إن وجد أحد تلك الصفات في شخص فمن الضروري وجود البقية ـ أو معظمها على الأقل ـ أي أنك تستطيع أن تعرف وجود عدة صفات يقينًا عند رؤية صفة واحدة، فعلى سبيل المثال الشخص الهادئ الطباع لا بد وأن يكون مسالمًا مضحيًا لا يميل إلى الشجار والجدال، ما يدفعه لأن يكون إيجابيًا في نظرته للأمور، وفي أغلب الأحيان يكون مرهف الحس ورومانسيًا حالمًا.

والشخص الكريم بماله لا بد وأن يكون كريمًا بمشاعره، فتراه حليمًا متسامحًا متعاونًا يفكر في الأخرين ويراعي مشاعرهم والعكس صحيح.

وكذلك الشخص الذكي لا بد وأن يمتلك سرعة بديهة وحضور ذهن وذاكرة قوية في الغالب.

والشخص الذي يمتلك قوة في شخصيته لا بد وأن يكون واثقًا من نفسه ذا

شخصية قيادية، وقد يكون متسلطًا أنانيًا محبًا للظهور والكلام.
أخيرًا وليس أخرًا الشخص العصبي سريع الغضب، يكون سلبيًا في نظرته للأمور سيء الظن يعتقد دومًا سوء النية عند الآخرين وهكذا.
تذكر سخرية أحد زملائه منه بسبب سرده لتلك الصفات التي توقعها في ديما، وإخباره أنها أوهام الحب، فمن يحب شخصًا يعتقد أن فيه كل الصفات التي يحبها، وقد يكون اعتقاده صحيحًا وقد لا يكون، بالإضافة لسخريته أيضًا من الأمر ككل لغرابته، ورغم هذا لم يثنه ذلك عن موقفه بل زاد من إصراره على أن ينعم بذلك الحب حتى وإن كان من طرف واحد، فهو قد اعتاد ذلك وليس لديه مانع في أن يستمتع بالشعور بالحب فحسب، دون أن ينتظر مبادلة الطرف الآخر نفس ذلك الحب.
أفاق من استرساله وأخذ ينقر على أزرار الحاسوب عدة نقرات متتالية؛ ليدون تعليقًا على الفيديو بعبارات رقيقة، ثم يعيد قراءة تلك العبارات ويظل بصره معلقًا بها لبرهة، قبل أن يقرر عمل بعض التعديلات عليها، وفي كل مرة يعيد قراءتها ثم يقرر التعديل، وما أن استقر أخيرًا على التعديل الذي رآه مناسبًا حتى ابتسم ابتسامة عريضة تنم عن رضا شديد بما فعل.
لم يكن يعلم أن ديما كانت تقرأ عبارته في تلك اللحظة على هاتفها الخلوي، ومن ثم أطلقت ضحكة إعجاب خافتة لفتت انتباه أختها الصغرى، والتي تجلس بنفس غرفة المعيشة منشغلة بمتابعة برامج التلفاز، فنظرت إليها في خلسة قبل أن يدفعها الفضول لكي تسألها:
- أقدر أعرف سر البهجة دي إيه؟
أنكرت ديما وهي تبتلع ضحكتها قائلة:
- لا أبدًا، مافيش.
تطلعت إليها شقيقتها بنظرات متشككة ثم قالت في خبث واضح:
- والله؟ ما تضحكينا معاكي طيب.
أجابت في اقتضاب:
- في تعليق كدة عجبني مش أكتر.

- بيضحك يعني؟
- لا.
- أمال؟
- مش بضحك لإنه كوميدي، بضحك لإنه حلو.

***

في اليوم التالي وبينما كان أمير يجلس على مكتبه منهمكًا في عمله، في تلك القاعة التي تحوي عشرات المكاتب والتي تمثل قسم الحسابات بالشركة الكبرى التي يعمل بها، أتاه زميله كريم وتردد قليلًا قبل أن يتحدث إليه حال وقوفه قائلًا:
- بقولك يا أمير.
لم يبدُ على أمير وكأنه قد سمعه، فقد بدا شارد الفكر وكأن شيئًا هامًا يشغل باله؛ ما دفع كريم لأن يعلق قائلًا:
- إيه يا عم مالك؟
استفاق أمير من شروده وتمتم متسائلًا:
- في حاجة؟
سخر كريم قائلًا:
- إوعي تكون سارح في البت إياها؟
لم يعلق أمير وأشاح بوجهه وكأنما يؤكد ظنون كريم، قبل أن يعود ليوجه بصره إليه ويقول في جدية:
- بجد لو قلت عليها بت تاني هتزعل مني.
قهقه كريم ضاحكًا في استهزاء وقال بنفس السخرية:
- هي حصلت كمان، دة أنت شوية بقى وتبدأ تغير عليها، فوق يابا.
فاجأه أمير بقوله:
- طب ما أنا فعلا بغير عليها من تعليقات الولاد على صفحتها.
ثم بدا غاضبًا وهو يقول في حنق:
- دة كله سايب مضمون الفيديو وشغال يعاكس ويمدح فيها، شباب ملزق.
انفجر كريم في تلك اللحظة من الضحك، ما دفع أمير لأن يتجهم وجهه ثم يقول

في صرامة غير مبالٍ بسخريته:
- طب أنت كنت عايز إيه دلوقتي؟
تحدث كريم قائلًا:
- في عندي شوية شغل ولازم أخلصهم النهاردة ومالقيتش حد غيرك يساعدني فيهم، كالعادة يعني.
هتف أمير مستنكرًا:
- أنت هتمثل؟ مالقيتش حد إيه، هو أنت بتدور ولا بتسأل، أنت بتجيلي على طول.
- عشان بحبك والله.
قالها كريم ثم داعب ذقن أمير وهو يستطرد:
- بحب أنا أهل النوبة السمر الجمال والله، على رأي حسين الجسمي.
كانت إشارة منه إلى لون بشرة أمير السمراء، والذي ينتمي إلى أسرة نوبية نزحت إلى القاهرة كغالبية سكانها طلبًا للرزق.
تهكم أمير قائلًا:
- بتحبني ولا مستطيبني؟
أجاب كريم:
- بصراحة، بستقرب، أنت في المكتب اللي جنبي هروح للبعيد ليه؟
أشار له أمير بيده قائلًا:
- طب هات الشغل.
ناوله كريم بضع وريقات قائلًا:
- دخل لي البيانات دي في برنامج المحاسبة باليوزر بتاعي، كريم محمد عفيفي، والباسورد زيه وإبقى سيفه، والورقة الأخيرة اكتبها لي ع الوورد واطبعها لي، شوفت حاجة بسيطة خالص.
هتف أمير:
- المشكلة مش في إنه كتير، المشكلة إنه كل يوم، وزعهم علينا ولا خليهم يشغلوا لك حد.

قالها ثم التمعت عيناه وكأنما توصل لفكرة ما وتابع:
- بص إدي الورقة الاخيرة دي لسما، هي سريعة في الكتابة على الكيبورد.
أنهى عبارته ثم قام بسحب ورقة من بين الأوراق التي أعطاها له كريم، وأعادها إليه مستطردًا وهو يغمز بعينه في خبث:
- وأهي تبقى حجة برضه عشان تلاغيها، وتفتح معاها أي كلام.
بدا كريم مرتبكًا بعض الشيء وهو يلتفت خلسة، ليلقي نظرة على المكتب الذي تجلس عليه زميلة لهم في مقتبل العمر توليهم ظهرها، ومنهمكة في الحديث مع زميلة أخرى.
أخذ يدرس الأمر في رأسه قبل أن يعتدل ويتمتم في ارتباك:
- طب ما، ما تقولها أنت، دي مش بترفض لك طلب، ولما تخلص الورقة وترجعها لي هبقى ألاغيها.
هز أمير رأسه في استسلام قائلًا:
- أوكي، براحتك.
أنهى عبارته ثم نهض متجهًا نحو مكتب سما، وتفاجأ بكريم يتبعه فالتفت إليه والدهشة والاستنكار تعلوان وجهه، فأسرع كريم يقول:
- أنا هاجي معاك، بس أنت اللي هتتكلم.
اعتدل أمير وسار ومن خلفه كريم، وما أن وصلا حيث مكتب سما حتى وجدوها لا تزال تتحدث مع تلك الزميلة، وعلامات الجدية والاهتمام ترتسم على ملامحهما، لتعبر عن مدى أهمية فحوى ذلك الحديث.
لم يجرؤ أحدهما على مقاطعتها بل قام أمير بوضع الورقة على المكتب، ثم شارك كريم وزميلتهم الجلوس والاستماع إلى سما، التي لم تتوقف عند قدومهما بل تابعت حديثها قائلة:
- بعد ما أصرت على الطلاق راح مطلقها يا سيتي، وقال ليه وليه بقى تطلبي مني الطلاق، دة أنا كل الستات يتمنوني، هو يعني شايف نفسه حاجة كبيرة وهي أقل منه، فإزاي تعمل كده فاستحلف لها، وبدل ما هي اللي تجرجره في المحاكم في النفقة وكدة، هو اللي جرجرها ببلاغات كيدية إنها قال إيه ضربته

thedevilinside

ويجيب شهود صحابه وناس شغالين معاه ودخلها السجن، تخيلي، وبعد ما خرجت قامت رفعت قضية نفقة فاتحكم لها بتلتميت جنيه، لإنه طبعًا كان باع كل أملاكه بعقود صورية، حتى الشقة كتبها باسم أبوه عشان يخرجهم منها، قالت له طب ماتدينيش فلوس في إيدي لو خايف إني أشتري بيها حاجة لنفسي، إدفع مصاريف المدارس لأنها مش هتقدر تدفع تلاتين ألف لكل عيل، مارضيش برضه، قالت له إنتقم مني براحتك ماعنديش مشكلة، بس أنت كدة بتنتقم من العيال، أصر على العناد، قاموا فصلوا العيال من المدرسة عشان مادفعوش المصاريف، فراحت عشان تسحب ملفاتهم وتوديهم مدارس حكومية مارضيوش يدولها الملفات عشان يضمنوا حقوقهم والفلوس اللي ليهم، فالعيال قعدو في البيت لا منهم كملوا ولا منهم دخلوا مدرسة حكومة، العيال بقو يا عيني يناموا بشنط المدرسة عشان نفسهم يروحوا، وصلت بعيل من العيال إنه يقولها إمتي بابا يموت عشان نورثه وندفع المصاريف ونروح المدرسة، تخيلي وصلت لإيه.
كانت تتحدث بتأثر شديد وانتقل ذلك التأثر إليهم تلقائيًا، لدرجة جعلت زميلتهم تذرف دموعًا حارة، أما أمير فقد أمسك بالورقة مرة أخرى وهو يهمس لكريم قائلًا:
- أعتقد زي ما أنت شايف الوضع مايسمحش، أنا هخلص لك الأوراق كلها بنفسي، حتى لو اضطريت أروح متأخر.
ثم التفت إلى سما وقال بتأثر بالغ:
- إنتي تعرفي الست اللي حصل معاها كدة؟
ضمت سما حاجبيها في دهشة وقالت:
- أكيد أعرفها، ليه؟
- عايزك تعرفيني عليها، وهحاول أساعدها.
- إزاي يعني؟
- دي حاجة بيني وبين ربنا، وصليني ليها بس.
- ما ينفعش.
- ما ينفعش ليه، إنتي مش بتقولي تعرفيها؟

- أعرفها زي ماكل الناس يعرفوها، لكن مش معرفة شخصية.
- إزاي؟
- دي ممثلة معروفة.
قطب أمير جبينه ثم تساءل قائلًا:
- طالما ممثلة معروفة، مش قادرة تصرف على عيالها إزاي؟
همت سما بأن تجيبه إلا أن كريم تدخل قائلًا:
- يمكن اعتزلت واتحجبت.
هز أمير رأسه تفهمًا ثم أراد التأكد من استنتاج كريم فسأل سما:
- هي معتزلة فعلا؟
هتفت سما:
- لأ يا بني.
بدت على وجهه علامات الحيرة، ومكث لحظات يدير الأمر في رأسه قبل أن يهتف:
- إوعي يكون دة فيلم هندي من بتوعك بتحكيهولها.
هزت سما رأسها نفيًا وقالت:
- لأ، دة مسلسل، حلقة إمبارح فاتتها فأنا بحكيهولها.
تطلع إليها بعينين يتطاير منهما الشرر، وصاح في حنق شديد قائلًا:
- أه يا جزمة، دة أنا الدمعة كانت قربت تفر من عينيا.
صمت برهة قبل أن يضيف:
- دة أنا كنت عايز ألملها، يخرب بيتك على بيت الأفلام والمسلسلات اللي كلو مخك.
دافعت سما عن نفسها قائلة:
- مش ذنبي، إنتوا اللي جيتوا في النص.
قام أمير بإلقاء الورقة التي يحملها على مكتبها في قوة من أثر الغيظ الذي تملكه، ثم استمر في الصياح وهو يرفع أصبعه في وجهها متوعدًا إياها ويقول:
- الشغل دة يخلص في خلال ساعة وإلا وشرفي لأعلقك هناك على باب قسم

الحسابات دة عشان تبقي عبرة، وهجيبلك بعدها شغل تاني تعمليه برضه.
لم ينتظر ردًا منها بل التفت بعدها عائدًا إلى مكتبه ولا يزال الغضب يتملكه، وعاد كريم بدوره إلى مكتبه والذي يجاور مكتب أمير، ولا يفصل بينهما سوى جدار خشبي طوله يتجاوز المتر بعدة سنتيمترات قليلة ما يسمح برؤية كل منهما للآخر، قبل أن ينهمك كل منهما في عمله الذي كان يؤديه.

***

وقفت ديما في صمت وترقب داخل غرفة مدير شركة السياحة التي تعمل بها، والذي طلب رؤيتها على غير المعتاد ما يدل على وجود أمر هام، وكان منكبًا على مطالعة بعض الملفات ما دفعها للفت انتباهه إليها قائلة في خفوت:
- السكرتيرة قالت لي إن حضرتك عايز تقابلني.
رفع إليها المدير رأسه ثم قام بوضع الملفات جانبًا، وتطلع إليها قليلًا قبل أن يرسم بملامحه علامات الأسف الشديد وهو يخلع نظارته الطبية ويضعها على مكتبه.
تردد قليلًا قبل أن يقول في تردد بدا ملحوظًا:
- آآآ، إنتي طبعًا يا ديما عارفة إني بعتبرك من أحسن الموظفين اللي موجودين في الشركة، شهادة حق يعني مش بطيب خاطرك.
لم تدر لم أصابها القلق من مديحه، ربما لعدم اعتيادها ذلك أو لتردده المصاحب له، فلم تستطع قول شيء واكتفت بهز رأسها في امتنان قبل أن يتابع هو:
- وزي ما انتي شايفة قطاع السياحة دلوقتي ما بقاش زي الأول، وكل يوم بيسوء أكتر من اللي قبله، لذلك بيؤسفني إني أقولك إننا الفترة الجاية هنعمل كوست ريداكشن في الشركة عندنا، واتفقنا في مجلس الإدارة على كذا بند، من بينهم إننا هنقلص عدد الموظفين وهنمشي حوالي تلت الموظفين.
هبطت العبارة عليها كالصاعقة وقد أدركت من السياق أنها ستكون من بين هؤلاء المفصولين دون شك، وإلا لما كانت تقف هنا الآن، ولم يمنعها ذلك من أن تتساءل في توجس:
- واختارتوهم على أساس إيه؟

أجاب:
- اللي عقودهم قربت طبعًا إلا لو في حد إكسيبشن، عبقري يعني وما حصلش فهنسيبه.
بدا على ملامحها وصوتها الحزن وهي تقول:
- وأنا طبعًا مش حد عبقري وعقدي فاضل عليه شهرين، فأكيد أنا من الناس اللي هيمشوا.
قام بخفض بصره عنها ليتحاشى النظر إليها، وهو يهز رأسه في إيجاب وقد بدا عليه الأسف الشديد، ثم صمت برهة بعدها، قبل أن يتابع كلامه وهو يرفع بصره إليها قائلًا:
- حاولت إني أخليكي تكملي بس ماعرفتش، إنتي بتحبي شغلك أوي ودي أهم حاجة عندي، ولو عليا اخليكي المدير والله مش أمشيكي.
ابتسمت رغمًا عنها من مديح مديرها، ما ساهم في تخفيف الحرج البادي عليه، فعاد ليتابع:
- أنا كلي ثقة إن ربنا هيوفقك في مكان تاني لإنك فعلا تستاهلي، وياما ناس ما حالفهمش الحظ في مكان وبقو حيتان في أماكن تانية.
أحنت ديما رأسها في ألم، ثم عادت لترفعها وتومئ بها إيجابًا في استسلام تام، قبل أن تستأذن وتنصرف واجمة حزينة.

***

الفصل الثاني

بعد مرور عدة أسابيع وبينما أمير يجلس في مكتبه يقوم ببعض الأعمال، وكعادته أتاه كريم وهو يحمل بعض الأوراق ناولها إياه قائلًا:
- آآ.
قاطعه أمير في ضيق قائلًا:
- عارف عارف، حط الورق وإمشي.
استنكر كريم قائلًا:
- مالك في إيه؟ لو متضايق يا عم بلاش.
أسرع أمير يقول:
- أه والله ياريت.
تراجع كريم قائلًا:
- لأ، أنا أقصد بعد كدة يعني مش المرادي، بس أنت شكلك متضايق من حاجة تانية، أحب أعرف إيه هي.
أجاب أمير بنفس الضيق:
- هبقى أقولك بعدين.
أصر كريم قائلًا:
- قول يا عم ممكن أقدر أساعدك.
هتف أمير في استخفاف وهو يشيح بيده:
- يا عم إتنيل، روح ساعد نفسك الأول.
أصر كريم قائلًا:
- قول بس.
تردد أمير قليلًا قبل أن يقول:
- ديما بطلت تنزل فيديوهات، أدينا داخلين على شهر أهو.
غمغم كريم في خفوت:

- طب فين المشكلة، لو وحشتك أوي يعني إبقى إتفرج ع الفيديوهات القديمة.
هز أمير رأسه يمنة ويسرة وقال:
- لأ مش دي الفكرة، أنا قلقان عليها، خايف يكون في حاجة حصلت لها، دي طيبة أوي وما تستاهلش.
فغر كريم فاهه واتسعت عيناه في دهشة واستنكار بالغين، ثم بدأ يحدجه بنظرات من يشك في قدراته العقلية، قبل أن يقوم بسحب الأوراق من أمامه، ثم يلتفت بعدها لينصرف وهو يغمغم بصوت منخفض:
- في إيه يا ربي، الراجل كان كويس إمبارح، إيه اللي حصل!
أمسك أمير بيده ليمنعه من الانصراف قائلًا:
- في إيه مالك؟
عاد ليلتفت إليه وهو يصيح:
- فوق يابا في إيه؟
صمت برهة ثم تابع بنفس الصياح:
- وعرفت منين بقى إن شاء الله إنها طيبة أوي وما تستاهلش؟
تجاهل أمير ردة فعل كريم وشرد بذهنه لثوان وكأنه يتخيلها، قبل أن يعود ليقول في هيام:
- من طريقة كلامها، من الرقة اللي بتتكلم بيها، بحس منها إنها شخصية طيبة وهادية ورومانسية وحالمة وبتقدر، ودي أهم حاجة.
رفع كريم حاجبيه في استنكار وهتف:
- والله، وبتقدر كمان، كل دة عرفته من أسلوبها في الكلام؟!
ثم سخر قائلًا:
- طب والنبي ما إستنتجتش هي بتحب تاكل إيه من طريقة مشيتها؟
لم يبال أمير بسخريته وهو يقول:
- لازم تتريق ما أنت حمار، في نظرية بتقول إن الصفات بتكون متلازمة؛ فلو لقيت صفة في شخص ضروري تلاقي الصفات المتلازمة بتاعتها.
- نظرية إيه اللي بتقول كدة، أنت بتألف أي كلام وتقول نظرية في علم النفس

عشان اصدق الهجص دة.
- أنا أعمل كدة.
- أه ما دي الموضة، أي حد عايز يقنع حد بأي هبل يقول العلماء إكتشفوا وعملوا مش عارف دراسة على بذر الموز وطلع بيفيد في علاج مش عارف إيه، ودراسة على قشر العنب وطلع بيفيد في علاج مش عارف إيه، أي هبل في الجبل,
- هو الموز ليه بذر يا متخلف أنت؟
- يعني هو العنب يعني اللي ليه قشر!
أنهى كلامه وهو يشيح بيده في عصبية، في حين تجاهل أمير سخريته للمرة الثانية، ذلك لأن الأمر الذي يشغله أهم من ذلك بكثير، لذا عاد يقول بصوت منخفض وكأنما يحدث نفسه قائلًا:
- أنا لازم أتطمن عليها.
رمقه كريم بنظرة حنق ثم عاد ليسخر قائلًا:
- وأنت مالك يا عم، أنت محسسني إنك جوز خالتها.
لم يأبه لسخريته أيضًا وهو يشرد ببصره بعيدًا عنه مرة أخرى ويقول:
- يظهر إني حبيتها.
حدجه كريم بنظرة استنكار واستغراب ثم هتف:
- نعم ياخويا؟
- وإيه الغريب أنا كل القصص بتاعتي كانت ع النت، أنا عمري ما حبيت وإتحبيت من حد في الواقع.
- بس ولا واحدة فيهم كملت، ودة معناه إنك تفكك.
- لأ، المرة دي ومع البنت دي بالذات مش هقدر أفكني، باختصار أنا شفت فيها كل حاجة بحبها، المهم دلوقتي أنا عايز أتطمن عليها.
- طب أنا هعدي الجملة الأولانية دي وهعتبر نفسي كإني ما سمعتهاش، بس هتتطمن عليها إزاي بقى؟
أجاب أمير في حيرة:
- مش عارف.

صمت برهة ثم أضاف:
- فكر معايا كدة.
أتت سما زميلتهما في تلك اللحظة وقطعت حديثهما قائلة:
- سايبين شغلكوا وبترغوا في إيه يا شباب؟
أشار كريم إلى أمير وهو يقول مازحًا:
- البيه بيحب واحدة بتنزل فيديوهات ع النت، وقال إيه بقالها كتير مش بتنزل؛ فسعادته قلقان وعايز يتطمن عليها.
بدت وكأنما أزعجها ذلك فنقلت بصرها إلى أمير وكأنها تتأكد من صحة هذا الكلام، ولما رأته صامتًا أدركت صحة كلام كريم، فأسرعت تسأل في بساطة:
- مين دي؟
أجاب كريم:
- ديما صلاح الدين.
عقدت كفيها وضمتهما إلى صدرها وهي تقول في هيام:
- إتس سو رومانتيك.
علق كريم:
- إتفضل يا عم بتقولك تايتانيك، خليكي في الأفلام والمسلسلات بتاعتك دي والنبي وسيبينا في حالنا.
اعترضت قائلة:
- ليه كدة، بتاعت الأفلام والمسلسلات دي أكتر واحدة ممكن تساعدكوا.
تطلع إليها أمير لأول مرة وسألها:
- هتساعدينا إزاي؟
أجابت سؤاله بسؤال أخر قائلة:
- هي بتنزله ع الفيس؟
إعترض كريم على سؤالها قائلًا:
- إنتي بتسايريه في الهبل اللي بيقوله دة؟
في حين أجابها أمير في وجوم:

- بتنزلهم على صفحتها في الفيس وكمان في اليوتيوب.
- طب ما تبعت لها!
- بعت كتير بس ما بتردش، أو مش بتبص ع الرسايل من كترتهم الله أعلم، هترد على إيه ولا إيه.
علق كريم:
- دة بيبررلها كمان، والله عال.
في حين هتفت سما:
- طب ما سهلة برضه.
جذبت العبارة انتباه أمير فركز بصره عليها في اهتمام ولهفة واضحين، قبل أن تستطرد هي بأسلوب مسرحي قائلة:
- هي عشان تعمل الصفحة لازم يكون ليها أكاونت شخصي، فأنت ابحث باسمها ع الفيس وهتطلعلك، وابعت لها اللي أنت عايزه ع الأكاونت مش ع الصفحة، وأعتقد هترد.
أخذ أمير يستمع إليها في اهتمام ثم التمعت عيناه في ظفر، قبل أن تعود خيبة الأمل لتكسو ملامحه وهو يقول:
- طب ما أنا ممكن ألاقي كذا واحدة ليها نفس الاسم.
أجابت سما في ثقة:
- بس لو فتحت الكام صفحة دول هتقدر تحدد هي مين فيهم، بالصورة بقى بالبيانات، فتقوم تبعتلها وتتطمن عليها، وممكن تبعت طلب صداقة وتتعرف عليها، ولو ما ردتش هتلاقي تفاصيل عن حياتها أو مكان شغلها، فتدور عليها وتروح تشوفها.
أدار أمير تلك العبارات في رأسه قبل أن يقول:
- صعبة برضه.
- ليه؟
- هبحث بالإنجليزي ولا بالعربي، وممكن يكون الإسبيلين غير اللي ببحث بيه، يعني لو بالإنجليزي هكتب ديما بحرف الإي ولا الأي، ونور هكتبها بحرف اليو

ولا الأو وراها يو، بالتباديل والتوافيق دي هيتطلعلي ألف أكاونت.
- والله لو مش شايف إنها تستاهل التعب دة خلاص.
أسرع أمير يجيب في لهفة:
- لأ طبعًا تستاهل، وهدور، إنشالله حتى أخد لها أجازة.
غمغمت سما:
- بص أبدًا بنفس الاسبيلين بتاع صفحتها، أكيد هيبقو زي بعض.
أشرق وجه أمير بالبشر والسعادة، ورسم ابتسامة رضا وهو يهز رأسة دليل الاقتناع ثم شكرها قائلًا:
- صح، ميرسي أوي أوي، إنتي بجد عبقرية.
ثم التفت إلى كريم وبدأ في تقريعه قائلًا:
- شايف العقل والرزانة، مش أنت، واقف بقالك ساعة وماقلتش حتى جملة واحدة مفيدة.
ثم عاد ليحادث سما قائلًا:
- والله انتي خسارة في إلى هتتجوزيه.
ابتسمت سما في سعادة من ذلك الإطراء، في حين نظر أمير إلى ساعته وأخذ يلملم أوراقه وهو يقول لكريم:
- إبقي إديها تعمل لك شغلك دة، أنا ماشي.
لم ينتظر ردًا من كريم، بل أنهى عبارته وهو ينهض وينصرف مسرعًا، فقام كريم بمناولة سما الأوراق وعاد إلى عمله، في حين ظلت سما تراقب أمير وهي لا تزال سعيدة بذلك الإطراء حتى اختفى تمامًا عن عينيها.

***

ما أن دلف أمير إلى منزله حتى أسرع بالجلوس أمام حاسوبه، ليقوم بالبحث عن الحساب الشخصي لديما، كما أخبرته سما.

ظل ساعات يبحث ويقلص الخيارات، فبعد أن وجد قرابة الخمسة وستين حسابًا يحملون نفس الاسم وبنفس التهجئة، قام بفتحها واحد تلو الآخر ليجد

نصف تلك الحسابات تقريبًا يحمل صورًا شخصية لفتيات أخريات، فقام بغلقها وأستبقى النصف الآخر غير المحتوي على صور شخصية.
بدأ يبحث في البيانات الشخصية المسجلة لاستبعاد أكبر عدد ممكن في حال وجود تفصيلة تتعارض مع كونها الفتاة المنشودة، كأن يجد فتيات بجنسيات أخرى، أو يجد مهنًا مختلفة كأن يجدها طبيبة أو مهندسة، فقد بدا واضحًا أنها تعمل كمرشدة سياحية.
كانت عملية البحث مضنية وأشعرته بكثير من التعب، ولكنه تحامل على نفسه من أجل ذلك الأمل الذي نشأ في داخله، والذي قلل من شعوره بالتعب خاصة بعد أن اقترب من الوصول للهدف، فقد تقلص العدد إلى تسعة حسابات لا تحوي صورًا شخصية لفتيات يُقِمن ويعملن بالقاهرة في شركات دون تحديد نشاطها، ومن حسن حظه قمن بذكر أسماء تلك الشركات، والتي قام بالبحث عن نشاطها في الإنترنت فوجد ثلاث شركات فقط يعملن في مجال السياحة.
أخذ يبحث في الصور المرفوعة بواسطة هؤلاء الثلاثة، فلم يجد صورًا شخصية بل مجرد صور لأشياء أخرى، فقام بإرسال طلب صداقة إليهن ورسالة يحثهم فيها على قبول ذلك الطلب.
ظل عدة أيام دون أن يصله منهن أي رد ودون قبول طلب الصداقة، فاستجمع شجاعته وقرر الذهاب لتلك الشركات والبحث عنها في الواقع الحقيقي بدلًا من ذلك الواقع الافتراضي، وطلب من كريم صحبته في تلك المغامرة والذي وافق على مضض.
كان يعلم عدم جدوى اصطحاب كريم؛ فهو أخر شخص يمكن أن يفيده في أي أمر، فهو لأول وهلة يدرك الناظر بأنه شخص بسيط ساذج لن يجلب له سوى المتاعب، ويساعد على ترسيخ ذلك الانطباع جسده المكتظ وذلك الكرش الضخم الذي يضفي على هيئته شكلًا كاريكاتيريًا، إلا أن أمير ـ ومع ذلك ـ يعلم تمامًا أن تلك السذاجة تخفي طيبة قلب وصفاء سريرة.
في طريقهما إلى الشركة الأولى في جدول البحث، أبدى كريم تبرمه وهو يقول في امتعاض:

- مش فاهم إيه الفايدة في إنك تاخدني معاك؟
أجاب أمير:
- مبدئيًا، كويس إنك عارف إنك شخص تافه لا بتقدم ولا بتأخر، بس في حاجة اسمها دعم معنوي.
هز كريم رأسه في عدم فهم وتساءل قائلًا:
- ودة إيه علاقته بموضوعنا؟
رمقه أمير بنظرة صارمة ولم يعقب، وهو يقوم بإيقاف سيارته على جانب الطريق ويأمره بالترجل من السيارة قائلًا:
- يلا أنزل، وصلنا.
ترجل كلاهما من السيارة وأشار أمير إلى إحدى البنايات الفخمة وهو يقول:
- في المبنى دة.
علق كريم:
- مش باين إنها شركة!
أجابه أمير وهو يسرع في خطاه:
- ده مبنى إداري، وشكلهم واخدين فيه شقة ولا حاجة.
- طب ما ياخدوا فيلا!
هتف أمير:
- يا عم وأنا مالي، هو أنا قريبهم.
صمت برهة ثم استطرد قائلًا:
- دة من حسن حظنا، وإلا مش هنعرف ندخل لو المبنى كله بتاعهم، وهيبقى فيه سيكيوريتي وقصة.
صعدا إلى الشركة وقاما بسؤال أحد الموظفين عن ديما فأرشدهما قائلًا:
- هي تعبت شوية واستأذنت، بس تقدروا تحصلوها هي لسة خارجة حالًا.
سأله كريم:
- طب طلعت ولا نزلت؟
لكزه أمير بمرفقه قائلًا:

- أكيد نزلت، معاهاش هيليوكوبتر يعني، أنت بتفهم منين!
سار الموظف لقرب الباب وأشار إلى المصعد في نهاية الممر قائلًا:
- هي الآنسة اللي واقفة قدام الأسانسير دي.
شكره أمير وأسرع كلاهما في الخطى للحاق بها، وفي الطريق غمغم أمير في سعادة:
- طلعت آنسة الحمد لله.
توقفا خلف الفتاة التي كانت تنتظر المصعد، وأخذ عقل أمير يعمل في سرعة بحثًا عن مبرر لفتح حوار معها، قبل أن تهديه الفتاة الفرصة على طبق من ذهب حين عطست فهمس لها أمير قائلًا:
- يرحمكم الله.
تجاهلته ولم تجبه وظلت برهة قبل أن تسعل سعلة خفيفة فعلق قائلًا في هيام:
- ألف سلامة عليكي.
ابتسمت تلك المرة دون أن تلتفت إليهما، فغمز لكريم هامسًا في سرور:
- بتضحك، بتضحك.
ثم عاد ليعتدل ويقول بنفس الأسلوب:
- إنشالله عدوينك وإللي يكرهوكي.
غلبها الفضول فلم تجد بدًا من أن تلتفت، وما أن واجهتهما حتى اختفت ابتسامتها بغتة، وتجهم وجهها بشكل غير مبرر، وكأنما كانت تتوقع شخصًا آخر أو ما شابه، ثم احتدت قائلة:
- احترم نفسك يا أستاذ منك ليه.
ابتلع أمير وكريم ابتسامتهما بعد أن تفاجئا بهذا التحول غير المبرر، والذي أشعرهم بحرج وارتباك بالغين، فأخذ أمير يمسح العرق المتصبب على جبينه وهو يقول متلعثمًا:
- ما هو، أصل.
وهمس كريم في حذر قائلًا:
- ما احنا كنا كويسين، إيه اللي حصل؟

صاحت الفتاة قائلة:
- نعم ياخويا!
دفعًا للحرج والمشاكل آثر أمير الانسحاب؛ فقام بجذب كريم من يده، وانصرفا عنها مسرعين واستقلا الدرج بدلًا من المصعد.
في الطريق إلى الشركة الثانية تساءل كريم:
- البنت كانت مبسوطة وبتضحك، إيه اللي خلاها تتحول فجأة كدة؟
أجاب أمير:
- حاجة من اتنين، يا إما كانت متوقعة حد تعرفه.
صمت أمير فحثه كريم على الحديث قائلًا:
- والتانية؟
- أو ما عجبهاش شكلي.
شعر كريم بالحرج تجاهه فحاول التسرية عنه قائلًا:
- أكيد لأ، ما له شكلك؟!
أجابه:
- دي أذواق، كل واحد حر في ذوقه.
ران الصمت عليهما مدة قبل أن يقطع كريم ذلك الصمت قائلًا:
- عندي ليك عروسة إنما أيه، تستاهلوا بعض والله.
سأله أمير وهو ينظر إلى الطريق أمامه:
- مين؟
أجاب كريم:
- لأ واحدة ماتعرفهاش، سمرا بس أمورة جدًا.
حانت من أمير التفاتة ليرمقه بنظرة لا تحمل أي معنى، قبل أن يعود لينظر إلى الطريق أمامه لبرهة ثم يسأله في استنكار:
- أنت ليه محجمني؟
لم يبد على كريم الفهم وهو يهز رأسه في بلاهة قائلًا:
- إزاي يعني؟

رمقه بنظرة لائمة وعاد لينظر إلى الطريق أمامه، وبدلًا من أن يشرح مقصده قال:
- أقصد إني لازم أتجوز واحدة بحبها أو على الأقل فيها صفات فيا، أو مش فيا بس صفات بحبها، ودة هيخليني أحبها، وكذلك هي، واحد زيك هو اللي ممكن يتجوز بالشكل بتاعك دة، طالما الجواز بالنسبة لك تحصيل حاصل لإنك وصلت لسن الجواز وكدة.
وصلا لعنوان الشركة الثانية، وما أن استقرا داخلها، حتى قاما بسؤال إحدى الموظفات عن الآنسة ديما، فأرشدتهم موظفة إلى إحدى الغرف، وبعد انصرافهما مطت شفتيها في استنكار وقالت:
- آنسة قال!
ما أن دخلا الغرفة حتى وجدا سيدة محجبة تصلي فهمس أمير لكريم قائلًا:
- شايف التدين، مش قلت لك.
تسمرا في مكانيهما وطال انتظارهما فهمس كريم:
- دي بتصلي التراويح ولا إيه؟
أشار له أمير بالصبر قبل أن يتابع كريم متجاهلًا إياه:
- الإيمان بيبقى عالي طول ما احنا في الشغل.
ما أن انتهت السيدة من صلاتها والتفتت إليهما، حتى ظهرت علامات خيبة الأمل على وجه أمير؛ فلم تكن هي الهدف المنشود، بل كانت سيدة في الأربعينات دميمة الشكل تطلعت إليهما في تساؤل وسألت:
- إتفضلوا أقدر أساعدكوا في إيه؟
تلعثم أمير وهو يجيب:
- كنا عايزين ديما.
فاجأتهما بقولها:
- أنا ديما عايزيني في إيه؟
ارتبك كلاهما وأخذا يتمتمان بكلمات غير مفهومة، قبل أن يشير أمير إلى كريم وهو يبتلع لعابه ويقول:

- هو اللي كان عايزك مش أنا، أنا قلت أجيبهولك نشوفه عايز إيه!
نقلت السيدة بصرها إلى كريم والشرر يتطاير من عينيها، قبل أن تحتد قائلة:
- عايز إيه؟
وقف كريم مشدوها لا يدري ماذا يقول، قبل أن يتمتم غير مبالٍ بالموقف قائلًا في استنكار:
- إنتي اسمك ديما؟
صاحت في نفاد صبر:
- أيوة، عندك مانع؟
أجاب في اندهاش:
- أيوة طبعًا عندي مانع، إزاي إنتي يبقى اسمك ديما؟
نهره أمير قائلًا:
- هي ذنبها إيه، ربنا اللي اختار يخلقها كده.
ألقى أمير عبارته بحسن نية، إلا أنها استفزت السيدة أكثر من عبارة كريم، فقد بدت متحفزة وهي تنقل بصرها إلى كريم الذي استمر في سخريته، وهو يشير لسيدة مكتظة البدن في مكتب مجاور قائلًا:
- فاضل تقولي لي إن زميلتك اللي هناك دي اسمها لوجين.
هتفت السيدة:
- هي فعلا اسمها لوجين.
انفجر كريم في الضحك قائلًا:
- إيه ده بجد أنا كنت بقول كده وخلاص، مش ممكن، حتى الكوسة بقت في الأسماء، أنا طول عمري بقول إن الأهل لازم يصبرو شوية ع التسميات، مايتسرعوش.
صاحت السيدة قائلة:
- نعم يا خويا!
قالتها ثم نهضت عن كرسيها ودارت حول مكتبها، لتقترب من كريم وتمسك بتلابيبه صائحة:

- إنتو جايين تستظرفوا ولا إيه؟
تصبب عرقٌ غزيرٌ على جبين كريم من تلك الورطة التي وضع نفسه فيها، وأخذ عقله يعمل في سرعة بحثًا عن مخرج يمنعه من استخدام العنف، حتى اهتدى إلى تلك الحيلة القديمة للتخلص منها، فهتف وهو ينظر إلى نقطة ما خلفها قائلًا:
- معقولة، إيه دة؟
لم تنطل تلك الخدعة عليها وصاحت:
- والنبي؟
وقبل أن تقوم بمناداة الأمن تدخل أمير قائلًا:
- لأ دة شكله بيعاكس بقى، أنا كان قلبي حاسس، أنا فاهم الأشكال دي كويس، هاتيله الأمن.
أنهى عبارته وهو يهوي بكلتا يديه على وجه وجسد كريم قبل أن يستطرد:
- ولا أقولك، أنا هوديه للأمن بنفسي.
أفلتت السيدة بزمام كريم وتركت أمير يصحبه إلى الخارج ويكأنه سيقوم بتسليمه للأمن، وما أن أصبحا خارج الحجرة حتى توقف عن دفعه، قبل أن يطلقا لساقيهما العنان ويهرولا إلى خارج الشركة.
في السيارة أخذ كريم يعدل من هندامه، وقد تورمت وجنتاه من أثر الضرب، وهو يهتف في غضب:
- بقى دة جزائي إني بساعدك يعني، تعمل فيا كدة؟!
اعتذر أمير وهو لا يزال يضحك قائلًا:
- معلش أنا أسف، بس كان لازم أعمل كدة، وإلا كانوا هيعملوا معانا الجلاشة.
- طب روحني بقى، وإبقى كمل مشاويرك دي لوحدك.
- ليه كدة، ما تقف جنبي للأخر.
أصر كريم قائلًا:
- بقولك روحني.
- أنا لو روحتك الساعة هتبقي أربعة واحتمال ما أحصلش الشركة التالتة.
- ماليش دعوة دي مشكلتك، ابقى روح بكرة.

- مش هقدر أكوت من الشركة بدري تاني، دة أنا جازفت النهاردة وحتى ما أستأذنتش، وعرضت نفسي للجزا، ومش هعرف أعمل كدة تاني.
- هو أنت عرضت نفسك بس، ما أنا كمان ممكن أتئذي، ولو إني مش مقتنع بقصتك دي من البداية أصلا.
- ليه؟
- ليه إيه، موضوع غريب أصلا، محدش يعمل اللي أنت بتعمله دة.
- هو لازم أعمل الحاجة اللي الناس بيعملوها، ما ينفعش أبقى أول واحد يعمل حاجة؟!
- طب ما هي ممكن تكون مخطوبة ولا مرتبطة ولا متجوزة؟
أجابه أمير بلهجة حانية:
- مش مهم، أنا يهمني أشوفها وخلاص.
ثم عاد ليتحدث بلهجة جادة قائلًا:
- وبعدين أنا متأكد إنها مش متجوزة، لإن إيديها الشمال ظهرت مرة في الفيديو وماكانش فيها دبلة.
- ممكن قالعاها!
- في سبب تاني.
- إيه هو؟
- عملت فيديوهات كتير من بيتها وكانت قاعدة على طقم مدهب.
سخر كريم قائلًا:
- طب ودة إيه علاقته بالجواز، هو ممنوع أن المتجوزين يقعدوا على طقم مدهب، بيقفشوا فيهم، لو كدة عرفني عشان لما أتجوز.
لم يبال أمير بسخريته وهو يقول:
- أنا آسف ماخدتش بالي إني بكلم واحد مستوى ذكاؤه زيك كدة، يا حمار هو في شباب دلوقتي بيتجوز ويشتري طقم مدهب، أكيد قاعدة في بيت أبوها، وغير كل دة ماحدش من شباب اليومين دول هيسمح لمراته تشتغل مرشدة وتسافر لوحدها طول الوقت، فهمت؟

- طب أنت ناسي حاجة مهمة.
ـ إيه؟
- ممكن تكون ولا واحدة من التلاتة دول، أو مكانش ليها أكاونت أو مسمياه أميرة الأحزان أو مشتاقة للجنة، حاجة زي كدة.
انتاب أمير بعض الخوف فقد كان كلامه مجابها للمنطق، فصمت قليلًا ثم همس بقلق بالغ قائلًا:
- إدعي يا رب تبقي هي التالتة.
ـ طب إدعي أنت، ونزلني على جنب هركب من هنا، وروح أنت بقى شوف القصص بتاعتك دي.
لم يجد أمير بدًا من طاعته؛ فقام بإيقاف السيارة على جانب الطريق والسماح له بالنزول، ومن ثم تابع طريقه.

***

في مقر الشركة الثالثة والأخيرة سأل أمير إحدى الموظفات قائلًا:
- مدام ديما ألاقيها فين؟
أجابته الموظفة:
- قصد حضرتك آنسة ديما؟
تهللت أساريره ورقص قلبه طربًا من ذكر الموظفة بأنها آنسة، فأومأ برأسه إيجابًا قبل أن تتابع الموظفة قائلة:
- آنسة ديما مش بتقعد هنا في الشركة.
غمغم متعجبًا:
- أمال بتقعد فين؟
- هي مرشدة سياحية، بتاخد الفوج وتروح المزارات السياحية، وتجيبهم أخر النهار وتمضي وتروح.
سألها قائلًا:
- أفهم من كدة إنها هتيجي كمان شوية عشان تمضي وتروح؟
هزت رأسها نفيًا وقالت:

- لأ النهاردة في رحلة للأقصر وهتيجي بكرة، ومش هتشتغل غير بعد بكرة.
- طب هي جدولها إيه؟
- بعد بكرة هتاخد فوج للأهرامات وبعده البرج والمتحف المصري.
- طب ممكن أشترك وأبقى من ضمن الفوج، في أماكن يعني؟
حدجته الموظفة بنظرات استخفاف وهتفت:
- نعم ياخويا، هو مركز شباب، ماينفعش طبعًا.
تراجع أمير متمتمًا:
- في إيه دة أنا هنفعكوا!
سخرت قائلة:
- لا ما ينفعش.
غمغم في خفوت:
- شكلكوا إصطبحتوا ومستكفيين.
هتفت:
- نعم؟
أجاب:
- لا ولا حاجة، شكرًا، سلام عليكم.
أنهى عبارته والتفت لينصرف عازمًا النية على مواصلة مطاردة ذلك الحلم، الذي بدأ في داخله وظل يلح عليه، حتى تولدت لديه عزيمة وإصرار غير عاديين على الوصول إليه وتحقيقه.
لم يكن يرغب في الاطمئنان عليها فحسب، بل كان ينتوي ما هو أبعد من ذلك بكثير، وهو التعرف إليها والتقرب منها إن أمكن، ولا حبذا من إقامة علاقة والارتباط بها إن تيسر ذلك.
رغم الشكوك الكبيرة في داخله على تحقيق حلمه؛ لغرابة الأمر كما أخبره كريم بل وصعوبته أيضًا، فلو تجاوزنا فارق الشكل والجمال الخارجي، سنجد أنه من غير المنطقي أن يجدها ويخبرها بحبه فتكون مرحبة بذلك، ولكنه ومع ذلك سيكفيه أن يجدها وينهل من حلاوة رؤيتها ومحادثتها، إن لم ينجح في التقرب

منها أو إقامة علاقة.
خفق قلبه في قوة عند وصوله بتفكيره إلى تلك الاحتمالات التي لا يتمناها أبدًا، فهو أخيرًا قد وجد فتاه بها مواصفات احلامه، تلك المواصفات التي لم يجدها مجتمعه قط في فتاة أخرى، فقد يكون قد وجد بعضًا منها، ولكن مع وجود ظرف يمنع من إقامة علاقة مع صاحبتها، إما لفارق السن أو ارتباطها.

***

بعد مرور يومين ومنذ الصباح الباكر قرر أمير الذهاب إلى الأهرامات لعله يلتقي بديما، وكان كلما وجد مجموعة من السائحين يقوم بالاقتراب منهم، ويبحث بينهم عن مرشدهم لعله يكون ديما، وقام بفعل ذلك عدة مرات دون أن يجدها.
انتصف نهار ذلك اليوم ولا يزال أمير ينتظر ويبحث، وقد أنساه أهمية ذلك الأمر سخونة الجو، والشمس التي أخذت تلقى بألسنة من اللهب فتصيبه هو وكل من تعرض لها.
طال الوقت وراوده هاجس أن تكون الفتاة التي تُدعى ديما قد أتت وانصرفت وهي ليست ديما التي يريدها، ولكنه قام بطرد ذلك الهاجس.
قبل أن تميل الشمس ناحية الغروب كان قد فقد الأمل وقرر الانصراف، وبينما هو في طريقه إلى الخارج أبصر من بعيد فوجًا سياحيًا تقوده فتاة، وبدت من ملابسها أنها هي ديما فقد كان يحفظ عن ظهر قلب كل فيديوهاتها وبكل تفاصيلها ومن بين تلك التفاصيل ملابسها، فاقترب ليتأكد من الأمر، ولسوء حظه لم تكن هي الفتاة المنشودة.
عاد إلى بيته وخيبة الأمل تظلل ملامحه وظل واجمًا حزينًا، وبدا وكأن كلام كريم قد تحقق حين قال أنها قد تمتلك حسابًا ليس باسمها وإنما بصفة أو لقب تلقب نفسها به كعادة بعض الناس.
في اليوم التالي لاحظت زميلته سما ذلك الحزن الذي يعلو وجهه، وعزوفه عن مشاركتهم الحديث والمرح فسألته:
- أنت عملت إيه في موضوع ديما؟

أجابها في ضيق:
- بلح.
هتفت في قلق:
- ليه؟
أخذ يحكي لها ما حدث وهي تستمع إليه باهتمام شديد، وبعد أن أنهى كلامه غمغمت:
- أنت التالتة دي ما شوفتهاش إزاي حكمت إنها مش هي؟
أجاب في بساطة:
- مش هي، كدة كدة كان المفروض تيجي الأهرامات، وأنا شفت كل الناس اللي جوم، وهي مش منهم، يبقى في واحدة تانية جت واسمها ديما، وما عرفتهاش لإنها واحدة تانية.
- مش ممكن حصل حاجة ماخلاهاش تروح، أنت برضه ما شفتش بطايقهم يعني.
أخذ يتأملها في صمت ويدير عبارتها في رأسه قبل أن يقول:
- دة احتمال ضعيف.
- بس المفروض برضه تاخد بيه.
بدا عليه عدم الاقتناع وهو يقول:
- أعمل إيه يعني؟
- أنت محتاج تتأكد إذا كانت هي ولا مش هي، فممكن تطبع صورتها بعد ما تعمله إسكرين شوت، وتروح تسألهم إذا كانت هي دي ديما اللي عندهم ولا لأ.
- كويس إن خيالك واسع بس مش كدة يعني.
- ليه؟
- أكيد هيقلقوا مني ومش هيساعدوني، دة إذا ما جابوليش البوليس.
- والله أنا قلت لك ع اللي عندي وإنت حر.
أومأ برأسه إيجابًا لينهي ذلك النقاش فحسب، وهو لا يزال غير مقتنع بكلامها قبل أن تنصرف وتتركه يقوم بعمله.

تفاجأ الجميع بمدير قسم الحسابات يدلف إلى القاعة كغير العادة ويقول:
- أمير، كريم، تعالوا، عايزكوا إنتوا الإتنين.
قالها وانصرف إلى مكتبه القابع في الممر المؤدي إلى الخارج، في حين ارتسمت علامات الدهشة والقلق على وجه كل من أمير وكريم، قبل أن يسأل أمير سما:
- هو سأل علينا إمبارح بعد ما كتينا؟
هزت رأسها نفيًا وقالت:
- لأ، أبدًا.
سأل كريم زميلهم محمود قائلًا:
- يا محمود يا عصفورة، هو المدير سأل علينا إمبارح بعد ما كتينا؟
هز رأسه نفيًا بدوره مما بعث الاطمئنان إلى قلبيهما وهما يتبعان المدير إلى حجرته.
ما أن دلفا إلى حجرة المدير حتى سارع في توبيخهما قائلًا:
- إنتوا مشيتوا إمبارح بدري من غير استئذان، صح ولا لأ؟
تبادلا النظرات قبل أن يومئا برأسيهما إيجابًا دون التفوه بحرف واحد، فتابع المدير قائلًا:
- دة إسمه تسيب وعدم جدية، إنتوا فاكرين نفسكوا شغالين في فرن بلدي، مخصوم من كل واحد فيكوا تلات تيام، وأتمني الموضوع دة ما يتكررش تاني، إتفضلوا على مكاتبكوا.
عاد الاثنان إلى مكتبيهما وأخذا يحاولان استنتاج شخصية الواشي بهم، فأشار أمير برأسه إلى محمود الذي كان يختلس النظر إليهما قائلًا:
- العصفورة اللي هناك دة شكله هو الواشي.
اتجها حيث مكتب محمود والشرر يتطاير من أعينهما وغمغم كريم قائلًا:
- أنا سألته لو المدير سأله علينا وقال لأ.
أسرع أمير يقول:
- ما هو مش هيعترف، وغالبا هو اللي إتطوع وقال له.
وصلا حيث محمود الذي بدا مضطربًا وفاجئه كريم بقوله وهو يضرب كتفه:

- أنت يالا اللي عصفرت علينا؟
أجاب محمود في ارتباك:
- أنا كنت بأمنكوا.
- نعم ياخويا، تأمنا بإنك تقول له؟
- يعني عايزيني أسكت ولما يعرف بعدين يئذيكوا.
أخذ كريم يضرب كتفه بغيظ شديد في حين تدخل أمير قائلًا:
- وبتكدب ليه لما سألناك؟
أجاب محمود وهو يحمي جسده بكلتا يديه:
- ما هو فعلا ما سألنيش.
- يعني إتطوعت وقلت له؟
- أه.
غمغم كريم بغيظ شديد:
- أه يا عصفورة يا ابن العصافير.
هدأ أمير كريم ثم قال:
- ما تغلطش فيه عشان ما يمسكش عليك حاجة، بص سيبني أنا بعرف أتعامل مع الأشكال دي، إعمل زي ما أنا بعمل كدة، وإشتمه في سرك.
أخذ يحرك شفتيه ببعض السباب والشتائم دون أن يصدر صوتًا، فبدأ كريم يحاكيه وقد أعجبته الفكرة، مما أثار من حفيظة محمود ونهض وهو يصيح قائلًا:
- والله لأقول للمدير.
إنصرف ثم عاد بعد قليل ومعه المدير وأشار إليهما قائلًا:
- أهمت، قاعدين يشتموا فيا شتايم قذرة وأنا مارضيتش أرد عليهم.
سألهم المدير في صرامة:
- الكلام دة صحيح؟
أسرع كريم يجيب:
- أبدًا يا ريس ما حصلش، وتقدر تسأل لو حد من الزملا سمع حاجة.

استكمل أمير كلامه قائلًا:
- أو إساله هو شخصيًا شتمناه وقولنا له إليه؟
أدار المدير وجهه إلى محمود وسأله:
- أيوة صحيح، شتموك قالوا لك إيه؟
أجاب محمود:
- لأ، مش عارف.
عقد المدير حاجبيه وصاح:
- نعم، إزاي مش عارف؟
تدخل كريم لتهدئته قائلًا:
- أعذره يا ريس، البرشام اللي بيبلبعه هو اللي بيعمل فيه كدة.
سأله المدير في دهشة:
- برشام، هنا في المكتب يا محمود؟
أجاب محمود:
- أبدًا والله يا فندم، حللولي لو مش مصدقني.
تدخل أمير ليدلي بدلوه قائلًا:
- كريم يقصد برشام الصرع والعلاج النفسي اللي محمود بياخده هو اللي بيخليه يجيله تهيؤات، وإن الناس كلها بتشتمه، أنت ما شفتش فيلم أسف على الإزعاج ولا إيه؟
أومأ المدير برأسه متفهمًا وقال:
- ربنا يشفيك يا بني.
قالها ثم أولاهم ظهره متجهًا إلى مكتبه وهو يضرب كفًا بكف، وقد شعر بإشفاق شديد على محمود الذي كان يعتبره الموظف المثالي بالشركة.
***

الفصل الثالث

بعد أيام كان أمير قد تجاوز حالة الإحباط التي أصابته نوعًا ما بعد عدم عثوره على ديما، ولكنه لم ينس الموضوع تمامًا، بل كانت تجول في خاطره بين الحين والآخر فيعاوده الشعور بالضيق.

أحيانًا يكون الشعور السلبي محبطًا وأحيانًا يكون دافعًا للمضي قدمًا في تحقيق الأهداف، وهنا في بداية الأمر كان محبطًا لأمير، ولكن مع مرور الوقت جعلته يعاود التفكير في إيجاد حل لموضوعه لعله يرتاح، وتذكر حينها كلام سما الأخير وقرر التمسك بالاحتمال الضعيف الذي ذكرته له دون استخدام فكرة الصورة.

هداه تفكيره إلى أن يذهب إلى الشركة في الصباح الباكر قبيل مواعيد العمل بقليل؛ حتى يتسنى له رؤية كل الموظفين، اعتمادًا على ما ذكرته له الموظفة سابقًا أن ديما تأتي في بداية اليوم ونهايته للتوقيع، وبالفعل أحال فكرته إلى موضع التنفيذ، وقام بالوقوف بقرب بوابة البناية يراقب كل من يدخل ويخرج منها.

بعد دقائق تفاجأ بديما أمامه ولكنها لم تلبث أن دخلت البناية مسرعة، تاركة إياه كي يستوعب تلك المفاجأة الرائعة، وقد تهللت أساريره وهو غير مصدق لما حدث.

مكثت ديما لدقائق ثم عادت لتخرج من نفس البناية، وتقف وسط فوج سياحي تتحدث إليهم عن البرنامج الذي أعدته لهذا اليوم.

تسارعت دقات قلبه في تلك اللحظة ونسي عالمه ليذوب تمامًا في عالمها، ويستمتع برقة وعذوبة حديثها مع الفوج الذي تصحبه.

رغم حديثها بلغة إنجليزية إلا أن ذلك لم يكن يعنيه، فما يهمه الآن هو سماع نبرات صوتها المحببة إليه فحسب.

كانت العبارات التي تلقيها بالنسبة إليه كسيمفونية موسيقية تخترق أذنيه في سلاسة ونعومة، وبدلًا من أن تستقر في عقله تخترق أحشائه في طريقها إلى قلبه

مباشرة.
لم يكن يتخيل أن يأتي يوم يعشق فيه صوت فتاة أكثر من شخصيتها أو شكلها على الأقل أو أي صفة هي محل إعجاب الرجال بالنساء، ولكن ها هو قد حدث فقد أحب صوتها أكثر من أي شيء.
أما صورتها فقد اخترقت عينيه وحادت عن طريقها أيضًا لتصب قلبه مباشرة أيضًا.
نعم لقد شعر باختلاجة عجيبة في قلبه لم يشعر بها منذ مدة طويلة ويعرفها تمامًا، فهي اختلاجة من يرى ويسمع صوت محبوبه في الأيام الأولى من قصة حبه، والتي تكون المشاعر فيها في أوجها.
كانت لحظات لا تنسى بالنسبة إليه، فظل ساهمًا فيها لدقائق حتى أفاق على رؤيتها وقد أنهت حديثها، وبدا من الواضح أنها تدعوهم لأن يستقلوا حافلة سياحية تقف بالقرب منهم وبالطبع كانت ستصحبهم.
قرر أن يقترب منها ويحادثها إلا أنه تردد في بادئ الأمر، قبل أن يستجمع شجاعته ويأخذ نفسًا عميقًا وكأن ذلك سيساعده ثم تقدم ناحيتها وحياها بأسلوبها قائلًا:
- السلام عليكم.
ردت السلام قائلة:
- عليكم السلام ورحمة الله وبركاته.
ارتبك قليلًا قبل أن يقول وهو يمسح عرقًا وهميًا على جبينه:
- مش حضرتك برضه ديما صلاح الدين اللي بتنزلي الفيديوهات على النت.
ابتسمت وهي تومئ برأسها إيجابًا قائلة:
- أيوة أنا.
لم يجد شيئًا ليقوله وتاهت كل العبارات عن باله، قبل أن يقول أخيرًا:
- فيديوهاتك حلوة أوي.
لم يكن يقصد المحتوى كما هو ظاهر من عبارته، إلا أنها فهمت العبارة على ظاهرها ومع ذلك ابتسمت وهي تقول:

- ميرسي اوي، دة من ذوقك.
صمتت برهة ثم استاذنت في الانصراف قائلة:
- طب عن إذنك، عشان عندي شغل.
تركته وصعدت إلى تلك الحافلة التي انطلقت، وظل يراقبها ببصره حتى بعدما اختفت، وظل كذلك لدقائق، ثم لم يجد جدوى من وقوفه فقام بالانصراف هو أيضًا بدوره، وهو يشعر بسعادة عجيبة كظمآن ارتوى أخيرًا بماء بارد في ظهيرة يوم شديد الحرارة.

***

بعد مرور أسبوع كامل اشتاق أمير لرؤية ديما، فاستأذن من عمله وذهب إلى محل عملها في الصباح الباكر، وسأل عنها فوجدها قد انصرفت مع فوج سياحي لزيارة البرج والمتحف المصري، فاتجه من فوره إلى البرج وظل يبحث عنها ولما لم يجدها توجه إلى المتحف المصري.
ظل يبحث عنها حتى وجدها فتظاهر أنه لم يرها حتى توقفت لتأخذ استراحة، ويقوم أفراد الفوج بأخذ الصور التذكارية، فاقترب منها متظاهرًا بعدم رؤيته لها وما أن أصبح أمامها تمامًا حتى توجه لها ببصره، وتظاهر أنه قد تفاجأ برؤيتها وهو يقول:
- إيه دة، إزيك يا آنسة ديما عاملة إيه؟
تطلعت إليه في تساؤل وبدت وكأنما لم تتذكره وهي تجيب في تحفظ:
- الحمد لله كويسة.
لاحظ عدم تذكرها له فقال مرتبكًا:
- فاكراني، أنا اللي قابلتك بالصدفة الأسبوع اللي فات، الساعة تسعة الصبح قدام الشركة.
أخذت تتطلع إليه برهة ثم قالت:
- أه إفتكرتك خلاص.
- شوفي سبحان الله، شاءت الأقدار إني اقابلك تاني، وصدفة برضه.
غمغمت بدبلوماسية:

- دة من حسن حظي.
همت لتستأذن إلا أنه أسرع يسألها السؤال الذي يشغله:
- تسمحي لي أسألك سؤال؟
- إتفضل.
- إنتي وقفتي الفيديوهات بتاعتك ليه، لعل المانع خير، أنا آسف يعني لتطفلي.
قالت في ضيق:
- لا أبدًا مافيش حاجة، كل الحكاية إنهم هيمشوني من الشغل قريب، فخلاص بقى.
هز رأسه متفهمًا قبل أن يقول:
- وإيه العلاقة؟!
أسرعت تقول:
- وبصراحة هتخطب كمان قريب، ومش هبقى فاضية.
هوت العبارة عليه كصاعقة أصابت بدنًا حيًا فأردته قتيلًا، فاتست عيناه في ذهول وفغر فاهه من أثر تلك الصدمة التي لم يكن يتمناها على الإطلاق، ثم مكث لثوانٍ يستوعب الأمر وهو يحاول أن يتماسك ويستجمع الكلمات التي اختنقت في حلقه، وفي النهاية صدر منه صوتًا مبحوحًا وهو يقول بصعوبة شديدة:
- دة مش سبب كافي يعني.
رمقته في اندهاش لتطفله الزائد، قبل أن تقول:
- هو رافض موضوع الفيديوهات دي.
أسرع يقول:
- إيه المشكلة، مش من حق الراجل إنه يمنع مراته من إنها تعمل حاجة بتحبها.
طالعته للحظات قبل أن تقول:
- مش كل الناس عندها الآراء المتحررة دي.
صمت قليلًا ثم قال:
- طب معلش، هما هيمشوكي من الشغل ليه؟

- مابقاش في شغل في السياحة أنت شايف وضع البلد.
- وهتقعدي في البيت؟
- لأ هدور على شغل.
- اعتقد هيبقي صعب في مجالك.
- غالبًا هشتغل حاجة تانية.
استغل أمير تلك الفرصة فقال:
- طب أنا ممكن ألاقي لك شغل.
- والله ياريت.
- ينفع تديني رقمك أكلمك أول ما ألاقي لك شغل؟
- لأ مش هينفع إبعت لي رسالة على الصفحة بتاعتي ع الفيس.
- ما هو إنتي ما بتردیش!
- نعم؟!
- يعني إبقي بصي ع الرسايل وردي.
- أوك، أستأذن بقى دلوقتي.
قالتها وحيته ثم انصرفت لتكمل عملها، وظل هو بعدها يتظاهر بالتجول والاستمتاع بالمكان الأثري، وبين الحين والآخر يختلس النظر إليها، حتى انتهت جولتهم وانصرفوا، وانصرف هو أيضًا بدوره.

***

في اليوم التالي وبينما كان أمير منشغلًا في عمله، شرد للحظات يفكر في الصدمة التي لم تكن في حسبانه، وهو ارتباط ديما بشخص آخر وأشعره ذلك بقليل من الضيق وخيبة الأمل، وتصادف ذلك مع مرور كريم بجانبه ليناوله أوراقًا ويسأله:
- سرحان في إيه يا حيلتها؟
تجاهل أمير سؤاله ومكث برهة قبل أن يقول:
- بقولك إيه ما تطلب من المدير يجيبوا موظفة زيادة تساعدك في شغلك دة.
قالها وهو يشير إلى الأوراق التي وضعها أمامه فسخر كريم قائلًا:
- وإشمعني موظفة بالذات؟

أجابه أمير:
- بصراحة كنت عايز ديما تيجي تشتغل هنا.
- إزاي؟
- هنكوسها، يعني هنعمل إنترفيوهات وننجحها.
أخذ كريم يقلب الأمر في رأسه ثم قال:
- أوكي، هحاول.
انصرف كريم تاركًا أمير الذي شعر بقليل من الراحة، وكأن وجودها معه في العمل ورؤيته لها سيخفف من وطأة تلك الحقيقة، وهي أنها لن تكون له ذات يوم.

***

بحسب اتفاق أمير مع كريم قام الأخير بتقديم مذكرة لمدير قسم الحسابات لطلب موظف أو موظفة، لمساعدته في عمله كمدخل بيانات لإنجاز بعض المهام التي تتأخر فتقوم بتعطيل العمل، وبالتالي قام المدير بتقديم المذكرة في الاجتماع الشهري لمديري أقسام الشركة وتمت الموافقة على طلبه.
قاموا بعمل إعلان للوظيفة على الإنترنت، وقام أمير بمرافقة كريم وهو يجتمع بموظف الموارد البشرية بالشركة لاختيار صيغة الإعلان ومقابلة المتقدمين.
جلس الموظف أمام الحاسوب وأخذ كريم يساعده في اختيار صيغة الإعلان قائلًا:
- إكتب عندك، مطلوب لوظيفة إدخال بيانات آنسة حسنة المظهر.
أطاعه الموظف قائلًا:
- أوكيه.
- ممشوقة القوام، آآ.
امتنع الموظف عن الكتابة واستنكر قائلًا:
- أنت مالك ومال قوامها؟!
- إكتب بس مالكش دعوة.
عاد الموظف ليكتب وتابع كريم:

- حسنة المظهر، ممشوقة القوام، ممتلئة قليلًا من منطقة الوسط.
اعترض الموظف مرة أخرى فتوقف عن الكتابة وتطلع إليه باستنكار فقال كريم:
- لازم أصعبها شوية عشان محدش يجي.
لكزه أمير بقدمه لتنبيهه فاستدرك كريم:
- قصدي ماحدش يجي غير الناس الأكفاء.
***

قام أمير بالتواصل مع ديما عن طريق صفحتها على موقع الفيسبوك، ليخبرها بوجود وظيفة شاغرة لديهم، وقامت بالرد عليه تلك المرة ومعرفة موعد المقابلات لكي تأتي وتقوم بالتقدم للوظيفة.
في اليوم المحدد قام موظف الموارد البشرية بإجراء المقابلات بحضور كل من كريم وأمير أيضًا بناءً على طلبه، واتفق كريم مع أمير على حيلة تضمن حصول ديما على الوظيفة، وهي إلقاء أسئلة تعجيزية على المتقدمات لشغل الوظيفة فيما عدا ديما، تكون أسئلتها بسيطة وسهلة وبالتالي هي التي تحصل على الوظيفة.
في المقابلة كان موظف الموارد البشرية يلقي الأسئلة المعتادة كالتعريف بالنفس والسؤال عن نقاط القوة والضعف، ويقوم كل من أمير وكريم بإلقاء سؤال.
مع أولى المتقدمات قام موظف الموارد البشرية بسؤالها قائلًا:
- introduce your self
بدأت الفتاة في تقديم نفسها بلغة إنجليزية سليمة وتلقائية، لم يفهم منها أمير وكريم شيئًا، مما جعل أمير يلتفت إلى كريم ليسأله:
- هي قالت ايه؟
تطلع إليه كريم في حيرة ثم أجاب:
- مش عارف، الإنجليزي اللي احنا خدناه فرط، مش كدة.
ثم قام بعد ذلك بسؤالها قائلًا:
- شايفة نفسك فين بعد أربعين سنة؟
أجابت:

- شايفة نفسي المديرة.
هز كريم رأسه يمنة ويسرة وهو يقول بأسف مصطنع:
- لأ غلط، هتبقي ع المعاش، يعني هتبقي في البيت.
تطلعت إليه في دهشة في حين أضاف أمير:
- أو بتزور أختها.
أكد كريم على كلامه قائلًا:
- بالظبط، كلام سليم.
أتي الدور على أمير ليلقي بسؤاله فقام بوضع غطاء قلمه على المكتب قائلًا:
- شايفة اللبيسة دي، عايزك تطلعيلي عشر استخدامات ليها.
نقلت الفتاة بصرها بين الغطاء وبين أفراد اللجنة في تعجب واستنكار، قبل أن تتغلب على تعجبها وتقول في تردد وارتباك واضحين:
- آآآ، ممكن أشرب بيها ميه وو.
قاطعها أمير قائلًا:
- حد يشرب مية باللبيسة، شكلك مش عارفة إتفضلي.
أنهى عبارته وهو يشير إليها بالانصراف، ومع المتقدمة الأخرى وبعدما ألقى موظف الموارد البشرية سؤاله قام أمير بسؤالها:
- قولي لي على حاجة أو فكرة ما خطرتش على بال حد، لو اتنفذت ممكن تعمل ثورة في عالم الصناعة وتكنولوجيا المعلومات والهندسة الوراثية.
بدت على الفتاة علامات التفكير قبل أن يستكمل كريم كلام أمير قائلًا:
- أه، ولازم في نفس الوقت تبقى مش مكلفة وفي متناول المواطن البسيط ومحدودي الدخل.
لم تنبس الفتاة ببنت كلمة، فأشار لها أمير بالانصراف، واستمرا في تعجيز المتقدمات للوظيفة بل وتمادا في ذلك حين سأل كريم فتاة:
- كم عدد سكان أفريقيا؟
أخذت تفكر قليلًا ثم قالت بثقة:
- مليار وميتين مليون.

تفاجئا بمعرفتها للإجابة فتطلعا إليها في اندهاش، وسأل أمير كريم في همس ودون أن يلتفت إليه لئلا يلفت نظر الفتاة قائلًا:
- هو صح كدة؟
أجابه كريم بنفس الهمس:
- أنا إيش عرفني، بس شكلها واثقة.
واصل بعدها أسئلته للفتاة قائلًا:
- وآسيا؟
أجابت:
- أربعة مليار وخمسميت مليون.
- مش كتير كدة؟
- نعم؟
- أقصد وأوروبا؟
- ٧٥٠ مليون.
- وأمريكا؟
- الشمالية ولا الجنوبية؟
- والله، هما نوعين؟
تدخل أمير قائلًا:
- نوعين إيه، أنت بتشتري جبنة رومي؟
ثم تطلع إليها وقال:
- الشمالية؟
- ٥٧٩ مليون و ٧٠٠ ألف.
- لأ سوري، أنا كنت أقصد الجنوبية.
- ٤٢٢ مليون و ٦٠٠ ألف.
- والإتنين مع بعض؟
أخذت تفكر فأسرع يقول:
- ومن غير آلة حاسبة.

أجابت الفتاة:
- مليار وإتنين مليون و٣٠٠ ألف.
قام أمير بعمل تلك العملية الحسابية باستخدام الحاسبة الرقمية، قبل أن يرفع حاجبيه في دهشة ويغمغم في صوت هامس:
- يا نهار إسود إيه دة؟
حانت منه التفاته سريعة على كريم، والذي بدا مبهوتًا من الفتاة ومكث قليلًا قبل أن يقول:
- طب وعدد سكان أستراليا؟
- ٢٤ مليون.
- طب ممكن تقولي لي أسماء السكان دول؟
اتسعت عينا الفتاة في دهشة وكذلك فعل موظف الموارد البشرية وهم بأن يعترض، إلا أن أمير أسرع يشير للفتاة بالانصراف وهو يهز رأسه في أسف مصطنع، ثم قام كريم بسؤال المتقدمة التالية قائلًا:
- إعملي حاجة مش متوقعة.
ترددت الفتاة قليلًا ثم قامت بإفراغ محتوى حقيبتها على الأرض، وتطلعت إليهم في انتظار تقييمهم فقام كريم بالالتفات إلى موظف الموارد البشرية وسأله:
- توقعت إنها تعمل كدة؟
هز رأسه نفيًا فقام كريم بالالتفات إلى أمير والذي قال:
- أنا توقعتها بصراحة.
قامت الفتاة بتجميع محتوى حقيبتها، ثم أخذت بعدها تقوم ببعض الأعمال كأن تقص جزء من شعرها تارة، وتأخذ القلم الموضوع على المكتب أمامهم وتضعه بحقيبتها تارة، وفي كل مرة يخبراها بتوقعهم لتلك الفعلة، حتى نفد صبرها واستشاطت غضبًا، ومن ثم قامت بمسك كوب الماء الموضوع على المكتب أمام كريم، وقامت برشها على وجهه ومن ثم انصرفت.
قام كريم بتجفيف نفسه ثم قال:
- بصراحة دي بقى اللي ماتوقعتهاش، بس يا خسارة مشيت.

ضحك أمير ومازحه قائلًا:
- لا دي بالذات أنا توقعتها.
توالت الفتيات على الدخول والخروج خائبات الوفاض، حتى أتى دور ديما والتي قام أمير بسؤالها قائلًا:
- ليه اللي بيتولد أطرش ما بيعرفش يتكلم حتى لو مش أخرس؟
أجابت في بساطة شديدة:
- لإنه ماسمعش حاجة عشان يقلدها ويقولها.
قام أمير وكريم بالتصفيق لها وبالغ أمير في الإشادة بها قائلًا:
- برافو عليكي، مش ممكن عبقرية.
سألها كريم بدوره قائلًا:
- لو واحد أخرس عايز يقول لواحد أعمى أبوك مات يقولها له إزاي؟
أجابت على الفور:
- يجيب واحد سليم ويشاور له أو يكتب له وهو يقول للأعمي.
ارتسمت تعبيرات الإعجاب والاحتفاء على ملامح أمير وكريم الذي قال:
- برافو، دة أنا نفسي ماكنتش عارف الإجابة.
فاجئهم موظف الموارد البشرية بسؤالها قائلًا:
- عايزك تقنعيني أن الحيطة دي لونها إسود مش أبيض.
صُدم الجميع من تلك المفاجأة التي لم تكن في الحسبان، فخيم صمت رهيب على المكان لثوانٍ، وأخذت ديما تنقل بصرها بينهم في حيرة وارتباك، قبل أن تثبت بصرها على الموظف وتهز رأسها قائلة:
- لأ مش عارفة.
بدت أمارات خيبة الأمل والقلق على أمير وكريم في حين تكلم الموظف قائلًا:
- بسيطة قولي لي إن أنا عندي عمى ألوان.
ران الصمت عليهم مرة أخرى، وأخذت أذهانهما تعمل في سرعة أملًا في التوصل لمخرج من تلك الأزمة، حتى قطع أمير ذلك الصمت قائلًا:
- برافو إنك قلتي ما أعرفش، من قال لا أعلم فقد أفتى، حد غيرك كان فضل

يفتي في أي هري، لا بجد بحييكي على صراحتك.
ثم التفت إلى زميليه وقال:
- النوع دة نادر جدًا على فكرة.
سايره كريم وأكد على كلامه قائلًا:
- دة حقيقي فعلا.
ثم صمت قليلًا ليستطرد بعدها قائلًا:
- وبعدين مؤدبة ومتربية، هي شكلها كانت عارفة الإجابة، بس مارضيتش تقوله أنت عندك عمى ألوان، هو دة اللي إحنا محتاجينه فعلا، أنا من رأيي إنك أنسب واحدة، مبروك عليكي الوظيفة.
بدا الموظف حائرًا مشتتًا ومكث برهة يستوعب الموقف، ثم بدا وكأنما سيتأثر بإشادتهما ويخضع لإرادة الأغلبية، إلا أنه تراجع في اللحظات الاخيرة وتكلم قائلًا:
- إستني، كنت أتمنى إنك تجاوبي، بس.
كتم الجميع أنفاسهم بعد تلك العبارة التي قد تعني هدم كل ما فعلاه، إلا أن الموظف تابع كلامه قائلًا:
- ولكن مع ذلك إنتي الوحيدة اللي جاوبتي على سؤالين، مبروك عليكي الوظيفة.
تنفس الجميع الصعداء بعد تلك العبارة الأخيرة، وبعد انصرافها دخل عليهم شاب وجلس أمامهم، فتطلعوا إليه باستغراب قبل أن يقول كريم موجهًا حديثه إليه قائلًا:
- أؤمر حضرتك.
تحدث الشاب قائلًا:
- أنا جاي بخصوص الوظيفة.
نظر الجميع إلى بعضهم البعض في دهشة، قبل أن يعود كريم لمحادثة الشاب ويقول في أسف شديد:
- بس إحنا كنا طالبين آنسة.
أسرع الشاب يقول:

- طب ما ينفعش أنس.
رفع الجميع حواجبهم في دهشة وكتموا ضحكة كادت أن تفلت منهم، ثم هتف أمير مستنكرًا:
- أنس إزاي يعني؟
استدرك الشاب قائلًا:
- أقصد يعني شاب، معلش أنا مرتبك شوية.
صمت بعدها ثم عاد ليتابع في استعطاف:
- أنا محتاج الشغل وممكن أقوم بنفس شغلها.
بدا التأثر على الجميع قبل أن يقول كريم في هدوء:
- لا والله مش هينفع، إحنا أسفين جدًا، بس إن شاء الله في المستقبل لو إحتجنا أنس هنكلمك.

***

تم قبول ديما في الوظيفة وقامت بإخلاء طرفها وإنهاء كافة متعلقاتها بالشركة القديمة، واستلمت بعدها العمل كمدخلة بيانات بنفس قسم الحسابات الذي يعمل به أمير، والذي قام بتجهيز مكتب خاص لها كي تجلس عليه وتقوم بمهام وظيفتها، وتعمد وجوده بحيث يكون أمام ناظريه وعلى مقربة منه؛ لكي يأنس بوجودها ورؤيتها، لأن هذا هو السبب الرئيسي لسعيه إلى توظيفها.
في اليوم الأول لديما ـ وبحكم معرفته السابقة لها ـ تطوع أمير بتعريفها إلى بقية الزملاء والعكس قائلًا:
- دي ديما، زميلتنا الجديدة هنتشرف بإنها هتشتغل هنا داتا إنتري من النهاردة.
انهال عليها الجميع بعبارات الترحيب، في حين استطرد أمير وهو يشير لبقية الزملاء واحدًا تلو الآخر ويذكر لها اسمه قائلًا:
- عمرو، أحمد، نورهان، سما، دي طبعًا مدمنة أفلام عربي وهندي ومعقدانا في عيشتنا هنا، أحسن لك ما تختلطيش بيها.
فاجئته ديما بقولها وهي تصافح سما في حرارة:
- واو، دة أنا بموت فيهم.

هتف أمير مازحًا:
- كدة يعني، على جثتي لو كملتو فيها شهرين على بعض.
ثم استمر في تقديم الزملاء قائلًا:
- ودة محمود، زي ما انتي عارفة كل شركة بيبقي فيها عصفورة، هو دة بقى العصفورة هنا فخدي بالك.
تجهم وجه محمود فغمغم أمير قائلًا:
- دي ظاهرة صحية مافهاش حاجة.
استنكر محمود قائلًا:
- يا سلام.
- أه، وبعدين مش أنت عارف إنك عصفورة.
- أه.
- طب خلاص مالك؟
تابع تقديمه قائلًا:
- ودة بقى كريم، مالناش دعوة بيه، مافيهوش أي مميزات خالص، هو تخين أه بس كويس.
انتهى من تعريفهم ببعض وأستلمت ديما عملها وكانت لا تهتم به البتة، أو بمعني أدق تعامله معاملة عادية كما تعامل بقية الزملاء، فلا تتحدث معه إلا بوجود سبب في العمل يستدعي ذلك، ومع هذا التمس لها العذر لكونها لا تعلم ما فعل من أجلها، بإيجاده للوظيفة ومن ثم ضمان تلك الوظيفة لها ـ فهي حتى الآن تظن أنها وصلت إليها بفضل مجهودها وكفائتها ـ بالإضافة إلى أنه يكفيه كونها بجانبه، ويراها يوميًا فيما عدا أيام العطلات بالطبع التي بدأ ـ لأول مرة في حياته ـ يستثقلها ويراها سخيفة وذلك لعدم رؤيتها فيها.
كان يختلس النظر إليها دومًا في أوقات متقاربة، وحين يشعر بالحنين لسماع صوتها يذهب إليها بحجج واهية خاصة بالعمل فيتحدث معها.
برغم أنها كانت تبدو من النوع المتحفظ والذي يميل إلى وضع حدود في العلاقة مع الجنس الآخر، إلا أنه كانت تكفيه تلك الكلمات المقتضبة التي تلقيها عليه،

لتروي له قلبه الظمآن فينتعش ويعود لينبض من جديد، فتعود الدماء للسريان في شرايينه إلى أعضاءه لتحييها لأجل معلوم، ومن ثم يعاود الكرة مرة أخرى عند انقضاء هذا الأجل وهكذا.

لاحظت سما ذلك السلوك وظلت تراقبه مدة، وكانت تفهم ما يدور بداخله ما دفعها للشعور بالشفقة تجاهه.

في إحدى المرات وبينما هو يجلس ساهمًا مالت سما نحوه تناوله بعض الأوراق، وقبل انصرافها همست في أذنه قائلة:

- وأخرتها؟

تطلع إليها بنظرات متسائلة؛ فرفعت رأسها لتختلس نظرة حيث تجلس ديما، ففهم على الفور ما تعنيه، وأصابه ذلك بقليل من الارتباك والحرج فحاولت رفع ذلك الحرج قائلة:

- تحب أكلمها لك، لو مكسوف يعني؟

تردد قليلًا وأشاح ببصره عنها لحظات، ثم عاد ليتطلع إليها ويقول:

- آآآ، على إيه مش فاهم.

- من غير إستهبال.

اخذ يفكر قليلًا ثم قال:

- لا، لا، بلاش.

- ليه؟

ظهر الأسى على ملامحه وهو يقول:

- هتتخطب قريب.

انتقل الأسى إلى ملامح سما وران بينهما صمت مطبق، قبل أن تربت على كتفه بحنان وهي تقول في شفقة:

- محدش عارف الخير فين، سيبها على ربنا.

أومأ برأسه تفهمًا فانصرفت عنه وقد أشعلت الألم في داخله من جديد، ولم يجد شيئًا يطفئ له ذلك الألم سوى أن يعاود التطلع إلى ديما، نعم فهي وحدها التي تستطيع أن تطفئ له أي ألم أو جرح، حتى وإن كانت هي المسؤولة عنه، ولم

تكن نظرة سريعة تلك المرة بل طالت لما يقرب من النصف ساعة حتى زال ذلك الألم، أو قلت حدته فقط إن أردنا الدقة.

***

انتهى دوام ذلك اليوم وهمت ديما بالانصراف فانتهز أمير الفرصة كي يرافقها ـ وكان قد أنهى عمله قبلها وظل ينتظر خروجها ـ ثم حاول جذب أطراف الحديث معها بينما هما في طريقهما إلى الخارج فقال:

- مش ناوية ترجعي تعملي الفيديوهات تاني؟

اكتفت بهز رأسها نفيًا دون أن تلتفت إليه، وهي تتابع المشي بخطوات سريعة فاستكمل حديثه وهو يحاول مجاراة خطواتها قائلًا:

- أنا عارف إن خطيبك مش موافق، بس مش بالضرورة تسافري، ممكن تعمليها هنا في القاهرة أو أي بلد قريبة تتراح في يوم صد رد، ومش بالضرورة تكون معالم أثرية ممكن تعملي عن أي حاجة غريبة تلفت نظرك أو مهمة، أو أماكن حلوة الناس يروحوها ويقضوا فيها وقت جميل، أو لو سايح جاي وعايز يعرف أهم الأماكن تبقي زي دليل ليه كدة، في أفكار كتير.

تطلعت إليه لأول مرة وقد راق لها اهتمامه بأمرها، ولاحظت سرعة خطواتها ومحاولاته الجاهدة لمسايرتها، فهدأت من سرعتها قليلًا ثم قالت:

- أنت لسة فاكر الموضوع دة؟

أجاب:

- هو الموضوع مش صغير عشان يتنسي.

- ازاي؟

- في نظرية في علم النفس بتقول، أي حد بيبقى عنده حاجة أو حاجات بيحبها، فلما بيعمل الحاجات دي بيبقى سعيد، بتديله طاقة إيجابية، وبتخرجه من ضغوطات الحياة وتمتص أثرها وبتحسسه إنه عايش، مع التكرار بيبقي الشخص سعيد، حتى لو الحاجة اللي بتحبها دي إنه يلعب في مناخيره، أنا نفسي أكتشف حاجات بحبها عشان اعملها وأحسس نفسي بالسعادة، بس للأسف ماعنديش.

أخذت تدير العبارات في رأسها ثم انفرجت شفتاها عن ابتسامة رضا وقالت:

- يهمك اوي سعادتي؟
ارتبك وتلعثم قائلًا:
- أه، أكيد.
تأملته قليلًا قبل أن تفاجئه بسؤالها:
- أنت اسمك أمير إيه؟
أسرع يجيب:
- أمير ناجي.
ثم تساءل بعدها قائلًا:
- إشمعني؟
- كلامك معايا دلوقتي فكرني بواحد كان بيكتب لي كومينتات بنفس الروح والمعاني، ومرة قلت نفس الكلام دة في نقاش على الصفحة.
صمتت بعدها تتأمله قليلًا ثم هتفت:
- إوعي يكون أنت، أنت اسمك ايه قلت لي؟
أسرع يجيبها مرة أخرى:
- أمير ناجي.
توقفت عن السير وسألت:
- أنت اللي كنت بتكتب الكومينتات دي؟
توقف بدوره وهو يجيب:
- ممكن.
- مش أنت حاطط صورة عمرو دياب؟
- أه، أنا، بس أنا مش فاهم دي كومينتات كويسة ولا وحشة؟
أجابت بإعجاب وحماس منقطع النظير:
- كلام جميل أوي طبعًا وفيه معاني جميلة، كنت بحب تعليقاتك وبستناها دايمًا، ما لاحظتش إن أنت الوحيد اللي برد عليه دونًا عن النص مليون؟
هز رأسه نفيًا وقال:
- بصراحة وبدون ما أقلل منك، لأ، بس إنتي ماكنتيش بتردي على الرسايل.

- أنا بتكلم ع الكومنتات، وأحيانًا كنت بزور صفحتك الشخصية وأقرى بوستاتك كمان، بجد تفكيرك ودماغك عاجبيني أوي أوي.
كانت مفاجأة بحق التمعت لها عيناه وهو يغمغم باسمًا:
- للدرجة دي، أنا حاسس إني بحلم.
ابتسمت بعدها وعادت لتقول بصوت شاعري:
- دي صدفة ماكنتش أتخيلها، فينك من زمان، كان نفسي أقابلك والله، بس مش عارفة ما ربطتش ليه، يمكن عشان ماكنتش حاطط صورتك فتخيلت شكل معين في دماغي.
لمس كلامها وترًا حساسًا في داخله؛ فاختفت ابتسامته ونكس رأسه في تلك اللحظة، ثم عاد ليرفعها ويقول:
- ماطلعتش طبعًا شبه الصورة؟
حافظت على ابتسامتها وهي تقول:
- لأ خالص، بس أنت مش مسؤول عن كدة، أنا بجد مبسوطة اوي.
لم يتوقف عند عبارتها كثيرًا فالكلام الذي تقوله في تلك اللحظة يشفع لها، وجديرًا بجعله ينسى أي شيء يقال في حقه.
ظلا يتبادلان نظرات الإعجاب قليلًا ثم ارتسمت على ملامحها علامات الحيرة والتردد، وانطفأ ذلك الحماس فجأة، قبل أن تشيح بوجهها عنه ثم تعود لتستأنف السير وهي تقول:
- نكمل كلامنا بكرة عشان حتأخر كدة.
سمح لها بالانصراف ووقف يتابعها بعينيه وهو لا يزال غير مصدق لما حدث، وبعدما اختفت عن ناظريه ظل محله قليلًا، ثم بدأ في السير وهو لا يزال شاردًا ساهمًا، وقلبه يرقص طربًا من ذلك الحديث معها وإخبارها إياه أنها كانت تتمنى رؤيته منذ زمن، واعتبر أن هذا الكلام تشجيعًا له وتصريحًا برغبتها في إقامة علاقة معه، وأورثه ذلك أملًا كبيرًا مما دفعه ـ بعد أن استقر في سيارته في طريق العودة ـ أن يمسك هاتفه الخلوي ويقوم بالدخول على تطبيق اليوتيوب وتشغيل أغنية تصف حالته بعنوان: "أحلامي بتناديها"، ويستمع إليها في طريقه

إلى منزله.
ما بقتش عايز حاجة خلاص، قدام عينيا أعز الناس.
لا هتعب ولا تاني هقاسي، قدام عينيا حبايبي وناسي
هنسي تعبي وهفضل ناسي، أيام ما كنت هضيع ببلاش
أيام أنا عيشت فيها، أحلامي بتناديها
أتاريها حاسة بيا، أتاريها عايشة ليا
ولا باين من عينيها
ما بقتش عايز حاجة خلاص، قدام عينيا أعز الناس
لو كنت عارف، إنها دايما تحلم بيا
وكل يوم، بيفوت عليها بتسأل فيا
ما كنتش غبت ولا اتعذبت كتير
لو على تعبي، حيهون عليا
أفضل أسير
مش هيكون، صعبان عليا
غير شوقها الكبير
ما بقتش عايز حاجة خلاص، قدام عينيا أعز الناس
قالوا ياما قلوب بتتلاقى، ماصدقتش
وإزاي هتقول مشتاقة، وأنا ما قدرتش
وبقالي ليالي، عايش مستني
بداري في حالي، غصب عني
ومن يوم ما عشقت أنا ما إرتاحتش
أيام أنا عيشت فيها، أحلامي بتناديها
أتاريها حاسة بيا، أتاريها عايشة ليا
ولا باين من عينيها
ما بقتش عايز حاجة خلاص، قدام عينيا أعز الناس

***

الفصل الرابع

كانت ديما في تلك اللحظات ترقد على فراشها شاردة أيضًا تفكر فيما حدث اليوم، وتوقفت عند كلام أمير لها وأخذت تعيده في ذهنها مرارًا وتكرارًا، كان كلام عقلاني يحمل في طياته كمًا من الأفكار الراقية والجيدة على المستوى الإنساني والتي أصابت قلبها مباشرة، فأي فتاة تتمنى أن ترتبط وتعيش مع شخص يفكر بمثل تلك الطريقة، أو على الأقل لا يكون على النقيض.

لا نستطيع أن نقول أنها أحبته وذابت في عشقه، فالحب لا يكون بمثل تلك السرعة، ولكن نستطيع أن نجزم بحدوث تلك الشرارة التي تصيبك لأول وهلة، حين تلمس تصرفًا تحبه ينم عن شخصية ستكون مثار إعجاب بالنسبة لك، فتنصرف عنه ولا تزال تفكر فيه وتعيد كلماته وتصرفاته في مخيلتك إلى أن يتطور الأمر إلى انجذاب، ويتحول ذلك الانجذاب إلى حب إذا حافظ ذلك الشخص على تلك الفكرة التي كونتها عنه، أو عززها بتصرفات هي محل إعجابك وتقديرك أيضًا.

هي لا تزال في مرحلة الشرارة الأولى، ولا يحتاج الموقف في العادة إلى اتخاذ قرار الآن، ولكن نظرًا لكونها مرتبطة بشخص آخر كان الوضع مختلف بالنسبة لها، لذلك أخذت تفكر فيما يجب عليها فعله، هل تفتح لأمير الطريق إلى قلبها وتعطيه الإشارة الخضراء لبدء علاقة، أو على الأقل لمعرفة كل منهما الآخر أكثر، أم تغلق ذلك الباب وتوصده وتستمر في علاقتها الحالية.

بدأت تقارن بينهما في عقلها وتساوت الكفتان، فخطيبها يتفوق بالمركز والشكل الخارجي، وأمير يتفوق بشخصيته وأفكاره الراقية وبالتالي تعامله معها.

جافاها النوم في تلك الليلة من التفكير في هذا الأمر، حتى استقرت في النهاية على بقاء الأمر كما هو عليه، وظلت تتقلب كثيرًا حتى راحت في سبات عميق.

جافى النوم أمير أيضًا، ولكن على العكس كان سعيدًا بما حدث اليوم، وأخذ يتخيل نفسه وقد ارتبط معها بعلاقة عاطفية، ويعيش كل معاني الحب ولم يكن

يعلم ما يخبئه له القدر وما ستؤول إليه الأمور.

***

في اليوم التالي وعلى عكس ما تخيل أمير لم تتحدث ديما معه، بل كانت تتجنب أيضًا النظر إليه وكأن شيئًا لم يحدث بالأمس، لدرجة جعلته يشكك في قدراته العقلية وأنه قد يكون توهم ما حدث.

بدأ القلق والتوتر يتملكاه ولم يستطع التركيز في عمله، وظل كذلك حتى منتصف النهار، ولاحظت سما ذلك فانتظرت حتى فترة الراحة فلحقت به بعد أن نهض واتجه للخارج وتحدثت إليه قائلة:

- مالك النهاردة؟

أجابها في اقتضاب:

- مافيش.

أصرت قائلة:

- لا مافيش ازاي، أنت في ملكوت تاني من أول اليوم.

تطلع إليها وابتسم قائلًا:

- إنتي متابعاني بقى؟

- دي حاجة تزعلك يعني.

- لأ أبدًا، دة اهتمام واجب أشكرك عليه.

ابتسمت بدورها ثم قالت:

- ديما برضه؟

أسرع يقول:

- هو في غيرها.

- إيه اللي حصل؟

- إحنا إتكلمنا إمبارح وكنا تمام، وقالت لي هنكمل كلامنا بكرة، وما سألتش فيا ولا بصتلي من ساعة ما جت النهاردة.

- ما تكلمها أنت.

- مش مشجعاني، بقولك مابصيتليش من أول اليوم.

- وإيه المشكلة؟
- مش عارف، حاسس إنها، مش عارف.
- مش قلت لي إنها هتتخطب قريب باين، يمكن دة السبب.
تسارعت دقات قلبه عند تذكيرها إياه بتلك الحقيقة المرة، والتي لم يعلم كيف غابت عنه ـ أو تناساها بمعنى أدق ـ وهو يرسم تلك الأحلام الوردية، هل عقله اللا واعي الذي يرفض تلك الحقيقة هو ما تسبب في جعل عقله الواعي يتغافل عنها أو يتناساها، أم أن كلامها معه بالأمس ونظرات الإعجاب المشجعة هما السبب في ذلك.
لم يجبها وأخذ يقلب الأمر في رأسه وقد شعر بإحباط وخيبة أمل شديدين، وظل كذلك حتى بعد عودته من الاستراحة، ولكن بعد مدة ليست بقصيرة قرر أن يحاول لفت نظرها، فسأل كريم والذي يجلس على مقربة منه قائلًا:
- ولا، مش محتاج ورق أوديه لديما؟
أجاب كريم سؤاله بسؤال آخر قائلًا:
- دة ليه يعني؟
ارتبك أمير وأجاب:
- لا أبدًا أنا كنت هعدي من جنبها فقلت بالمرة لو معاك شغل ليها يعني أخده معايا.
ابتسم كريم ابتسامة خبيثة وناوله عدة أوراق وهو يقول بلهجة ساخرة:
- طب ياخويا، خد الورق دة إديهولها.
تناول منه الأوراق بلهفة شديدة غير مبال بلهجته الساخرة، واتجه نحو مكتب ديما حتى توقف أمامها مباشرة، ثم أخذ يحك أنفه من الارتباك وقام بوضع الأوراق على مكتبها لتنتبه إليه في تلك اللحظة، فرفعت رأسها وأمسكت بالأوراق منه دون أن تنطق فتحدث هو قائلًا:
- كريم باعت لك الأوراق دي عشان تخلصيها.
أؤمأت برأسها تفهمًا دون أن تنبس ببنت حرف، فسألها في تردد:
- مش حضرتك برضه الآنسة ديما، اللي كنتي بتتكلمي معايا إمبارح لحد ما

وصلنا عند الباب؟
انفرجت شفتاها عن ابتسامة عريضة، انتقلت إليه قبل أن تقول هي:
- أيوة أنا ليه؟
أجاب:
- أصل الكلام اللي قلناه إمبارح مش لايق ع المعاملة اللي بتعامليني بيها دلوقتي، فرق ١٨٠ درجة.
أشاحت ببصرها عنه ومكثت صامتة لثوانٍ، قبل أن تعود لتتطلع إليه وتسأل:
- مالها المعاملة؟ أنا اتصرفت معاك بطريقة مش كويسة؟
- إنتي بتتكلمي وتبصي لكل الناس إلا أنا.
قالت بلهجة غير مقنعة:
- لأ أبدًا، بكلمهم لما يكون في سبب.
- لو في حاجة قوليها عادي، أنا مش هزعل.
لم تجبه فتابع كلامه قائلًا في محاولة لإثنائها عن موقفها:
- على فكرة أنا ماقابلتكيش صدفة زي ما انتي فاكرة.
نجح في جذب انتباها بتلك العبارة، فتركت ما كانت تقوم به فجأة وتطلعت إليه بنظرات عميقة، وقد بدا عليها الاهتمام الشديد وهي تسأل:
- إزاي مش صدفة؟
أجاب:
- مش هتصدقيني لو قلت لك إنك لما بطلتي تنزلي فيديوهات قلقت عليكي، وفضلت أدور عليكي لحد مالقيتك، وظبطت لك شغل هنا عشان أقدر أشوفك على طول، ونجحتك في الإنترفيو وسقطت كل الباقيين.
اتسعت عيناها في اندهاش وظلت برهة تستوعب كلامه قبل أن تقول:
- وليه كل دة؟
أجاب سؤالها بسؤال قائلًا:
- تفتكري هيكون ليه؟
لم تكن بحاجة إلى كثير من الذكاء لتدرك ما يرمي إليه، فخفضت رأسها ومكثت

برهة تقلب الأمر في داخلها، قبل أن تعود لترفع رأسها وتتطلع إليه وتسأله:
- وما قلتليش ليه وفضلت ساكت كل ده؟
أجاب:
- مش عارف، يمكن عشان مرتبطة.
صمتت برهة أيضًا قبل أن تسأل:
- عشان كدة كلام إمبارح فرق معاك أوي كدة؟
أجاب:
- أه، وإداني أمل كبير.
هزت رأسها متفهمة وقالت:
- بصراحة أنا كمان إتشديت لك من قبل ما أعرفك، وإتشديت لك أكتر من بعد ما عرفتك، بس.
صمتت قليلًا وبدا عليها التردد للحظات قبل أن تكمل كلامها قائلة:
- زي ما أنت قلت أنا مرتبطة وبجهز لخطوبتي، يعني ما ينفعش أكلم وأعمل علاقة مع حد، والكلام اللي قلتهولك إمبارح مكانش ينفع اقولهولك.
قاطعها متسائلًا:
- هو دة السبب بس يعني؟
قالها وتطلع إلى عينيها مباشرةً نظرًا لأهمية إجابة ذلك السؤال لديه، ولكي يتأكد أنها لا ترفضه لمظهره، فالعينان لا تستطيعان الكذب كاللسان.
تحاشت النظر إلى عينيه وارتبكت قليلًا قبل أن تجيب قائلة:
- أه.
ثم عادت لتنظر إليه وتسأل:
- إشمعني؟
- يعني لو كان واحد تاني شبه اللي تخيلتيه كان هيبقي برضه دة موقفك؟
ضمت حاجبيها في تساؤل، ثم مطت شفتيها في استياء مما يرمي إليه وأجابت بلهجة غير مقنعة:
- أكيد طبعًا.

تطلع إليها في ريبة وشك قبل أن يعود ليسألها:
- إنتو بتحبو بعض ولا صالونات؟
زفرت في ضيق وكأنها تكره تذكيرها بذلك وقالت في أسف:
- صالونات.
- يعني مش بتحبيه ولسة ع البر؟
تطلعت إليه في تحفز وقالت:
- قصدك ايه؟
- قصدي إنك ما تستعجليش، وتعيدي تفكير في الموضوع تاني.
قالها وتطلع إلى عينيها في ترقب قبل أن تغمغم قائلة:
- بس دة ما يمنعش إني حبيته بعدها، وأنا فكرت خلاص، وخدت قرار.
بالتأكيد كان القرار هو ألا تستمر في علاقتها معه أو لا تبدأها على وجه الدقة، بدليل تصرفها معه منذ صباح اليوم، وهذا ما استنتجه أمير الذي مط شفتيه في يأس واستسلام، وصمت لحظات قبل أن يزفر في ضيق، ثم هم لينصرف إلا أنه عاد ليقول:
- طب ما تدي لنفسك فرصه و،
قالت بلهجة المغلوب على أمره:
- ما ينفعش، الوضع ما يسمحش.
بدا واضحًا عدم جدوى الاستمرار في هذا النقاش، فأسرع يغير مجرى الحديث وهو يمد يده لمصافحتها قائلًا:
- طب ممكن نبقى أصحاب؟
ابتسمت ثم صافحته في حماس وقالت:
- أكيد طبعًا.
اغتصب ابتسامة بدت باهتة على شفتيه، ثم أنهى النقاش بإيماءة من رأسه، قبل أن يلتفت لينصرف عنها عائدًا إلى مكتبه.
رغم أن عبارتها الأخيرة لا تعني شيئًا أكثر من معناها الظاهري، إلا أنه شعر ببعض الراحة وبصيص أمل لا يدري سببهما، قد يكون بسبب نفي كون مظهره

ولون بشرته هما السبب في امتناعها عن أن تفتح له قلبها، رغم الاحتمال القائم أن تكون غير صادقة، وإنما لم ترد أن تسبب له حرجًا، ولكنه اعتاد أن ينظر إلى نصف الكوب الملآن، وهو الاحتمال الآخر وكونها صادقة في كل ما قالت.

***

على عكس ذلك اليوم اختلفت معاملة ديما معه تمامًا، فكانت ودودة بشوشة تشركه في أمور العمل وحتى أمور حياتها الشخصية لتأخذ منه المشورة، وكانت تسأل عنه إذا غاب دون غيره من الزملاء، مما زاد من حيرته ولكنه غض بصره ونفض تلك الأفكار عن ذهنه، فالمحب لا يريد من محبوبه سوى أن يراه ويحادثه ويستمع إليه ويعامله بود ويهتم لأمره، وكل تلك الأشياء في متناوله الآن وكأنها علاقة حب حقيقية، ينقصها أمران فقط هما العيش سويًا وتبادل عبارات الحب، وهي أمور يمكن التغاضي عنها أيضًا فهو يعيش معها ثلث اليوم تقريبًا، وهو لا يهمه التصريح بالحب والعواطف طالما تقال بلسان الحال وتترجم في التصرفات. شعر بالرضا وهو يقوم بتحليل الموقف ويصل بتفكيره لتلك النتيجة، في إحدى الليالي التي أبى فيها النوم أن يأتيه.

لأول مرة في حياته كان أمير يستحث الساعة على المضي ـ بعد انصرافه من العمل ـ لكي يعود في اليوم التالي فيحيا أجمل اللحظات حين يراها ويتحدث معها وينعم بقربها، ويستحثها على التوقف عند وصوله للعمل لألا يأتي وقت الانصراف فيذهب عنها، وكان يحمل هم تلك اللحظة الكئيبة التي تدق فيها الساعة في الرابعة تمامًا معلنة عن وقت انصرافهم، والتي تشكل عبئًا ثقيلًا بالنسبة إليه بعكس السابق.

أصبحت ديما بدورها تشعر بمثل تلك الأحاسيس التي وصفناها في السطور السابقة والتي لا تجدها مع خطيبها المستقبلي، أي لا تتلهف لرؤيته ولا تسعد بقربه بحكم أن العلاقة علاقة زواج تقليدية، ورغم هذا كانت ترفض الاعتراف بوصفه حبًا، وتصر على اعتبارها صداقة عادية، كما صرحت له بذلك في أخر نقاش دار بينهما بخصوص ذلك الأمر، قبل أن تغلق يومها باب التفكير في ذلك الموضوع تمامًا، وتقرر استمرار الوضع على ما هو عليه.

في أحد الأيام لم تجد ديما أمير في مكتبه، فبحثت عنه حتى وجدته في حجرة مدير قسم الحسابات يتناقش معه في أمر من أمور العمل، فقامت بانتظاره خارج الحجرة وعقب خروجه أسرعت تقول بلهفة:
- أنت هنا وأنا عمالة أدور عليك.
أسرع يسالها:
- ليه في ايه؟
- عايزة أسلم عليك قبل ما أروح.
- ما لسه بدري؟
- هستأذن من المدير وأمشي بدري النهاردة عشان أجهز حاجة الخطوبة.
- إنتو حددتوا معاد الخطوبة؟
- الخميس الجاي، سلام بقى.
انصرف عائدًا إلى مكتبه وأسرعت هي بالدخول إلى حجرة المدير الذي استقبلها بابتسامة عريضة ومبشرة، بل ونهض ليسلم عليها وهو يقول:
- أهلًا وسهلًا، أنا لسه كنت هبعتلك حالًا.
سألته في اندهاش:
- تبعت لي أنا؟ خير؟
عاد إلى مجلسه وتابع بنفس الابتسامة:
- أنا اخترتك دونا عن كل موظفين الشركة عشان تبقي سكرتيرتي الخاصة، ودة نظرًا لإنك قدرتي تثبتي كفائتك في وقت قصير جدًا.
فغرت فاهها بدهشة عارمة قبل أن تقول:
- هو أنا لحقت أشتغل لما هثبت كفائتي، وبعدين أنا ما بعملش حاجة صعبة يعني.
انتهز المدير تلك العبارة ليقول:
- الخبرة خلت عندي نظرة أميز بيها الموظف الكويس من قبل ما يخطي عتبة القسم بتاعي.
سألته قائلة:

- والشغل اللي أنا بعمله؟
- هتعمليه برضه، لأن شغل السكرتارية مش صعب، إنتي هتنظمي مواعيدي واجتماعاتنا بس مش أكتر.
لاحظ عدم الارتياح من نظراتها فتابع:
- ومرتبك هيزيد طبعًا على فكرة.
حانت منها نظرة نحو باب الحجرة قبل أن تسأل للمرة الثالثة:
- ومكتبي هيكون فين؟
أجاب مسرعًا:
- هنا جنبي في نفس الأوضة.
حدقت فيه بدهشة عارمة قبل أن تشيح ببصرها عنه لثوانٍ، ثم تعود لتحادثه قائلة في تردد شديد:
- أنا سعيدة بثقتك دي، بس بعتذر عن المنصب دة، أنا مبسوطة بشغلي دة ومكتفية بيه بصراحة، وما أعتقدش إني هقدر أعمل حاجة تانية، ومش هركز بصراحة.
تحولت بشاشته إلى ابتسامة سخيفة وهو يقول:
- طب خدي وقتك وفكري.
- لأ أنا دة قراري ومش هيتغير.
ابتلع تلك الابتسامة وتجهم وجهه وهو يقول في سخط واضح:
- طب إنتي كنتي عايزة إيه؟
تمتمت في ارتباك:
- كنت محتاجة أستأذن ساعتين بدري عشان نازلة أشتري الشبكة وكدة، عقبال أولادك.
أسرع يقول في صرامة:
- لأ طبعًا مش هينفع.
- ليه يا فندم؟
- في شغل كتير، ما ينفعش حد يمشي بدري.

- أنا ماعنديش حاجة أعملها، خلصت كل حاجة.
تسمر قليلًا قبل أن يتناول عدة أوراق موضوعة أمامه ويناولها إياهم قائلًا:
- خدي الشغل دة متأجل من إمبارح ولازم يخلص النهاردة، عشان هعرضه في الاجتماع بكرة الصبح، بيضيه في بريزينتيشن وهاتيه.

***

رأى أمير ديما تعود وتجلس على مكتبها والحزن وخيبة الأمل يكسوان وجهها، فنهض واتجه إليها ثم سألها قائلًا:
- مالك في إيه، وبعدين ماروحتيش ليه؟
قالت في ضيق شديد:
- المدير مارضيش.
- ليه؟
- كان في شغل عايزني أخلصهوله وقال ماينفعش يستنى لبكره.
- فين الشغل ده؟
أشارت إلى عدة أوراق موضوعة أمامها على المكتب، فأمسك بها وتصفحها قبل أن يعلق قائلًا:
- هو دة بس يعني؟
هزت رأسها إيجابًا وقالت:
- أيوة.
أسرع يقول:
- طب أنا ممكن أعمله بالنيابة عنك وروحي إنتي.
رفعت رأسها إليه ومكثت برهة صامتة تدير ذلك العرض في رأسها، قبل أن تتمتم متسائلة:
- هتعرف؟
سخر من سؤالها قائلًا:
- إيه يا ماما، فوقي، إنتي فكرتي نفسك ملحق عسكري ولا وزيرة البترول والقوى العاملة، دة إنتي حيالله داتا إنتري.

اختطفت منه الأوراق وهتفت غاضبة:
- كدة، ربنا يسامحك.
استدرك قائلًا:
- في إيه هو أنا شتمتك؟
قالت في حنق:
- طب اتكل على الله يالا وروح شوف شغلك.
اعتذر ليسترضيها قائلًا:
- خلاص أنا آسف، أنا اللي دانا إنتري وستين داتا إنتري كمان.
ثم أمسك بالورق وأشار لها أن تتبعه إلى حجرة المدير قائلًا:
- تعالي أنا هقنعه يروحك وأكمل شغلك.
تبعته إلى حجرة المدير الذي تطلع إليهما في تساؤل واضح، فأبتدره أمير بلطف قائلًا:
- كنت بستأذن حضرتك بس تسمحلها تروح، لإن عندها ظروف، وأنا هعملك الشغل ده.
سأله المدير قائلًا:
- هتعرف تعمل الشغل ده؟
شعر بالراحة من تجاوبه فأسرع يجيب:
- أيوه طبعًا، ما أنا كنت بعمله قبل ما هي تيجي، من باب المساعدة لكريم يعني.
صمت المدير قليلًا وأخذ ينقل بصره بينهما، قبل أن يهز رأسه علامة الموافقة ويقول:
- أوكيه، مافيش مشكلة.
تهللت أسارير ديما وقام أمير بشكر المدير وأنصرف كلاهما، ولم تنس ديما أن تعلق مازحة:
- ما إتريقتش عليه ليه لما سألك هتعرف تعمل الشغل دة زي ما عملت معايا؟
أجاب في بساطة:

- مافيش، أنا خفت يتضايق ولا حاجة، فما يوافقلكيش ع الإذن.
قالت في خبث:
- خفت مايوافقليش ع الإذن ولا خفت يرفدك؟
قالتها وأطلقت ضحكة استهزاء استفزته فصاح مهددًا إياها:
- والله هتخليني أرجع في كلامي.
استدركت قائلة:
- لأ، خلاص خلاص.
ثم تمتمت ضاحكة:
- ناس تخاف ما تختشيش.
حدجها بنظرات غاضبة قائلًا:
- دة بدل ماتشكريني إني حليتلك مشكلة، طب والله هرجعله بجد.
هم ليلتفت عائدا إلى حجرة المدير إلا أنها منعته بيدها وقالت بنفس المرح:
- دة واجب عليك، إحنا مافيش بيننا شكر والكلام دة.
ابتسم وهو يقول:
- سجد في المنجد، ماشي يا ستي، إتكلي على الله يالا.
أسرعت تلملم أشياءها وتنصرف لألا ينفذ وعيده، ولم تلحظ تلك الابتسامة الهادئة التي ارتسمت على شفتيه رضا بما صنع من أجلها، والسعادة التي أحدثه لها، فمن شيم المحب الرغبة الدائمة في إسعاد محبوبه وبذل الغالي والنفيس في سبيل ذلك.

***

تأبطت ديما ذراع ذلك الشاب الوسيم ممشوق القوام والذي ينتوي خطبتها، وهما يجوبان ذلك المول التجاري الذي يحوي عدد من محال المجوهرات، لينتقيا الأساور والحلي اللازمة لإتمام العرس.
في أحد المحال كانت ديما تقوم بالاختيار بين الأطقم المعروضة، وقد بدا عليها الحيرة وهي تنتقل بينهم، وطال انتظار الشاب الذي بدأ يتأفف وهو ينظر إلى ساعته ثم هتف في حنق:

- ما تخلصي بقى.
تطلعت إليه في ضيق وهتفت بدورها في استنكار:
- في إيه يا شهاب؟
- بقالنا ساعتين بنلف، ومافيش حاجة عاجباكي، وكل محل تقعدي فيه ساعة وفي الاخر ما يعجبكيش حاجة.
- أنا محتارة بين عقدين السوليتير دول، بس إستقريت ع الخاتم.
- يعني يوم ما يعجبك، يعجبك إتنين، وتحتاري بينهم.
قالها والتفت إلى البائع ثم سأله قائلًا:
- بكام دول؟
أجابه البائع:
- دة ١٨٥ ألف، والتاني ١٧٠ ألف.
مط شهاب شفتيه في أسف وقال:
- للأسف مش هينفع.
تطلعت إليه ديما في اندهاش وسألت:
- مش هينفع ليه؟
التفت إليها وقال في حزم:
- إحنا مش إتفقنا على ١٥٠.
- مافرقتش يعني.
قاطعها في حدة قائلًا:
- لأ فرقت، أنا كنت عامل حسابي على ١٠٠، وأهلك هما اللي أصرو على ١٥٠، تقومي تقولي لي ١٨٥ ولا ١٧٠، لأ أسف مش هينفع.
حاولت إثنائه عن موقفه قائلة:
- طب هدفع الفرق من معايا.
أصر قائلًا:
- لأ طبعًا.
- ليه؟

- هتحرجيني قدام الناس كدة، وأولهم أبوكي وأمك.
حاولت أن تستجدي عطفه قائلة بطريقة طفولية:
- أنا مافيش حاجة تانية عاجباني.
- خدي أي حاجة.
- إزاي يعني أي حاجة؟
- ما كله دهب وخلاص.
هتفت في سخط:
- أولًا دة مش دهب، ثانيًا مش عايزة حاجة خلاص.
تجاهلها وهو يلتفت إلى البائع ويقول:
- هاتلنا أي طقم بس يكون أقل من ١٥٠.
أغضبها تصرفه فهتفت في ضيق:
- إبقي إلبسهم أنت بقى.
انصرفت بعدها غاضبة وتركت شهاب الذي لم يبال بها، وهو يلتفت إلى البائع الذي كان قد أحضر مجموعة أخرى ويسأله:
- بكام دة؟
أجابه:
- ١٥٠.
- طب ماشي هاخده، لفهولي.
حدق فيه البائع بدهشة وهو يتمتم مستنكرًا:
- ألفهولك؟
أجابه:
- أقصد حطهولي في كيس.
أطاعه البائع قبل أن يناوله شهاب الثمن الذي طلبه، ولم ينس أن يتفاوض معه قليلًا لعمل خصم ثم يأخذه وينصرف.

***

في اليوم التالي كانت ديما تجلس صامتة متجهمة وهي تؤدي عملها، ولاحظ أمير

ذلك فذهب إليها وسألها:
- مالك في إيه؟
قالت في اقتضاب دون أن تنظر إليه:
- مافيش.
تطلع إليها في شك ومكث قليلًا قبل أن يستدرك قائلًا:
- أنا ما أقصدش أتدخل في حاجة والله، كنت حابب بس أتطمن عليكي.
شعرت بالحرج فتطلعت إليه تلك المرة وهي تقول:
- في موضوع كدة بس مضايقني.
بدت وكأنما لم ترد إخباره فقرر أن يحترم رغبتها، وهم لينصرف وهويقول:
- أتمنى يكون الموضوع بسيط ويعدي بسرعة.
تركها واتجه إلى مكتبه دون أن يلحظ نظراتها التي تبعته، قبل أن يعود كل منهما لينشغل بعمله.
خلال فترة الاستراحة وبينما كانوا في الكافتيريا للحصول على غدائهم، بدت ديما أحسن حالًا تمازح زملائها وتضحك معهم، ما دفع أمير لأن يعلق قائلًا:
- أيوة كدة فكيها، مافيش حاجة تستاهل.
ابتسمت في مرح وقالت:
- معلش والله ماتزعلش مني.
ابتسم بدوره وقال:
- أبدًا، أزعل من إيه، إنتي ماقلتيش حاجة تزعل.
- عشان طريقتي.
- لأ خالص، مالها طريقتك، أنا لما ببقى متضايق اللي بيجي يكلمني بتعصب عليه، دة لو ما عورتوش بأي حاجة، إنتي كدة كيوت أوي، جيتي على نفسك وابتسمتي في عز ما انتي متضايقة ودي تتحسب ليكي مش عليكي.
- بجد؟
- أه، لإنك حاولتي تحافظي على مشاعر غيرك، أي نعم ابتسامة مصطنعة بس أوك.

تأملته قليلًا ثم قالت:
- لو كل الناس بيبصو للإيجابيات مش السلبيات مكانش دة بقى حالنا.
ابتسم لعبارتها التي أسعدته كثيرًا لما فيها من مدح ـ بحسب اعتباره ـ فمن يحب شخصًا يتلهف لأي عبارة تقال في حقه من محبوبه، فكما هو معلوم أن المحب يرى الكلام المسيء من محبوبه كلامًا عاديًا ويلتمس له الأعذار، كذلك قد يرى الكلام العادي مديحًا.
تسلم طعامه وكذلك هي، ثم مشيا قليلًا قبل أن يتوقفا أمام إحدى الطاولات، ليسحب كرسيًا ثم يجلس ويشير لها بالجلوس فتطيعه، ويبدآ بعدها في تناول طعامهما، ومكثت دقائق قبل أن تسأله:
- عايز تعرف إيه اللي كان مضايقني؟
أجاب:
- ما دام نسيتيه مافيش داعي أفكرك بيه، فكري في حاجة إيجابية.
- لأ هقولك، إعتبرني نكدية، مش بتقولوا إن الستات نكديين؟
ابتسم وقال:
- مين قال كدة؟
أشارت إليه برأسها وقالت:
- إنتوا.
أخذ يتلفت حوله ثم قال:
- إنتوا إيه أنا لوحدي حضرتك.
ضحكت في مرح وقالت:
- إنتوا الولاد، بتقولوا كدة ، فاكرني مش عارفة ولا إيه؟
فاجأها بقوله:
- بس أنا شايف غير كدة.
سألته في اهتمام:
- شايف إيه؟
أجاب في بساطة:

- مش نكديين ولا حاجة.
- لأ ما تجاملنيش.
- مش بجاملك والله، حفهمك ليه بيقولوا كدة.
- ليه؟
- بصي، الستات عواطفهم كلها قريبة يعني أقل حاجة تفرحهم وأقل حاجة تزعلهم، أقل حاجة تضحكهم وأقل حاجة تبكيهم، أقل حاجة تقلقهم وأقل حاجة تخوفهم، فالشخص اللي أقل حاجة ممكن تفرحه، معدل فرحته بيكون أكتر، وكذلك اللي أقل حاجة ممكن تضايقه، معدل زعله بيكون أكتر، والراجل بطبعه جبلة، فالموضوع اللي هي معتبراه يضايق بالنسبة له عادي، زي عدم الاهتمام ونسيان عيد ميلادها وجوازهم، فلما تزعل بيفتكر إنها بتحب النكد، لإن الموضوع بالنسبة له مايزعلش فتصرفها بالنسبة له مش طبيعي، فاهمة؟
كانت تستمع إليه في اهتمام وإعجاب فهزت رأسها إيجابًا ثم غمغمت:
- تصدق تحليل منطقي وأول مرة أخد بالي منه.
تابع كلامه قائلًا:
- بس على فكرة، أنا بعتبرها حاجة كويسة إن ربنا خلقها كدة عشان مانتعبش في إننا نرضيها، ندي السبت حاجة بسيطة ونلاقي الحد والاتنين والتلات والاربع.
سكتت برهة ثم قالت:
- طب بالنسبة لإتهامكوا لينا بإننا تافهين، عندك ليها رد بالمرة عشان أقولهولهم.
أجاب بنفس البساطة:
- إنتوا مش تافهين، إنتوا بتهتموا بالحاجة الكبيرة والصغيرة وتعملوها بنفس الإتقان، ودي حاجة كويسة، لإن لولا كدة كان حاجات كتير في حياتنا باظت، فإحنا بقى ما بناخدش بالنا من الحاجات الكبيرة، وبناخد بالنا من الحاجات الصغيرة واهتمامكوا بيها بنفس القدر والإتقان وبتاخدوا وقتكوا وتعاملوها نفس المعاملة يعني، فاللي بيشوف اللقطة دي بس أكيد هيقول كدة.
هزت رأسها موافقة إياه قبل أن تقول:
- طب إنتوا بتقولوا علينا أغبيا برضه؟

استنكر قائلًا:
- إنتي بتتبلي عليا ليه؟ انا ماقلتش حاجة.
استدركت قائلة:
- أنا أقصد الولاد هما اللي بيقولوا.
أجاب:
- الراجل والست كل واحد ليه إطار من المنطق الخاص بيه ومختلف عن التاني، فهما شايفينهم كدة لأنهم بيبصوا ويحكموا من منطقهم وزاوية رؤيتهم، وبالتالي لازم يشوفوه كدة.
ظلت صامتة تستوعب كلامه قبل أن يتابع ضاحكًا:
- أي نعم هو منطق متخلف، بس دة مش شغلنا.
أطلقت ضحكة مرحة وهي تضرب يده الموضوعة على الطاولة:
- أنت بوظت كل اللي عملته.
ثم قالت وكأنما تذكرت شيئًا:
- صحيح، خلينا في موضوعنا، أنا كنت متضايقة عشان حاجة كدة حصلت امبارح.
قالتها ثم أردفت ضاحكة:
- بس حاجة تضايق فعلا مش لإني ست وكده.
ابتسم لدعابتها ثم أخذ يستمع إليها في اهتمام، وهي تحكي له ما حدث بالأمس مع شهاب خطيبها المستقبلي.

***

انتهت ديما من قصتها قبل أن يسألها أمير قائلًا:
- طب إشتريتوا الطقم ولا لأ؟
أجابت:
- أنا سيبته ومشيت، بس اشترى طقم تاني أرخص وجابه البيت، قال ويقول لي ما كله دهب وخلاص.
تمتم أمير قائلًا وكأنما يحادث نفسه:

- عنده حق.
حدقت فيه بدهشة قليلًا ثم هتفت محنقة:
- هو إيه دة اللي عنده حق؟
تفاجأ بسؤالها فبدا عليه الحرج وهو يقول:
- إيه دة، هو أنا قلت الجملة دي بصوت عالي؟
صاحت قائلة:
- أه قلتها بصوت عالي.
تراجع قائلًا:
- أنا آسف.
ثم اعتدل في كرسيه وقال:
- بس بدل ما تضايقي نفسك كنتي تفكري في حل عملي للموضوع.
سألته في حيرة:
- عندك حل؟
أجاب بثقة:
- دي حلها أسهل من السهل مش محتاجة حد عبقري يعني، على رأي عمرو أديب.
جذبتها تلك الثقة التي يتحدث بها، ثم بدا عليها الاهتمام وهي تسأله:
- إيه هو؟
- مش كنتي مستعدة تدفعي الفرق؟
- أه.
- خلاص روحي رجعي الطقم وإدفعي الفرق وخدي التاني.
- هيتضايق.
- ما انتي مش هتقولي له.
- أيوة بس لو عرف هتبقي مشكلة.
- هيعرف منين إذا كان بيقول لك كله دهب وخلاص، وبيقول للراجل لفهم لي.
- طب أنت شايف إيه؟

- تجيبي الطقم معاكي بكرة وهاجي معاكي نغيره، وأوصلك بيتكوا عشان محدش يهجم عليكي ويسرقك لما يشوفك طالعة لوحدك من محل مجوهرات.
هزت رأسها علامة الموافقة وقالت:
- أوك اللي تشوفه.
قالتها ثم أردفت وكأنما تحدث نفسها:
- مش عارفة إزاي الفكرة دي ما جاتش في بالي.
مازحها أمير قائلًا:
- ما عشان إنتوا أغبيا.
أطلقت ضحكة مرحة أثلجت صدر أمير الذي اكتفى بابتسامة عريضة، وأنهمكا بعدها في تناول طعامهما دون أن ينبس أحدهما ببنت كلمة، إلا أن أمير كان يتطلع إليها خلسة بين الحين والأخر بعينين ملأهما الحب والسعادة لنجاحه في تبديل حالتها، وظلا كذلك صامتين حتى انتهيا من تناول طعامهما وعادا إلى تأدية عملهما.

***

"أنا مش فاهمة إنتي واخداني معاكي ليه!"
نطقت سما بتلك العبارة في تعجب موجهة حديثها إلى ديما، وهما يقطعان الممر المؤدي إلى خارج الشركة، بعد انقضاء مواعيد العمل قبل أن تجيبها ديما قائلة:
- أنا واحدة مخطوبة ماينفعش أخرج مع شاب غريب لوحدينا.
- طب هو أمير فين؟
- سبقنا عشان يسخن العربية.
وصلا إلى حيث ينتظرهما أمير في سيارته واستقلا معه السيارة، قبل أن ينطلق بعدها وسط شوارع القاهرة، متجهًا نحو ذلك المول التجاري حيث يقع محل المجوهرات.
في الطريق تحدثت سما إلى أمير قائلة:
- شغلنا أغاني.
قام بتشغيل أغنية للمطرب عمرو دياب فهتفت سما متسائلة:

- ماعندكش غير عمرو ولا إيه؟
أجاب:
- ما إنتي اللي طلبتي.
- أنا قلت شغل أغاني.
- ما هو شغل أغاني يعني عمرو، عايزة أي حد تاني تقولي اسمه، وع العموم ماعنديش غير عمرو.
- ليه؟
- هو اللي بيطربني وبس.
- في مطربين تانيين صوتهم طربي.
- الطرب مش بيبقي بالصوت وبس دة فهم ضيق، الطرب بالصوت مع الألحان اللي تهز مشاعرك ووجدانك، مع المزيكا اللي بتخدم دة، بالآلات والمكس، والكلام دة عمرو الوحيد في العالم كله اللي بيعمله بأحسن شكل ممكن، وفي كل الأغاني اللي في الألبوم كمان، أي مطرب بيعمل أغنيتين تلاتة بالكتير حلوين بالشكل دة والباقي أي حاجة، تحسي إنه كلام بيتقري ومافيش لحن تقريبًا، أي حاجة يملا بيها الألبوم وخلاص.
صمت قليلًا قبل أن يضيف:
- والناس بقى اللي بيقولوا إن كلامه مافهوش عمق هما اللي ما بيفهموش، لإنهم بصوا للأغاني السريعة ودي ما ينفعش يبقى فيها عمق، هي رسالتها السعادة اللي بتعملهالنا وماحدش بيركز ع النقطة دي غيره، الباقي كله بقى فيه عمق ومعاني، عمرو دياب مزيكته متفوقة بكتير لو قارنتي بينه وبين أي حد، كلمة عالمي بتظلمه لإنه أكتر من عالمي، دة لو كان طلع في أمريكا كانوا عملوله تمثال في المدخل.
- مدخل إيه؟
- مدخل أمريكا العمومي.
لم يبتسم أحد لدعابته فاستطرد:
- عمرو دياب يعني عظمة الفن، يعني احترام لجمهوره اللي وثق فيه.

صمت قليلًا ثم أضاف:
- تعرفي إحنا عندنا تلات أعياد في السنة.
- أنا عارفة الإتنين، التالت إيه؟
- اليوم اللي ألبوم عمرو دياب بينزل فيه.
- بتحبه أوي كدة؟
- دة أنا بنام على أغانيه وبصحى عليها برضه.
- تنام معقولة لكن تصحى إزاي؟
- المنبه.
أنهى أمير عبارته في اللحظة التي وصلوا فيها، فترجلوا إلى محل المجوهرات وفاجأهم البائع برفضه استرجاع الطقم قائلًا:
- أسف والله ماعندناش ترجيع.
هتفت ديما ساخطة:
- أنا مش هرجع أنا هبدل وأديك الفرق.
- ما هي نفس الفكرة.
بعد فترة جدال استسلمت ديما وهمت لتخرج من المحل، إلا أن أمير استوقفها وتناول منها العلبة المخمليه التي تحملها، وأعادها للبائع قائلًا في حزم:
- إزاي يعني مش هتبدله.
أجاب الرجل في استخفاف:
- دي تعليمات صاحب المحل.
- التعليمات دي على نفسه مش علينا.
- على أي حد.
حاول أمير إقناعه قائلًا:
- دة إحنا هندفع لك فرق، يعني هتستفيد.
أصر قائلًا:
- لأ، برضه.
صمت أمير لبرهة ثم عاد ليقول في برود وثقة:

- طب تحب أشتكيك في جهاز حماية المستهلك، وساعتها غصب عنك هترجع الطقم، ومش هبدله حتى، هرجعه وهاخد فلوسي، وأعتقد أن دة مش هيعجب صاحب المحل.

هتف الرجل بوقاحة شديدة:

- إبقي قابلني لو حد رد عليك.

- أوك نجرب ونشوف مش هنخسر حاجة، ولو مش كدة هجرسك ع النت وأخليلك محلك ده بينش، يلا بينا.

التفتوا للانصراف في حين بدا التردد والقلق على ملامح البائع، الذي أخذ يقلب الأمر في رأسه قبل أن يقول:

- طب أنا عندي حل.

التفت إليه الجميع في آن واحد وهتف أمير:

- إيه هو؟

- أنا ممكن أشتري الطقم منكوا كإنكوا بتبيعوه عادي، وأبيع لك الطقم اللي إنتوا عايزينه.

هتفت ديما:

- أوك موافقة.

استنكر أمير قائلًا:

- موافقة إيه، ده هيشيل تمن المصنعية، يعني مش هيشتريه بتمنه.

ثم عاد يحادث البائع قائلًا في صرامة بالغة:

- من حقك تستنصح ومن حقي أرفض، أنت هترجعوا وتديني التاني وتاخد الفرق وبس، رد بآه أو بلأ، مش عايز اقتراحات تانية.

هز البائع رأسه في استسلام موافقًا دون أن ينطق، وقام بأخذ العلبة القديمة وأعطاهم الطقم الذي أعجبها، قبل أن ينصرفوا والسعادة تكاد تقفز من عين ديما التي لم تنس أن تشكره قائلة:

- ميرسي أوي ع اللي عملته.

أجابها باسمًا:

- لا ميرسي على واجب.
غمغمت:
- أحلي حاجة إن مع إنك مش مقتنع بس حليت لي الموضوع.
مط شفتيه وقال في هدوء:
- قلت لك قبل كدة طالما حاجة بتحبيها وهتسعدك حتى لو مش مقتنع بيها المفروض أعملها لك.
هزت رأسها في امتنان دون أن تعلق، ولم يتحدث أحد طوال طريق العودة وقام أمير بإيصال كل من ديما وسما إلى منزليهما.
لا يستطيع أمير أن ينكر أنه ـ رغمًا عنه ـ يتعامل معها وكأنهما حبيبان ويعتبر لقائهما وكأنه لقاء غرامي، ويبدو ذلك جليًا من نظراته التي تقطر حنانًا، وحديثه الذي لا يخلو من دفء وهيام، واهتمامه الذي يفوق اهتمامه بأي شخص آخر سواها حتى وإن كان هو، بل وإخلاصه لها أيضًا فهو لا يستطيع أن يرى غيرها ولا يرغب في ذلك، أما هي فقد بدأت ترتاح كثيرًا إليه وتجد فيه سكنًا لها، ومصدرًا لأحاسيس تمنتها وتفتقدها في علاقتها الحالية.

***

في اليوم التالي لم يأت أمير إلى العمل في موعده ما أشعر ديما بالقلق، فهاتفته لتطمئن عليه ودار بينهما الحديث التالي:
- إزيك عامل ايه؟
- الحمد لله، في حاجة ولا إيه؟
- لأ أبدًا، أصلك إتاخرت شوية فقلت أتصل أشوف مالك؟
- لأ مافيش بس في حادثة موقفة الطريق.
- آه، طب اوك ماشي.
أغلقت ديما الهاتف وبعد وصول أمير توجهت إليه، وقامت بدعوته لحفل خطوبتها وهي تناوله بطاقة الدعوة قائلة في سعادة:
- أنا خطوبتي بعد بكرة لازم تيجي.
رسم ابتسامة عريضة على شفتيه وقال:

- مبروك، ربنا يتمم لك بخير.
أجابت في مرح:
- إن شاء الله، هروح بقى أعزم باقي الناس، أنا قلت لازم تبقى أول واحد أعزمه.
تركته وأخذت تمر على بقية الزملاء لدعوتهم وهم يتمنون لها الحظ السعيد، وأخذ أمير يراقبها وهو يشعر بسعادة مصدرها هي رؤيتها بتلك الحالة من الفرحة والنشوة، قبل أن تتحول تلك السعادة فجأة ودون مقدمات إلى ضيق ويشعر بغصة في حلقه، استطاع بالكاد أن يتغلب عليها ويتناسى الأمر برمته ثم ينهمك في عمله.

***

الفصل الخامس

من الصعب على الإنسان رؤية محبوبه مرتبطًا بشخص آخر، والأصعب هو أن يحتفل معه بتتويج ذلك الارتباط وتحويله إلى علاقة رسمية، وهذا ما كان يشعر به أمير حال حضوره حفل خطوبة ديما إلى شهاب، ومع ذلك فقد بدا رابط الجأش يوزع ابتساماته بين الحضور حتى ليظن من يراه أنه سعيد بالفعل، دون أن يشك لحظة أنه في داخله كان على النقيض تمامًا وأن الألم يعتصر قلبه إلى أقصى حد ممكن.

الصعوبة في الأمر ليس إخفاء ذلك الألم فحسب، وإنما تظاهره بالسعادة والابتسامة في وجوه الناس، فقط مجاملة لديما ولألا يلفت نظرها لوجود شيء لا يزال في داخله.

لم يستطع الاستمرار في تلك التمثيلية ومجاراة الناس في فرحتهم طويلًا، ففي لحظة ما انطفات تلك الابتسامة فجأة من وجهه وحل محلها أمارات الأسى والحزن، ثم ترائى له أن يعتزل الناس لألا يلحظ أحدهم ذلك، فنهض من مكانه ليخرج من تلك القاعة دون أن يحدد وجهة معينة، وساقته قدماه إلى دورة المياه ليتسمر أمام المرآة يتأمل صورته.

كانت المرآة غير نظيفة بعض الشيء يعلوها القليل من الأتربة، فمكث برهة يتطلع فيها ثم أتى بمنشفة ورقية وبللها بقليل من الماء ومسح بها المرآة، قبل أن يأتي بمنشفة أخرى جافة ويجفف الماء المترسب، لتغدو المرآة نظيفة لامعة وتعكس له صورته الحقيقية.

كان يتمتع بقوام ممشوق وشعر ناعم غزير يروق له تمشيطه إلى الخلف دائمًا، بالإضافة إلى بشرة سمراء، ليست قاتمة وإنما بنية اللون، وعلى الرغم من ذلك إلا أنه كان يتمتع بملامح هادئة، تبعث فيك راحة عجيبة، ووسيمة إلى حد كبير بحيث تليق على بشرته السمراء، لدرجة أن تلك الملامح لو كانت مع بشرة بيضاء لن يكون صاحبها بهذا القدر من الوسامة.

ظل يتأمل نفسه قليلًا قبل أن يقوم بغسل وجهه وتجفيفه ثم يتجه إلى الخارج.
في تلك الأثناء وفي الخارج كان الجميع يحتفل بتلك المناسبة، واقترحت سما القيام بفقرة لطيفة وهي اختبار مدى التوافق بين الشريكين، عن طريق أسئلة تسألها لكل منهما في بعض التفاصيل التي تخص الطرف الآخر.
بدأت بسؤال ديما قائلة:
- قولي لنا الأكلات اللي شهاب بيحبها، أكلة من كل نوع، العادي والحلويات والفواكه.
أجابت ديما وهي تبتسم وتختلس النظر إلى شهاب:
- البشاميل والبسبوسة والخوخ.
تطلع الجميع إلى شهاب وهتفت سما:
- رد، بس بصراحة.
أجابها وهو يهز راسه في زهو:
- صح.
غمغمت سما:
- الدور عليك، إيه الأكلات اللي ديما بتحبها، وبصراحة برضه.
أخذ يفكر قليلًا ثم قال:
- لأ مش عارف.
هتفت سما ضاحكة:
- دة مافيش صراحة أكتر من كدة.
ضحك الجميع في حين بدت خيبة الأمل على ديما، قبل أن تصطنع ابتسامة لتجاري الموقف، وتعود بعدها سما لتسألها:
- قولي لنا إيه أكتر لون شهاب بيحبه؟
أجابت ديما وهي ترفع يدها وكأنما توصلت إلى فكرة ستغير مجري الكون:
- الأزرق.
تطلع الجميع إلى شهاب الذي قال بنفس الزهو، والذي تحول إلى غرور بشكل بدا واضحًا:

- صح.
سألته سما بعدها:
- طب وإيه أكتر لون هي بتحبه؟
بدت عليه أمارات الحيرة وتردد قليلًا قبل أن يقول:
- اا، الأخضر.
تطلع الجميع إليها فقالت ديما في حرج:
- لأ غلط.
هتف شهاب:
- لأ مش عارف.
انطفأت ابتسامة ديما، وحلت محلها أمارات الضيق قبل أن تنجح في التخلص منها، وتعود لتساير الأجواء مرة أخرى.
أتى أمير في تلك اللحظة وأخذ يسلط نظره على ديما وحدها دون أن يبعد نظره عنها، واستحضرته في تلك اللحظة أغنية تشف عما في داخله بعنوان "ضميني ليكي"، فأخذ يدندنها قائلًا:
نفسي أقولِك
ع اللي جوايا وقد إيه
واما أقابلِك
كل مرة بيجرالي إيه
نفسي أقولِك ع اللي فيا، يمكن ساعتها تحسي بيا
وألقي نفسي في يوم معاكي، وإيديكي بتحضن إيديا
لو صدفة ألاقيكي، بياخدني حنان عينيكي، وضحكتك أجمل ما فيكي
بيبقي نفسي أشوفها تاني، ونفسي تِبقِي ليا
ضميني ليكي
كل حاجة حبيبتي فيا بتناديكي
ضميني ليكي
كل حب الدنيا دي جوايا ليكي

ضميني ليكي
ومن زمان بحلم بيوم يجمعني بيكي
كنت شايفها من زمان، ولقيتني فجأة بحبها
قدام عينيا في كل مكان، وفي كل حتة بروحلها
وكإن الدنيا دي واقفة، من يوم ما قابلتها
وكإن عينيا دي شايفة، أحلامي عندها
ضميني ليكي
كل حاجة حبيبتي فيا بتناديكي
ضميني ليكي
كل حب الدنيا دي جوايا ليكي
ضميني ليكي
ومن زمان بحلم بيوم يجمعني بيكي

لم يستطع الوقوف طويلًا أيضًا فخرج متجهًا نحو حديقة الفيلا التي يقام فيها الاحتفال، وتوقف وحيدًا واضعًا راحتيه في جيبي حلته الأنيقة، وظل كذلك حتى انتهاء الحفل قبل أن يدخل ليسلم على ديما ويهنئها مرة أخرى ثم ينصرف هو والآخرون.

***

بعد انصراف الجميع اصطحب شهاب ديما، ودعاها إلى عشاء رومانسي بأحد المطاعم العائمة وعلى صوت الموسيقى الهادئة.

قطع ذلك الهدوء والجو الحالم صوت شهاب وهو يقول:

- بس زمايلك دول لذاذ أوي، عملو جو جميل النهاردة.

تجهم وجهها كأنما تذكرت شيئًا غير محبب إليها، وتطلعت إلى عينيه مباشرةً وقالت:

- بس أنت أحرجتني قدامهم، يا ريتني ما كنت عزمتهم.

ضم حاجبيه في استغراب واستنكر قائلًا:

- أنا، إمتي دة؟

- لما سما سألتك ع الأكل اللي بحبه، قلت ماعرفش.
- طب إيه الإحراج في كدة، وبعدين ما أنا ماعرفش فعلا.
- يا سلام.
- أه والله.
- طب كنت تقول أي حاجة وأنا أقول أه وخلاص، بس أنت الموضوع عاجبك.
- طب ما أنا لما قلت أخضر قلتي لأ.
- في حد يحب اللون الأخضر، وأصلا عمرك شفتني بلبسه؟
- لأ.

كانا يتناقشان بهدوء يتماشى مع جو المطعم قبل أن تنهي النقاش لتقول بابتسامة:

- طب غير الموضوع، مش عايزين نبوظ الجو الشاعري الجميل دة.
- عندك حق.

ران الصمت بينهما لحظات قبل أن تقول ديما:

- صحيح كنت عايزة أسألك سؤال.
- إتفضلي.
- أنت بتحب فيا إيه؟

أخذ يفكر قليلًا في الأسباب التي دفعته لحبها، قبل أن يقول:

- إنتي فيكي كل حاجة أي حد يتمناها في فتاة أحلامه.

ابتسمت في سعادة ثم قررت أن تدفعه لمدحها أكثر فسألت:

- زي إيه؟
- رقتك، طيبتك، عقلك، ثقافتك، تدينك، إستايلك، وأهم حاجة واللي يتحط تحتها ميت خط جمالك.

احمرت وجنتاها خجلًا قبل أن تبتسم وتقول:

- دي أهم حاجة فيهم ليه؟
- لإني كنت عايز أتجوز واحدة زمان بس شكلها مش حلو، فدة خلا أهلي يرفضوا.

- إزاي يعني؟
- كان في فرق كبير بيننا في الشكل.
- وكنت بتحبها؟
- جدًا.
صمت قليلًا قبل أن يسألها بدوره:
- وإنتي بقى، بتحبي فيا إيه؟
- بحب اهتمامك بيا، ونجاحك، وكونك شخص رياضي.
قاطعها قائلًا:
- لو مكنتش غني كنتي حبيتيني؟
- أه طبعًا، مالهاش أهمية بالنسبة لي.

***

في طريق عودة أمير ساقته قدماه إلى صيدلية قريبة جدًا من بيته، ليسأل الصيدلي عن مستحضرات لتفتيح البشرة قائلًا في تردد وارتباك:
- بسمع أن في عندكوا منتجات لتفتيح البشرة وكدة.
أجابه الصيدلي:
- طبعًا يا فندم.
- نتايجه كويسة؟
- أه.
- طب ممكن أشوفه.
- أكيد طبعًا.
قام الصيدلي بإحضار بعض المستحضرات وناولها له وهو يقول:
- دول كريمين، أول واحد للتفتيح هتستخدمه قبل ما تنام على طول، والتاني ده واقي شمس عشان تحافظ على النتيجة، أنت عارف أن الشمس بتسمر طبعًا.
- بس أنا مابطلعش في الشمس.
أشار الصيدلي إلى لمبات الإنارة بالسقف وهو يقول:
- الضوء العادي دة برضه فيه نسبة من الأشعة فوق البنفسجية، وبعدين دة

واقي شمس ومرطب في نفس الوقت، هيفيد البشرة.
تناول منه أمير المستحضرات ونقده ثمنها، ثم توجه بعدها إلى منزله وبدأ في استخدامها بالطريقة التي وصفها له الصيدلي، وظل كذلك عدة أيام قبل أن يشعر بالملل منها ويتركها.

***

في الأيام التالية كان أمير يمر بظروف نفسيه عصيبة، فكان مكتئبًا معظم الوقت صامتًا لا يتحدث إلا قليلًا وبكلمات مقتضبة، وكان يتجنب الناس ويتهرب منهم بقدر الإمكان ليختلي بنفسه ويجلس في المنزل.
اعتاد أن يمر بتلك الحالة من آن لآخر، حين يقع في غرام فتاة فيصارحها وتخبره أنها تعتبره صديق لا أكثر.
رغم عدم تصريحها حفاظًا على مشاعره، إلا أنه كان يعزي ذلك الرفض إلى شكله ولون بشرته السمراء، فهو يعتقد بل يعلم علم اليقين أن هناك اتفاق ضمني في المجتمع أن الأبيض يتزوج بيضاء والأسمر يتزوج سمراء والسمين يتزوج سمينة والنحيف يتزوج نحيفة، ومع إنكارهم الدائم ورفضهم لهذا التصنيف لمن يذكر ذلك أمامهم، إلا أنهم في داخلهم يؤمنون بعكس ذلك.
كان يرفض هذا العرف ويصر على كسر تلك القاعدة، ويصر أيضًا على حقه في اختيار شريكة حياته التي يريدها دون تضييق ذلك النطاق من قبل المجتمع، ذلك التضييق الذي وافق عليه واستسلم له من هم قبله ومن هم حوله من أقربائه الذين يشتركون معه في لون بشرته، ويقومون بالزواج من بعضهم بدعوى أن هذا بسبب العادات والتقاليد المشتركة، وبالتالي وجود تفاهم بينهم أكثر، ويعتبره هو تهربًا من الواقع ورفضًا للحقيقة، وهو خشية تعريض أنفسهم للإحراج بسبب رفض الأسر لهم.
بعد أيام كان أمير قد أفاق من حالة الاكتئاب التي أصابته، وعاد إلى حالته الطبيعية نوعًا ما، وعاد ليمارس عمله في نشاط جم، وكأنه يفرغ فيها كل الطاقة الناتجة من حزنه، وكان تعامله مع ديما عاديًا كسابق عهده، مع حرصه على ألا يشعرها بما في داخله، فكان يقابلها ويتحدث إليها بابتسامة صافية مشرقة دون

أن يتصنعها، ذلك لأن رؤيتها كفيلة بجعله ينسى كل آلامه حتى وإن كانت هي مصدر تلك الآلام.

***

بعد عدة أيام وبينما كان أمير يتصفح مواقع التواصل الاجتماعي في منزله وبعد انتصاف الليل بدقائق، وصله إشعار يخبره بوجود أصدقاء له يتوافق ذلك اليوم مع يوم ميلادهم ومن بين هؤلاء الأصدقاء كانت ديما.

قرر أن يكتب لها تهنئة على صفحتها الشخصية، ثم تراءى له أن يفعل ما هو أكثر من ذلك، فقرر أن يفاجئها بعمل احتفالية صغيرة بالشركة يوم غد للاحتفال بتلك المناسبة.

في صباح اليوم التالي أتى أمير مبكرًا وهو يحمل كعكة عليها اسم ديما، وقام بالاتفاق مع زملائه في القسم بعمل حفل عيد ميلاد مفاجئ لها.

ما أن أتت ديما حتى قام بإخبارها كذبًا برغبة المدير في رؤيتها، وقام بوضع الكعكة على مكتبها لتتفاجأ بها حين عودتها، وقبل أن تستوعب تلك المفاجأة أقبل عليها زملاؤها وهم يتغنون بتلك الأغنية المشهورة في تلك المناسبة قائلين:

- happy birthday to you، happy birthday to you، happy birthday to you Dima، happy birthday to you.

تهللت أسارير ديما وأشرق وجهها بسعادة بالغة من تلك المفاجأة غير المتوقعة، فهي لأول مرة تتعرض لهذا الموقف لأنها لم تعتد الاحتفال بذكرى ميلادها، ويقتصر ذلك اليوم على تلقي عبارات التهنئة وينتهي الأمر.

قاموا بتقاسم الكعكة وتناولها، ثم أخذوا يتجاذبون أطراف الحديث بينهم، ولكزت سما كريم بيدها وهي تقول:

- شايف الناس المحترمة والجنتل بيعملوا إيه مع البنات وبيتعاملو معاهم ازاي، إتعلم.

أجاب كريم:

- دة أنا بعامل البنات أحسن معاملة.

- يا شيخ، بأمارة معاكساتك ليهم في الشوارع والنواصي، دة غير البنات اللي

بتشقطهم.
- طب إيه الغلط في الموضوع، البنات أصلا بينزلوا الشارع عشان يتشقطوا.
لم يعلق أحد بعكس أمير الذي حدجه بنظرات ساخطة، ثم نقل بصره بين الحاضرين وهتف بصرامة وجدية شديدة:
- محدش هيرد عليه منكوا؟
لم يجبه أحد فاستطرد صائحًا:
- مبسوطين بالكلام اللي قاله؟
تسمر الجميع وتطلعوا إليه في اندهاش ولم يجبه أحد أيضًا، فوجه حديثه إلى كريم وصاح في غضب:
- لو كل اللي تعرفهم كدة دي مشكلتك، لكن ما تقولش إن كلهم بينزلوا الشارع عشان يتشقطوا، لأنهم أشرف منك.
قالها وقام بوضع طبقه على أقرب مكتب في عصبية شديدة، ثم انصرف بعدها إلى مكتبه وسط ذهول ودهشة الحاضرين.
ساد الصمت والتوتر أرجاء المكان، وتطلع الجميع إلى بعضهم البعض في تعجب، قبل أن يتجه كريم نحو أمير لتطييب خاطره قائلًا في ود:
- في إيه يا عم مالك؟
هتف أمير في حدة:
- يعني إيه في إيه، أنت مش حاسس بنفسك؟
- ما تتأسفليش أنا، روح إتاسف لكل البنات اللي غلطت فيهم.
صمت كريم برهة يستوعب الأمر قبل أن يقول في حيرة:
- طب إزاي دي صعبة أوي، دة أنا جمعت.
- غير فكرتك ونظرتك دي، دة أهم من إنك تعتذر.
هز كريم رأسه موافقًا وقال:
- أوكيه هغيرها.
هدأ أمير قليلًا ومكث لحظات قبل أن يقول:
- طب خلصوا أكل بسرعة وملوا مكانه، محمود زمانه جاي وهيفضحنا.

قالها وانصرف نحو مكتبه، وأتت بعدها ديما في تلك اللحظة تحمل طبقه الذي تركه، وناولته إياه ومكثت قليلًا حتى هدأ تمامًا ثم قالت:
- أنت زعلت ليه مع إنه ما قالش حاجة عليك.
أجابها:
- ليه، أنا مش ليا إخوات بنات، وقرايب وأصدقاء وزمايل.
أومأت برأسها تفهمًا وقالت:
- آه.
تابع كلامه قائلًا:
- حسيت أن الكلام على حد يخصني فاتضايقت، الغريبة بقى أن إنتوا اللي ما إتضايقتوش، مع أن كلامه يضايق.
قالت بلا مبالاة:
- مش للدرجة يعني.
مط شفتيه في استغراب ثم قال:
- بصي هو الكلام نفسه ممكن يبقى عادي، أنا يمكن إتضايقت أكتر على حاجة تانية.
قالت بفضول:
- إيه هي؟
- نظرته للبنت، والحاجات المترتبة على كدة، كل الشباب معتقدين أن البنت بتحب تتعاكس وإنها بتلبس حلو وتهتم بشكلها عشان خاطر يعجبوا سعادته، فدة بقى بيشجعه إنه يعاكسها في الشارع وهو فاكر إنه بيجاملها وبيعمل حاجة هي عايزاها وكتر خيره يعني وكده، ومع الوقت يتطور الموضوع إنه يتحرش بيها، فلما يعتقد أن البنات نازلين عشان يتشقطوا، هيعمل كدة، دة غير إنه من غير ما يشعر هيستحقرها، ونظرته ليها هتبقى مش كويسة، وتعامله بالتالي هيبقى بالشكل اللي إحنا بنشوفه بعد الجواز طبعًا، وبتبقوا مستغربين أوي ومش فاهمين ليه.
أخذت تستوعت كلامه قبل أن تعود لتقول:

- بس أعتقد كان بيهزر.
- أي هزار بيكون فيه جزء من اعتقاد حقيقي، أنا راجل وأفهم كويس الراجل بيفكر إزاي، وبيعتقد إيه، مع إنه ممكن يكون بينكر الكلام دة لإننا مش مدركينه بعقلنا الواعي.
كانت ديما تتطلع إليه بنظرات عميقة في مزيج من رضا وإعجاب بكلامه وبأسلوب تفكيره الراقي، وشعرت أن جوانب كثيرة رائعة في شخصيته بدأت تتكشف لها، ولكنه لم يلحظ تلك النظرات فقد كان منشغلًا بتناول الكعكة.
ارتفع رنين هاتفها وكان المتحدث شهاب الذي قال فور أن أجابته:
- كل سنة وإنتي طيبة.
هدأت قليلًا قبل أن تقول:
- وإنت طيب.
- أتمنى أكون أول واحد أقولها لك.
- لأ بصراحة أنت مش أول واحد تقولها لي.
- يا خسارة، يالا مش مشكلة، هتعمليه فين؟
- هو مين؟
- عيد الميلاد.
- لأ، مش متعودة أعمله.
- ليه؟
- والله مش عارفة.
- أوكي، مع السلامة، هشوفك بعد ما تخلصي.
- مع السلامة.
أغلقت هاتفها وانتبهت على صوت أمير وهو يقول:
- كنتي تقولي له إنه أول واحد، مش هتخسري حاجة يعني.
- إشمعني؟
- أكيد، عشان الرومانسية واللفلفة والحاجات الحلوة دي.
ابتسمت وقالت:

- المرة الجاية بقى.
في تلك اللحظة تفاجأ الجميع بدخول محمود الذي اعتاد على أن يتأخر قليلًا، نظرًا لمكانته المميزة عند مديره، وما أن رأى بقايا الكعك على المكاتب حتى همهم قائلًا بلهجة متوعدة:
- الله الله، دي مش شركة دي، دي كافتيريا.
أتت إليه سما بطبق يحوي قطعة من الكعك فرفض تناولها منها قائلًا:
- وبترشوني كمان عشان أتستر عليكوا، والله عال، دة أنتوا وقعتكوا سودة.
علق أمير قائلًا:
- دة عصفورة وبجح، ما شفتش كدة بصراحة.
التفت محمود ليعود أدراجه ذاهبًا إلى غرفة المدير ليشي بهم، فتبعته سما مسرعة لتحاول إثنائه عن ذلك وهي تناديه قائلة:
- محمود، محمود، إستني حفهمك.
لم يستمع إليها محمود بل قام بفتح الباب وخرج وأغلقه خلفه، وكانت سما لا تزال تصيح قائلة:
- محمود، محمود.
كما يحدث في الأفلام والمسلسلات العربية التي تشاهدها سما دومًا وتتأثر بها دون وعي، توقفت عند الباب المغلق وكفت عن الصياح ثم التفتت لتواجههم بعينين مليئتين بالحسرة والخوف، فلم يكن من أمير إلا أن أقبل عليها وقام بفتح الباب لها وهو يصيح في حنق:
- ممكن تفتحي الباب عادي وتحصليه على فكرة، نفسي أعرف إمتي هتخرجي من الأفلام والمسلسلات اللي إنتي واقعة فيهم.
تنبهت سما إلى خطأها فأسرعت تعبر الباب لتلحق بمحمود، وتحاول إثنائه عما ينتوي فعله لألا تلحقهم أذية من مديرهم.
***
أتى المدير بصحبة محمود ومن خلفهم سما، وأخذ المدير يدير رأسه في أرجاء المكان للتأكد من صحة شكوي محمود، فلم يجد ما يدل على ما أخبره به

محمود فقد كان المكان نظيفًا تمامًا، بل وكان كل موظف يستقر خلف مكتبه يمارس عمله في همة وحماس لم يعهدها من قبل، وكأن شيئًا لم يحدث.
التفت المدير إلى محمود وأحتد قائلًا:
- أمال فين عيد الميلاد؟
اتسعت عينا محمود في دهشة عارمة وألجمه ما رأى، وأخذ يحاول التفوه بأي كلمة دون جدوى، ثم أخذ يدير عينيه في المكان في حيرة واضحة، وبالكاد استطاع أن يتحدث بصوت مبحوح قائلًا:
- كان هنا والله.
أقبل كل الموظفين في تلك اللحظه فسألهم المدير:
- الكلام ده صحيح؟
أسرع أمير يجيب ببراءة مصطنعة:
- يا فندم هو أحنا ملاحقين ع الشغل لما نعمل أعياد ميلاد والكلام الفاضي دة.
استكملت سما كلامه قائلة:
- أيوة يا فندم، دة أحنا كنا بنفكر نشتغل وقت إضافي النهاردة، أو نسهر عليه عشان نلحق نخلصه.
توجه المدير ببصره إلى كريم وسأله:
- وإنت إيه أقوالك؟
أجاب ببلاهة مقصودة:
- هو يعني إيه عيد ميلاد؟
أخذ المدير يمر على المكاتب وتوقف حيث مكتب محمود، ليلتقط طبقًا يحوي قطعة كعك ويأتي بها إلى محمود ثم يسأله في صرامة:
- إيه دة؟
أجاب أمير نيابة عن محمود الذي وقف مشدوها:
- شكله هو اللي كان بيحتفل بقى وجابها فينا.
التفت المدير إلى محمود وأحتد قائلًا:
- يظهر إن التهيؤات رجعتلك تاني.

غمغم كريم:
- مش يظهر، دة أكيد.
قالها وهو يضع راحة يده على جبهة محمود ثم يزيلها متأوهًا، وينفخ فيها وكأنما لامس سطحًا ساخنًا، قبل أن يعود المدير ليتحدث إلى محمود بنفس الصرامة قائلًا:
- من بكرة تعتبر نفسك موقوف عن العمل لحد ما تروح تكشف وتتعالج بعدين ترجع.
غمغم أمير:
- صح كدة.
بدا على محمود الاستسلام وكأنما اقتنع بمرضه فنكس رأسه وهو يقول:
- طب محدش يعرف دكتور كويس؟
أجابه كريم:
- أنا أعرف، هبقى أديك عنوانه، بس وإحنا مروحين عشان مش عايز أضيع وقت الشغل.
أنهى أمير التمثيلية بتعليقه على عبارة كريم قائلًا:
- أنا ما شفتش موظفين بالضمير دة بصراحة.
ما أن التفت المدير لينصرف حتى أخذ كريم في استثارة غيظ محمود، وهو يشير بيده وكأنه يحاكي زقزقة عصفور ويقول بصوت خافت:
- صو صو صو.
هتف محمود في انزعاج وهو يشير إلى كريم:
- أهو يا ريس بيقول عليا إني عصفورة.
استدار المدير وسأل كريم:
- أنت عملت كدة؟
أجاب كريم ببراءة مصطنعة:
- إمتي حصل الكلام دة؟
مط المدير شفتيه في استياء وتطلع قليلًا إلى محمود بنظرات تحمل الكثير من

الشفقة، قبل أن يهز رأسه في حيرة ويعود ليلتفت مرة أخرى لينصرف وخلفه محمود لاستكمال إجراءات تعليق عمله.
عاد بعدها الجميع لمواصلة عملهم، وبعد أن أنهت ديما عملها عادت إلى منزلها وجلست أمام حاسوبها، وأخذت تقرأ التهاني والأمنيات على حسابها في مواقع التواصل الاجتماعي وتجيب عليها بعبارات الشكر والامتنان.

***

تقابل أمير وديما في مدخل الشركة في صباح اليوم التالي، وبينما يقطعون الممر المؤدي إلى مكتبيهما تحدثت ديما إليه قائلة في مرح:
- صباح الخير يا إحسان.
ابتسم وسأل:
- إحسان مين؟
- إحسان عبد القدوس.
- إشمعني؟
- أنا هسميك كدة من هنا ورايح.
قطب حاجبيه وغمغم في دهشة:
- ليه؟
- ما تعرفش إنه نصير المرأة، يعني مهتم بالمرأة ومعظم كتاباته عنها.
- لأ أعرف، بس إيه اللي خلاكي تقولي كده؟
- لإنك متحيز للمرأة زيه.
- أنا مش متحيز، أنا واخد موقف عادل من قضية، بديلها حقها مش أكتر، ولو أي حد مكانها أو الأيه إنعكست هقف مع الحق.
أصرت على موقفها قائلة:
- لا لا متحيز.
هز رأسه نفيًا وقال:
- لا والله، دة أنا أصلا أكتر واحد في الدنيا ليا تحفظات عليكوا، ومش على وفاق خالص.

ابتسمت وقالت:
- إيه التحفظات دي؟
أجاب:
- في حاجات كدة بتعملوها مش قادر أفهمها.
- إيه هي؟
- يعني على سبيل المثال هيحصل إيه لو لبستي نفس البلوزة دي يومين ورا بعض؟ ولا الطقم دة يومين ورا بعض؟
- ماينفعش طبعًا.
- إيه اللي ما ينفعوش، وأنا ليه أصلا يبقى عندي تسع جواكت في الدولاب، مش منطق يعني، دة أنا ما عنديش غير بنطلون واحد بفضل ألبسه لحد ما يبوظ، بعدها أروح أشتري واحد غيره نفس الشكل ونفس اللون.
اتسعت ابتسامة ديما أكثر قبل أن يتابع أمير:
- وبالنسبالكوا طبعًا اللون البيج واللوزي وسن الفيل والسكري والكريمي ألوان مختلفة صح؟
- طبعًا.
- والأزرق والكحلي واللبني والسماوي والتريكواز واللولواه ألوان مختلفة برضه صح؟
- اسمه ليلاه.
- وات ايفر.
- لأ دي بالذات مافهاش كلام.
مط شفتيه وهو يهز رأسه أسفًا ويقول:
- مافيش فايدة، طب طالما بتعرفوا تميزوا بين كل دة، مش بتشوفوا ليه التيريلا اللي ماشية ع المحور وبتلبسوا فيها وانتوا سايقين؟
أطلقت ديما ضحكة مرحة راقت لأمير قبل أن تقول هي:
- طب وثانيًا؟
- ثانيًا، تقدري تفهميني برضه، إيه سر حبكوا في الدهب والألماظ والحاجات

دي، إيه الحلو فيه، مافهاش حاجة تجذب يعني، يعني لو لبست خاتم في صباعي ده دهب ولا سوليتير إيه الحلو في كدة، يعني إيه اللي هيتغير، ما هو مش خاتم سحري مثلا هدعكه يطلع لي جني يحقق لي أمنياتي، إذا كان كدة معلش، ممكن أفهم فكرة الاكسسوارات دي زينة، حلو مافيش مشكلة، لكن الدهب دة اللي مش قادر أفهمه.

- عشان دهب.

- فهمت كده يعني لما قولتي عشان دهب؟

قالت ضاحكة:

- طب وثالثًا؟

- اهتمامكوا بكل تفصيلة في شكلكوا، وأكتر نقطة بتفرسني اهتمامكوا بضوافركوا، إيشي مانيكير وإيشي باديكير ومش عارف مقوي أظافر ومغذي أظافر.

- وفين المشكلة؟

- إيه كل القصص دي، دة أنا أصلا ما أكتشفتش إني عندي ضوافر غير من أسبوعين.

قالها وهو يرفع كفه الأيمن يريها إياهم قائلًا:

- أهوم، خمسة أهوم.

قبل أن يخفضها ثم يرفع الكف الأيسر ويتظاهر بالتفاجؤ قائلًا:

- إيه دة، دة في خمسة كمان أهوم.

حافظت على ضحكتها وهي تقول:

- ورابعًا؟

- في حاجة بقى بتنقط أي راجل.

سألته بلهفة:

- إيه هي؟

- ليه لما واحدة تيجي تتكلم مع جوزها تقف كدة وتقوله، أحمد، إحنا محتاجين نتكلم مع بعض شوية.

- إيه اللي فيها مش فاهمة؟

- ليه تقولوا محتاجين نتكلم مع بعض شوية، ما تتكلموا على طول وتقولوا أحمد كذا كذا كذا، وتقولوا الموضوع وهنبقى إتكلمنا مع بعض شوية وكل حاجة، ليه جو الساسبينس دة، حاجة تغيظ فعلا.

ضحكت ضحكة صافية وقالت:

- وخامسًا؟

- إنتي فرحانة بقى إني عمال أغلط فيكوا؟

- لأ مش فرحانة طبعًا بس عشان بتضحكني، كمل كمل.

- خامسًا بقى، مافيش تمييز بين الحاجة المهمة واللي مش مهمة.

- زي؟

- أختي مثلًا، طلبت مني مرة اشتري لها فرشة سنان من الصيدلية وأنا راجع، وبعد ما جيبتها قالت لي رجعها مش عايزاها، أنا قلت بقى أكيد إكسباير ولا في مشكلة كبيرة فقلت لها إيه السبب، تخيلي قالت إيه؟

- إيه؟

- أنا مش عايز أقول والله عشان ما أنرفزكيش.

- لأ مش هتنرفز قول.

- قال إيه، الفرشة ألوانها مش متناسقة، فيها خطوط أورانج مع بيربيل، واللونين دول ما يركبوش على بعض.

- دة عين العقل، وعملت إيه؟

هتف بحدة ناشئة من استحضار الموقف:

- عين عقل مين يا ماما، دي فرشة سنان، وبعدين لاحظوا إنكو بتكلموا واحد عنده فرشة سنان من غير إيد أساسًا بقاله شهرين، بستخدم الراس بس.

- وسادسًا؟

- بتعرفوا تفصلوا ما شاء الله في كل حاجة، يعني ممكن واحدة كان عندها حالة وفاة، وجوزها داس عليه أتوبيس وموته، ولسة راجعين من الدفنة، تقولك إركنلي جنب السوبر ماركت هنزل أشتري حاجة، تقوم تنزل السوبر ماركت عشان تشتري إيه تخيلي؟

- إيه؟
- باكو لبان، عادي ولا كإن في حاجة، وترجع تكمل عياط كمان.
أطلقت ديما وابل من الضحكات، وظلا يتحدثان ويتضاحكان في انسجام شديد حتى تجاوزا بوابة القسم، ثم اتجه كل منهما إلى مكتبه ليقوم بعمله.

***

الفصل السادس

في لقاء لديما مع شهاب بأحد الكافيهات، كان قد تأخر عليها قرابة النصف ساعة فسألته عن سبب التأخير قائلة في قلق:

- إتأخرت ليه؟

أجابها بعد أن استقر على كرسيه:

- لأ مافيش حاجة نزلت متأخر عشان كان في فيلم في التليفزيون شدني، المهم أخبارك إيه وعاملة ايه؟

- الحمد لله كويسة، أنت عامل إيه؟

- تمام الحمد لله.

قاما بطلب الطعام الذي آتى بعد قليل، وبدآ في تناوله وهما يتجاذبان أطراف الحديث في مواضيع شتى، وقبيل انتهائهما ارتفع رنين هاتف ديما فأجابته ومكثت تتحدث قليلًا قبل أن تغلق الهاتف، وبادر شهاب بسؤالها قائلًا:

- مين ده؟

- دة بابا.

- عايز إيه؟

- مافيش.

- يعني ايه مافيش، أكيد مش بيتصل يسلم عليكي.

- حاجة شخصية معلش مش هقدر أقولك.

ترك طعامه بغتة وهتف بلهجة حازمة:

- مافيش حاجة شخصية بيننا أي حاجة تخصك لازم أعرفها.

تطلعت إليه في دهشة واستنكار وهتفت بدورها:

- طب والعكس؟

قال بارتباك وبلهجة غير مقنعة:

- أكيد طبعًا.

صمتت برهة قبل أن تقول بلهجة هادئة:
- بس أكيد في عندك حاجات عائلية مثلًا مش من حقي أعرفها.
قال في عناد:
- لأ مافيش.
قالت بعناد مماثل:
- طب أنا بقى في.
هتف مهددًا إياها:
- أنا مش هكمل أكل ولا أروحك إلا لما أعرف.
بدا عليها الضيق من كلامه وحدجته بنظرات لائمة، ثم نهضت وأخرجت أوراقًا نقدية وضعتها على الطاولة وهي تقول:
- طب أنا هروح لوحدي.
التفتت لتنصرف فنهض وتبعها ليمنعها من أن تستقل تاكسي ويقوم بإيصالها لمنزلها بسيارته، وفي طريق العودة ناولها عدة أوراق مالية فسألته قائلة:
- إيه دول؟
- دول الفلوس اللي دفعتيها في الكافتيريا، عيب لما تدفعي، إنتي معاكي راجل.
تناولت المال وقد أسعدها كلامه قبل أن يتابع:
- ماتستعجليش، بعد ما نتجوز إبقي ساهمي في مصاريف البيت.
رفعت حاجبيها في دهشة ثم سألت:
- إزاي يعني؟
قال ببرود:
- زي الناس.
- دة فرض عليا يعني ولا بمزاجي؟
- زمان كان بمزاجك اليومين دول انتي عارفة الظروف.
- أولًا، أنت مش محتاج يعني، وثانيًا أنا مرتبي يدوب بيكفي مصاريفي.
- هيبقى في أولويات.
- أنا ما بصرفش غير في الضروريات ومع ذلك يدوب بيكفي.

- خلاص يبقى بلاها شغل، وإحنا نجيب لنفسنا وجع القلب ليه، وتقعدي في بيتك معززة مكرمة.
- إحنا في البداية إتفقنا إني هشتغل!
- نتفق من أول وجديد.
- يبقي مش موافقة.
- الكلام مع أهلك مش معاكي.
رمقته ديما بنظرات استنكار وقالت:
- مال أهلي ومال شغلي؟
أجاب:
- أنا لحد دلوقتي ماليش حكم عليكي، لكن أهلك أكيد ليهم حكم عليكي.
تطلعت إليه في ازدراء ولم تتحدث بعدها وظلت صامتة حتى قام بإيصالها لمنزلها، وهبطت من سيارته دون أن تلقي عليه التحية ثم صعدت بعدها إلى منزلها.

***

"وفيها إيه يعني؟!"
نطقت والدة ديما بتلك العبارة بعد أن قصت لها ما دار بينها وبين شهاب وطلبه أن تترك عملها، قبل أن تتسع عينا ديما في دهشة وهي تقول:
- يعني إيه فيها إيه؟ أنا لازم يبقى ليا دور في الحياة، مش مجرد واحدة قاعدة له في البيت ما وراهاش حاجة غيره، وبدل ما يقدر دة يقوم يتخنق مني، وأنا بالذات بقى إتعودت ع الشغل فمش هقدر أقعد في البيت وأتحبس، وأبقى في عرض إنه يتكرم عليا يوم ويخرجني، بعد محايلات طويلة طبعًا.
مطت والدتها شفتيها في استياء وقالت:
- الحق عليه إنه عايز يريحك، وبعدين طالما يقدر يصرف عليكي ويجيبلك كل اللي إنتي عايزاه خلاص، بلا شغل بلا وجع قلب، حد لاقي، إنتي المفروض تفرحي مش تتضايقي.
تطلعت إليها ديما بعدم اقتناع وهتفت:

- وأتذل بقى كل ما أعوزه يجيب لي حاجة؟
صمتت برهة ثم أضافت:
- وبعدين منين بتقولي كدة وإنتي بتشتغلي ومتمسكة بشغلك؟
أجابتها:
- ما هو عشان بشتغل وبشوف القرف بتاع الشغل بقولك كدة.
اتسعت عينا ديما في استغراب واضح ثم أثرت الصمت، وأشاحت ببصرها عنها وهي تزفر في قوة تعبيرًا عن ذلك الضيق الذي أصابها، بالإضافة لخيبة أمل قوية فقد كانت تظن أن والدتها ستوافقها الرأي، خاصة وهي امرأة عاملة أصرت وتصر دومًا على التمسك بعملها.

***

اقتربت سما من أمير وهو منشغل بأداء عمله وأنحنت عليه لتهمس قائلة:
- أنت عرفت أن ديما هتسيب الشغل أخر الشهر؟
رفع أمير رأسه إليها وغمغم في انزعاج:
- بتتكلمي جد؟
أجابت:
- أه والله، غريبة إنها ما قالتلكش.
امتقع وجه أمير من أثر هذا الخبر غير السار، فحدجها قليلًا في انزعاج واضح، وظل صامتًا يستوعب الأمر، فهو قد ارتضى رفضها للارتباط به على أن تكون بجانبه يراها ويتحدث إليها، حتى وإن كان كلامًا عاديًا متجنبًا أية تلميحات أو ما خلافه، وخفف هذا الوضع من وطأة الألم الذي يشعر به كثيرًا، وها هو الآن يبدو وكأنه سيفقد هذا الوضع.
قرر أن يقوم ليسأل ديما ويتأكد بنفسه، وبالفعل وبعد أن وصل حيث مكتبها تساءل في قلق:
- إنتي بجد هتسيبي الشغل أخر الشهر؟
أجابت ديما في ضيق:
- للأسف أيوة.

خيم الصمت عليهما للحظات وأخذ أمير يحاول استيعاب تلك الكارثة، قبل أن يعود ليسألها بصعوبة بالغة وبصوت مبحوح:
- طب ليه؟
أجابت:
- دي قصة كبيرة هقولك عليها بعدين.
شعرت وكأنما أحرجته فاستدركت:
- معلش أنا مخنوقة دلوقتي ومش هقدر أتكلم.
عاد أمير إلى مكتبه شاحبًا يجر أذيال خيبة الأمل، ولم يستطع التركيز في عمله ذلك اليوم من أثر الحزن الذي بدأ يكتنفه مرة أخرى، ويشعره وكأن شيئًا ثقيلًا يجثم على صدره، وضاقت عليه الدنيا بما رحبت، وهو يسترجع ذكريات الفترة الأخيرة وحظه العاثر والأماني التي أخذت تتلاعب به فتعلو تارة وتهبط تارة، وها هي الآن تستقر به عند نقطة الصفر من جديد.
تمنى لو لم يأت ذلك اليوم أو أن الوقت يتوقف فلا ينتهي الشهر، قبل أن يفيق ويبدأ في التفكير في حل عملي، ثم يقرر في نهاية اليوم أن يحاول إثنائها عن ذلك الموقف بأية طريقة، وهو لا يعلم حتى الآن أن الأمر ليس باختيارها.

***

في اليوم التالي لم يستطع أمير أيضًا التركيز في عمله، وظل طوال الوقت يطالع ديما في محاولة لإشباع عينيه من رؤيتها في الأيام القليلة المتبقية.
شعر بالشفقة على نفسه، بل عليها فقد بدت هي الأخرى حزينة، ما جعله يستنتج أن الأمر بالتأكيد خارج عن إرادتها، ولكن دون أن يعلم ماهية ذلك الأمر.
شعر بفضول لمعرفة السبب، وتفاقم الفضول في داخله حتى وقت الاستراحة عندما التقت به، وبدا وكأنما قد قرأت ذلك في عينيه فقالت:
- عايز تعرف هسيب الشعل ليه؟
ابتسم معربًا عن لهفة شديدة لأن يعرف فتابعت:
- خطيبي يا سيدي.

هز رأسه وتساءل:
- ماله؟
- هو اللي عايزني أسيب الشغل، وطول الفترة اللي فاتت دي بنتخانق يوميًا بسبب كدة، ويا ريت حجته مقنعة دة بيقول عشان بغير عليكي، أكيد مجرد مبرر وخلاص، وأهلي واقفين معاه ضدي بس مش عن إقتناع، عشان بس مش عايزينه يزعل عشان شايفينه عريس لقطة ومااينفعش نخسره، دة غير إنهم شايفين إني كبرت وفرصي قليلة والكلام دة، وشكله حاطط في باله النقطة دي عشان كدة بيتأمر.
كان يستمع إليها في اهتمام شديد، وصمتت هي برهة قبل أن تضيف قائلة:
- المشكلة إن مجتمعنا معتقد أن دة أوبشن للراجل ومن حقه يستخدمه، فبيطلبها بعين قوية من باب إنه مايفوتش حقه أو للإحساس برجولته، وأنا متاكدة إنها مش فارقة معاه، بدليل إني لو سألته تاني عن السبب هيقول حاجة تانية زي عشان تاخدي بالك من البيت والعيال، إحنا لو في مجتمع تاني مكانش هيفكر يطلب كده، وهيأقلم نفسه ومش هيبقى حاسس بأي رفض أو أن في حاجة ناقصاه.
صمتت قليلًا ثم تابعت:
- مش عارفة أعمل إيه أنا غلبت، وإللي ضايقني أكتر أهلي، كنت متخيلاهم هيبقوا في صفي.
تطلع إليها في إشفاق شديد ثم قال:
- على العموم ممكن أكلمه وأحاول أقنعه، إنتي عارفاني مقنع.
- لأ بلاش.
- ليه؟
- دماغه ناشقة، وبطريقة تفكيره دي ممكن يفكر أن في حاجة بيننا.
- يبقى نفكر في طريقة نوصل له بيها الرسالة ومانخليهوش يفكر غلط.
سألته بلهفة:
- إيه هي؟

أخذ ذهنه يعمل في سرعة قبل أن يقول:
- ممكن نعمل عشاء عمل أو عزومة احتفالًا بأي مناسبة في الشغل، وتجيبيه معاكي وأكلمه كإني مديرك وكدة، وعشان ما يفهمش إننا قاصدين هتكلم بأسلوب غير مباشر.
غمغمت:
- مش فاهمة.
- هاتيه إنتي بس العزومة دي ومالكيش دعوة، وإتفرجي بقى على العبقرية.
هزت رأسها إيجابًا وقالت في استسلام:
- أوكيه.

***

قام أمير بترتيب عشاء في أحد المطاعم الفخمة على أنه عشاء عمل، وقام بدعوة زملائهم الذين أبدوا تفهمهم وعرضوا المساعدة، فيما عدا محمود بالطبع لألا يفضحهم.
طلب أمير من ديما دعوة خطيبها شهاب، الذي مكث ينتظرها بسيارته قرابة العشر دقائق بنفاد صبر أسفل البناية التي تقيم فيها، وما أن أتت حتى قام بتقريعها قائلًا:
- لو سمحتي بعد كدة احترمي مواعيدك.
غمغمت قائلة:
- دول عشر دقايق يعني مش رقم.
- برضه، أنا بحب الإلتزام في المواعيد.
قالت في سخرية:
- لأ واضح.
- وإتاخدت مخالفة بسببك عشان كنت بتصل بيكي.
- إتاخدت مخالفة وإنت واقف؟
- لأ، وأنا جاي في الطريق.
- يبقي مش بسببي لإني كنت لسة ما إتأخرتش وقتها.

لم يعلق وأدار محرك سيارته ليتجها حيث المطعم المقام به العشاء، وقامت بتقديمه لزملائها والعكس قائلة:
- دة شهاب خطيبي ودة أمير مديرنا ودول زمايلي سما وكريم وعمرو وأحمد ونورهان.
جلس الجميع يتناولون طعامهم وأخذ أمير في تقمص دور المدير من التحدث بصرامة وحزم وإلقاء التعليمات طوال الوقت، وبالغ في ذلك فكان يطلب من كريم تأدية دور النادل من إحضار المناشف والمياة وما إلى ذلك، والذي كان يرحب بهذا وهو يختلس النظر إلى شهاب ـ الذي كان يراقبهم في اندهاش لا يخلو من ريبة ـ ويبرر أفعال أمير قائلًا:
- مدير بقى.
افتتح أمير الحديث ليقول موجهًا حديثه إلى شهاب:
- منورنا يا باشمهندس.
تنحنح شهاب قائلًا في اقتضاب:
- بنورك.
- إحنا حضرنا خطوبتكوا بس شكلك مش فاكرنا.
- ماخدتش بالي.
- أنا عاذرك طبعًا، الخطوبة كان فيها ناس كتير، ما شاء الله يظهر أن حبايبكوا كتير.
- تسلم.
- ربما يتمملكوا بخير.
- الله يخليك، عقبالك.
ثم أردف ضاحكًا:
- ولا خلاص إتدبست؟
ضحك الجميع ولكزته ديما بمرفقها ضاحكة، قبل أن يجيب أمير مبتسمًا:
- ما حصليش الشرف لسة.
- ولو متجوز برضه إيه المشكلة، ولا أنت ضد التعدد؟

- أنا ضده طبعًا.
- ليه يا عم دة النبي كان بيعدد.
- لما الراجل يعامل مراته القديمة زي تعامل النبي عليه الصلاة والسلام هبقى مع التعدد، بس محدش بيقدر يعمل كده اليومين دول، أنت أكيد شايف البيت القديم لازم يتهد أو بيعيشوا حياة مأساوية.
- أنا مع التعدد في حالة واحدة أن الست تهمل في نفسها وجوزها.
- أنا مش معاك برضه لإنك مش بتديها نفس الحق لما أنت اللي تهمل، يبقى دة مش سبب دي تلكيكة، خصوصًا إن تحديد الإهمال مسألة نسبية، وبعدين الست مش بتهمل إلا عشان خاطر الأطفال، بس الراجل أناني وماعندوش روح التضحية.

علقت ديما:

- خلاص يا عم إحسان.

ثم تطلعت إلى الحاضرين قائلة:

- أنا مسمياه كدة.

ضحك الجميع ومن بينهم أمير قبل أن يقول:

- حتى إحسان عبد القدوس مانصرش الست، إتأثر بالأفكار الموروثة وكان شايف أن الست مكانها البيت في "ونسيت أني امرأة"، ومعظم الكتاب اللي المفروض متفتحين زي تامر حبيب مثلًا كان متصور كدة في "تيمور وشفيقة".

علق شهاب قائلًا:

- طب ما صح.

اعترض أمير قائلًا:

- لأ دة سلوك ورثناه من اللي قبلنا، ولو كنا طلعنا ولقينا العكس كنا هنعتبر أن دة الصح وهنعتقد بكدة وهنحارب وهندافع عنه.

صمت قليلًا ثم سأله:

- حددتوا معاد الفرح ولا لسة؟

أجاب شهاب:

- تلات أربع شهور كدة.
- ربنا يسعدكوا يا رب.
- ميرسي.
تدخلت ديما قائلة:
- ربما يرزقك ببنت الحلال ويوفقك.
ضغطت على حروف كلماتها وكأنها إشارة لأن يتحدث في الموضوع المتفق عليه فقال:
- عارفين إيه أهم حاجة تضمن نجاح أي علاقة واستمرار قصص الحب بدون أي ملل أو فتور أو أن حد يتغير بعد مدة.
أجاب شهاب:
- إنهم يكونو بيحبوا بعض.
- ما أنا بتكلم عن إزاي الحب نفسه يفضل، يعني الحاجات اللي نقدر نتحكم فيها أو نعملها وتضمن استمرارية الحب دة.
تطلعت إليه ديما بنظرة ذات مغزى وغمغمت:
- كل طرف يعمل الحاجة اللي بتسعد الطرف التاني.
اتجه أمير ببصره إلى سما التي قالت:
- أن يبقى في بينهم حاجات واهتمامات مشتركة فلما يعملوها مع بعض أو يتكلمو فيها هتقربهم من بعض.
نطق بعدها كريم بدوره قائلًا:
- إنهم يعدوا لبعض على قد ما يقدروا ومايقفوش ع الواحدة، عشان كتر ده هيحسسنا بتقصير الطرف التاني مهما عمل.
استكمل أمير كلامه قائلًا:
- كلام جميل بس الأهم من ده كله، إننا ندور على مفاتيح قلب الطرف التاني ونلعب عليها.
أبدى شهاب بعض الاهتمام أخيرًا وتساءل قائلًا:
- طب وهنعرف المفاتيح دي إزاي؟

أجاب أمير:
- في مفاتيح مشتركة موجودة في كل الرجالة وكذلك الستات.
أسرعت ديما تسأله:
- طب إيه هي المفاتيح المشتركة في الرجالة؟
أجاب أمير:
- أهم مفتاح هو عينيه، ووجود حد يمتص التوتر اللي مر بيه طول اليوم مش يزودها.
استنكرت ديما قائلة:
- ما ينفعش نحكم بالشكل.
- لأ الشكل مهم، ودي حقيقة ما نقدرش ننكرها ولا نمنعها، بدليل الشعارات اللي بنقولها دي، لأنها لو مش موجودة مش هنقول الشعارات دي، وفي فرق ما بين الواقع واللي بنتمناه، فالمفروض نتعامل مع الواقع مش الأمنيات.
صمت أمير بعدها وتوجه ببصره إلى شهاب متوقعًا سؤاله عن مفاتيح المرأة، ولما وجده غير مبال استطرد قائلًا:
- أهم مفتاح بقى لقلب الست هو.
قاطعه كريم مازحًا:
- مناخيرها.
تجاهل الجميع تلك المزحة في حين هتفت سما:
- ودانها.
أومأ أمير برأسه موافقًا إياها قبل أن يلتفت إلى كريم الذي هتف مرة أخرى مبتسمًا:
- مناخيرها.
قطب أمير جبينه ونهره قائلًا:
- قلتها قبل كده وماحدش ضحك بتقولها تاني ليه؟
شعر كريم بالحرج فتمتم قائلًا:
- ما أنا قلت يمكن محدش فهمها.

- لأ فهمناها وبرضه ما ضحكناش.
غمغم كريم وهو يمسح العرق المتصبب على جبينه:
- كانت حلوة والله وأنا بحضرها جوايا، مش عارف إيه اللي حصل.
لم يعلق أمير بل اعتدل وقال:
- الأهم من دة كله الدعم المعنوي أو المادي ليها، يعني إنها تحس إنك مهتم بنجاحها وبتحاول تساعدها وبتشجعها، مش غيران منها وما بتتمنالهاش النجاح.
علقت ديما في خبث:
- تقصد في شغلها يعني؟
أومأ أمير برأسه إيجابًا وأجاب:
- أه.
أنهى عبارته وتطلع الجميع بعفوية إلى شهاب، الذي لاحظ العيون المتوجهة إليه فشعر وكأنه المقصود بتلك العبارات، فاكتفى بإيماءة من رأسه مجاملة لهم قبل أن يقول:
- صعبة، الست مكانها البيت، معروفة.
غمغم أمير:
- لو هي حابة بس، غير كدة لأ، وبالذات لو كانت عندها كفاءة وعقلية نادرة زي ديما.
قاطعه كريم قائلًا:
- فعلا، دة لو حد فكر يقعدها يبقى حمار ومتخلف.
حملق الجميع بدهشة إلى كريم الذي بدا وكأنه لم يشعر بفداحة عبارته، قبل أن يحاول أمير رفع الحرج، فيتصنع ضحكة سرعان ما انتقلت إلى الآخرين الذين سايروه لتمرير العبارة بسلام، قبل أن يهمس أمير إلى كريم قائلًا:
- ممكن ما تتكلمش تاني؟
أجابه كريم بنفس الهمس:
- ماشي.
- خالص.

خيم بعدها السكون على المكان وانهمك الجميع في تناول طعامهم، وحاول كريم أن يقطع ذلك الصمت موجهًا حديثه إلى زميلتهم نورهان قائلًا:
- تعرفي يا نورهان برغم إني تافه، إلا أن جمالك الصارخ دة كله ما شدينيش خالص.
شعرت الفتاة بالضيق ولكنها نجحت في إخفائها، فأسرع أمير ليتدارك الموقف قائلًا:
- دة لإن جمالها فوق مستوى إستيعابك وطموحك.
استأذنت الفتاة وهي تنهض قائلة:
- بعد إذنكوا خمس دقايق، رايحة التواليت وجاية.
بعد انصرافها تطلع أمير إلى كريم والغضب يتطاير من عينيه، ثم أخذ في توبيخه صائحًا:
- أنت حمار يالا، حد ينتقد بنت في جمالها؟!
دافع كريم عن نفسه قائلًا:
- إيه اللي فيها؟
- أنت مافيش إحساس خالص، وبعدين أنا مش نبهت عليك ما تتكلمش لنهاية اليوم.
- خلاص أنا آسف.
كانت ديما تراقبه وقد أعجبها تصرفه ومراعاته لشعور الآخرين بشكل كبير، قبل أن تقوم بتغيير مجرى الحديث لتقول موجهة حديثها إلى سما:
- قوليلنا بقى يا سما إيه مواصفات فتي أحلامك؟
أجابت سما:
- أحب إنه يكون راجل شرقي كدة وحمش ودمه حامي.
استوقفها أمير بنظرات صارمة فبدا عليها التوتر قبل أن يقاطعها قائلًا:
- أنا آسف لمقاطعتك، بس الكلام بتاعكوا دة بينرفزني، تقولوا عايزين واحد حمش وشديد ومش عارف إيه، وفي الأخر ترجعوا تعيطوا لما يمارس الكلام دة عليكي.

ثم أشار بسبابته مهددًا إياها قائلًا:
- لو سمحتي ما تقوليش الكلمة دي قدامي تاني، أنا مسكت نفسي المرة دي بالعافية.
ران الصمت عليهم لدقائق بعد عبارته قبل أن يقطع كريم ذلك الصمت مرة أخرى قائلًا:
- هحكيلكوا موقف يموتكوا من الضحك، النهاردة المدير الحمار بتاعنا.
حدجه الجميع بنظرات قوية جعلته يبتر عبارته، ولو أنه لم يدرك بعد الخطأ الذي وقع فيه قبل أن يتحدث أمير موجهًا حديثه إلى شهاب قائلًا بلهجة غير مقنعة:
- أنا عمري ما حسستهم إني مدير بقى والجو دة، دايمًا محسسهم إننا إخوات في قلب بعض عشان كدة ممكن عادي يقول عليا حمار وممكن أضربه في وشه عادي.
أنهى عبارته وهو يهوي بكفه ليصفع كريم في وجهه صفعتين متتاليتين، للتنفيث عن ذلك الغيظ الذي اكتنفه من تصرفاته، قبل أن يهمس له مرة أخرى قائلًا:
- أنا مش قلت لك يا حيوان تتكتم خالص.
أجاب كريم:
- أخر مرة والله خلاص.
عاد الجميع إلى تناول طعامهم قبل أن يرتفع رنين هاتف كريم فهب واقفًا وهو يصيح:
- إيه دة المدير الحمار بيتصل أهو.
صعق الجميع عند تلك اللحظة من عبارته التي كانت كفيلة بفضح أمرهم، فاتسعت أعينهم في توجس وترقب، في حين أجاب كريم الهاتف قبل أن يحاول أمير أن يتعامل مع الموقف بحنكة لألا ينفضح أمرهم فقال موجهًا حديثه إلى شهاب:
- أنا مديره المباشر، ودة مديرنا إحنا الاتنين.
لم يبد على شهاب الاقتناع وهو يتطلع إليه بنظرات متشككة، قبل أن يتوقف

فجأة عن تناول طعامه ويقوم بمسح يديه بالمناشف الورقية، ثم ينهض ويتحدث إلى ديما بحزم قائلًا:
- يلا بينا.
التفت لينصرف ونهضت ديما لتتبعه مسرعة بعد أن حيتهم، في حين زفر أمير في ضيق وهو يتبعها ببصره، قبل أن يلتفت إلى كريم الواقف وينتقده صائحًا:
- نفسي أفهم بتقف ليه وإنت بتكلمه؟
عادت زميلتهم نورهان في تلك اللحظات فسألتها سما لتخفيف التوتر:
- قولي لنا بقى يا نورهان، إيه مواصفات فتي أحلامك؟
أخذت نورهان تفكر قليلًا قبل أن تقول:
- عايزاه يكون شهم، وجرئ، راجل شرقي.
كتم الجميع أنفاسهم وهم يتمنون في داخلهم ألا يكون أمير قد انتبه لعبارتها، فقد كان يجلس ساهمًا يستند بفكه الأيمن على باطن كفه، وقد بدا عليه الإحباط الشديد مما حدث وفشل ذلك الأمر.
أشارت لها سما بيدها لتصمت، إلا أن نورهان تجاهلتها وهي تضيف:
- ويكون حمش كدة، مش لارج ومان.
بدا من الواضح وكأن أمير قد سمع كل كلامها فقد أدار وجهه نحوها في بطء شديد ليرمقها بنظرات حادة، وتسارعت أنفاسه من شدة الغيظ الذي زاد داخله تلك اللحظة، وحاول جاهدًا كتمانه دون جدوى، وبدا للجميع وكأنه سيهم بالتهامها رغم هدوءه الذي يشبه الهدوء الذي يسبق العاصفة.
إعمالًا للعقل قرر جميع الزملاء الانصراف واحدًا تلو الأخر، ابتعادا عن فوهة هذا البركان الذي سينفجر بعد قليل، تاركين أمير ونورهان التي لم تكن حتى الآن تعي سبب تلك التصرفات.

***

لو أننا أمام فيلمًا سينمائيًا كان المخرج سيفضل قطع التصوير عند تلك اللحظة، ثم إعادة التصوير مرة أخرى مظهرًا آثار ما فعله أمير ـ قبل انصرافه ـ في نورهان، التي ستكون في تلك اللحظة تجلس بمفردها على الطاولة في إعياء تام

وقد علا جسدها ووجهها عدة خدوش، مع احمرار أسفل عينها اليمنى المنتفخة من إثر لكمات قوية قد تلقتها، بالإضافة إلى تهتك في ملابسها والإكسسوارات التي كانت ترتديها، وأخيرًا سيتحول شعرها الناعم المنسدل على كتفيها إلى شعر أشعث أغبر متقصف في عدة أماكن ومنزوع تمامًا في أماكن أخرى.

***

"إوعي تكوني فاكرة إني كنت مصدق إنه عشاء عمل من الأول".

نطق شهاب بتلك العبارة بعد أن استقل سيارته في طريق عودته بصحبة ديما، التي التقى حاجباها في دهشة قبل أن تقول:

- ليه؟

أجاب:

- كلهم زمايلك، وماحدش فيهم جاب حد معاه غيرك، ودة معناه أن زمايلك اللي عاملين الفيلم دة عشان يوصلوا لي رسالة معينة وهي إنك تفضلي معاهم في الشعل.

حاولت أن تدافع عن نفسها قائلة:

- محدش فيهم مرتبط.

- حتى ولو تفسري بإيه إنهم ما إتكلموش غير في الموضوع دة، والمفروض إنه عشاء عمل.

- الموضوع دة خدنا، نعمل إيه يعني؟

همهم في استخفاف ثم قال:

- وتفسري بإيه أن اللي اسمه أمير دة عمل مديرك، وهو لا مديرك ولا نيلة؟

لم تجبه مما أكد له وجهة نظره فاستمر يقول:

- ومش بعيد يكون حاطط عينه عليكي وعايزك جنبه، لكن دة بعده.

صمت برهة ثم قال:

- ومش بعيد كمان يكون في بينكوا حاجة.

أغضبها كلامه فهتفت:

- أنت إزاي تقول كدة؟

تراجع قائلًا:
- أنا آسف يا حبيبتي، إنتي مش عارفة أنا بغير عليكي قد إيه، أنا بتقطع من جوايا لما حد بس يسلم عليكي.
- نعم، مش عايزني أسلم ع الناس كمان ولا إيه؟
- لأ سلمي، بس من غير بوس.
هتفت غاضبة:
- أنا مش ببوس حد.
- لا بتبوسي.
- أنت مين قالك الكلام الفاضي دة؟
ناولها هاتفه وهو يقول:
- شوفي الصور دي.
تناولت الهاتف في جزع وتطلعت إلى الصور التي قصدها قبل أن تتنفس الصعداء وتقول:
- دة أخويا ودة بابايا.
- دول اللي أقصدهم.
قالت في اندهاش:
- أنت مش عايزني أسلم عليهم؟!
- سلمي، بس من غير بوس.
- بتغير من دول؟
- أه، وياريت تراعي مشاعري زي ما براعي مشاعرك.
ثم بدا وكأنما تذكر شيئًا وهو يقول بثقة واضحة:
- أه صحيح، عايز كل لبسك يبقى بنطلونات بس.
- ليه؟
- عشان ما حدش يبص لك.
- بالعكس البنطلونات هي اللي بتخليهم يبصوا.
- خلاص ما تلبسيش بنطلونات خالص، كل لبسك يبقي جيب وفساتين.

تطلعت إليه في تأفف وقالت:
- أنت عايز أي تحكم وخلاص.
هتف مستنكرًا:
- أنا، مين قال كدة؟
- أنت محسسني إنك ليك حق وعايز تمارسه وخلاص.
***

الفصل السابع

كانت ديما تلملم أشياءها لترك العمل والانصراف تلك المرة بلا عودة، عندما اقترب منها أمير وسألها في حزن:

- خلاص هتمشي؟

هزت رأسها إيجابًا في أسى بالغ دون أن تجيب فسألها:

- هو لسة مصر برضه؟

هزت رأسها أيضًا فظل يراقبها لبرهة ثم سألها مرة أخرى قائلًا:

- بتحبيه أوي كدة؟

تطلعت إليه وقالت:

- هو رغم كل دة بس من جواه طيب والله، الأول كان عادي بس حبيته بعدها.

فاجأها بسؤاله:

- حب بجد ولا امتنان؟

هزت رأسها في عدم فهم وقالت:

- مش فاهمة.

- معظم قصص الحب بيبقى طرف بيحب وطرف ممتن أو سعيد بالحالة دي ومتشدلها.

تأملته قليلًا وبدا على وجهها وكأنه قد أصاب الحقيقة قبل أن يستطرد هو قائلًا:

- بصراحة أنا شايف إنه فيه ميزة واحدة بس.

- إيه هي؟

- أمور وطول بعرض بعضلات، يعني موز زي ما بيقولوا، من النوع اللي البنات بتحبه.

- لأ، أنا مش تافهة عشان أحب حد عشان شكله، ماينفعش أصلا.

- دة كلام بنقوله عشان مايصحش نقول غيره بس بنعمل عكسه، بس أنا شايف أن مافهاش حاجة.

- لأ طبعًا ما ينفعش نحكم على حد من حاجة مش من اختياره، إحنا نحكم عليه بالحاجات اللي ليه دخل فيها.
- رغم إننا بنراعي المظهر برضه في التعامل، بس أنا بتكلم تحبي حد مش تحكمي عليه في فرق، من حقنا نحب الشكل، لكن مش من حقنا نحكم على حد ونعامله بناءً على كدة.
- لأ برضه، ما ينفعش أحب حد عشان شكله.
- ما انتي بتحبي حد عشان عقله، وعشان ذكاؤه وعشان خفه دمه، وكل الحاجات دي مش من اختياره.
- حتى لو كانت دي الحقيقة بس مش دة السبب.
- ممكن تكوني مش عارفة، العقل الباطن هو اللي بيحب وبيكره الأول بدون ما نعرف السبب، ممكن بعد كدة نعرف السبب وممكن لأ.
- لأ برضه أنا متأكدة، يمكن أكون متأثرة بفكرة إنه ساب كذا بنت عشاني، وسيبنا بعض قبل كدة وعرف كذا واحدة بس في الأخر سابهم عشاني ورجعنا لبعض، والفكرة دي مخلياني متمسكة بيه.
أومأ أمير برأسه تفهمًا وران الصمت بينهما لحظات ظل يتأملها فيه، قبل أن يزفر زفرة حارة ثم يقطع ذلك الصمت قائلًا في لهجة مليئة بحنان جارف وصدق شديد:
- هتوحشينا أوي يا ديما.
تطلعت إليه وبدا وكأنما فهمت ما يدور داخله فهمست في تأثر:
- أنت كمان هتوحشني.
صمتت بعدها قبل أن تقول بنفس اللهجة:
- تعرف أن أنت أكتر حد في الدنيا برتاح له وبحب أتكلم معاه وأفضفض له، أكتر من أهلي حتى.
ارتعشت أوصال أمير من ذلك الكلام الذي فاجأته به ديما، ومكث برهة يستشعر حلاوة تلك الكلمات التي أنعشته قبل أن يقول بنفس اللهجة الحانية:
- الكلام دة هعيش بيه الفترة اللي جاية اللي مش هشوفك فيها.

هتفت فجأة:
- مين قال إن علاقتي حتنتهي بيك؟
تفاجأ من عبارتها ثم قال:
- توقعت يعني.
- إشمعني؟
- يعني، أي بنت بتتخطب بتقطع علاقتها بأي ولد تعرفه وتعملهم بلوك من كل حياتهم، دة إذا ما عملوش كدة للبنات كمان.
ابتسمت ديما من عبارته ثم قالت:
- لأ مش هيحصل، إنتوا بقيتوا صحابي مش مجرد زمايل.
لم تدر ديما كم السعادة التي أدخلتها على قلب أمير بعبارتها الأخيرة، الذي اكتفى بوصوله لتلك البشارة التي ساهمت كثيرًا في التخفيف من وطأة مفارقتها .
فتحت ديما حافظة نقودها وأخرجت منها عدة أوراق نقدية ناولتها لأمير قائلة:
- خد.
سألها:
- إيه دول؟
- الفلوس اللي دفعتها في عشاء العمل إياه.
قطب جبينه وقال:
- تصدقي عيب كدة.
- أنت ذنبك إيه، الموضوع كان ليا.
- إيه اللي بتقوليه دة، الحاجة اللي تخصك أكيد تخصنا، أنا لو عليا ممكن أدفع كل اللي معايا عشان ما أشوفش زعلك دة.
ثم ابتسم وهو يداعبها قائلًا:
- لو حصلت حتى أبيع حتتين الصيغة اللي عندي مش هتردد لحظة.
أشرق وجهها بابتسامة براقة مشرقة دفعت أمير لكي يصيح في سعادة مفرطة:
- أيوة بقى إضحكي وخلي الدنيا تضحك.

أخذ يساعدها في إنهاء متعلقاتها، ثم وقف هو وزملاؤه لتوديعها وداعًا حارًا.
على الرغم من مكوثها لمدة قصيرة إلا أنهم شعروا وكأنها قد زاملتهم لسنوات، ذلك لمحبتهم الشديدة لها فهي من النوع الذي يسرق القلوب بسرعة، وذلك لرقة طباعها وبهاء طلتها وجمال هيئتها ومضمونها.
راقبها أمير وهي تنصرف حتى اختفت تمامًا عن ناظريه تمامًا، وظلت عيناه معلقتين حيث البوابة التي خرجت منها في شرود تام، ولم ينتبه سوى على سما التي رأته بتلك الهيئة مما أثار شفقتها فأخذت تربت على كتفه، فهي تعلم تمامًا ما يدور في داخله وما يشعر به في تلك اللحظة.

***

كانت الأيام التالية من أصعب الأيام التي مرت على أمير في حياته، بل هي أصعبها على الإطلاق، كان يشعر بمثل ما يشعر به الأحبة بعد فراقهم من أحبوهم رغم الاختلاف، فهو حب من طرف واحد كان كذلك وسيظل كذلك.
ويا له من حب، هو عذاب في واقع الأمر، وعندما يلازم هذا العذاب الحب فما الفائدة، نعم لقد لازمه منذ البداية وسيظل كذلك حتى النهاية.
كان بالطبع يشاهد صورها وفيديوهاتها القديمة من آن لآخر، قبل أن يقرر محاولة نسيان الأمر والانشغال بأمور حياته، واستغلال أي وقت فراغ للانغماس في أي نشاط يساعده على امتصاص توتره وعلى عدم تذكر الأمر، وبالتالي على تخطي تلك الأزمة، ولكنه ـ وللأسف ـ لم ينجح معه هذا الأمر فقد كان يتذكرها حتى في حال انشغاله بتلك الأشياء التي يفعلها من أجل نسيانها، بل يتذكر كل حرف من حديثها معه ونبرات صوتها العذبة وتلك الابتسامة الرقيقة التي يعشقها.
اكتشف أخيرًا مسكنًا يهدئ من آلامه وهو أن ينطق باسمها بصوت جهور حين يختلي بنفسه قائلًا "بحبك يا ديما"، أو يكتبها بخط كبير على ورقة بيضاء حين يكون بالعمل ثم يتطلع إليها شاردًا أو يحتضنها.
كان في حالة يرثى لها بحق وموقف لا يحسد عليه ولا يشعر به إلا من مر بمثل ظروفه، وراوده خاطر بترك العمل الذي يعتقد أنه سبب رئيسي في تذكره لديما،

كلما نظر إلى المكان الذي كانت تتواجد به فيزيد ذلك من آلامه كمن يتكئ على جرح أصابه، وأحال ذلك إلى موضع التنفيذ ولكنه تراجع في اللحظات الأخيرة.
خواطر غريبة بدأت تراوده، فقد أخذ يتساءل في داخله لماذا يكون الحب الذي هو أسمى وأطهر وأرقى المعاني والمشاعر الإنسانية -سبيلًا إلى العذاب والآلام، حين تحب شخصًا لا يشعر بك أو لا يُكِن لك في المقابل أية مشاعر، وهي لا تلام على ذلك فلا أحد يستطيع التحكم بقلبه وإجباره على أن يحب شخصًا أو لا يحبه، وإلا فسيكون من الأولى به إثناء قلبه عن حبها ليستريح من ذلك الهم الجاثم على صدره.
سأل نفسه سؤالًا عجيبًا، لماذا نحزن عند فقدان الحبيب طالما أن الهدف هو تلك الحالة التي يُحدثها الحب وليس الشخص عينه، ولم التمسك بالشخص طالما من الممكن حدوث تلك الحالة مع شخص آخر.
تذكر أن الحب لا يخضع دائمًا لأي منطق، ومن يقع فيه تجده رهين لا منطق بل لا عقل أيضًا، فتجد الشخص المهاب الوقور أسيرًا للتهور وللأفكار والتصرفات غير المحسوبة بل المجنونة أيضًا، والشخص الشرس تجده حملًا وديعًا، وتجد الشخص الكئيب مبتسمًا مقبلًا على الحياة، بل تجد الشخص غير السوي أسيرًا للمشاعر الإيجابية من صفاء السريرة والتسامح والطيبة.
باختصار نستطيع أن نقول أينما لا يوجد منطق فثم الحب.
غريب هذا الحب،
وغريبة تلك الحياة.
هكذا أنهى أمير تساؤلاته حين لم يجد تعليلًا لتلك التساؤلات، قبل أن ينتبه إلى غرابة تلك الأسئلة ويتعجب من طرحه لها ثم ينفض عن ذهنه كل تلك الخواطر
.

***

مرت الأيام والليالي ولا يزال أمير بتلك الحالة؛ ففكر أن يحادث ديما هاتفيًا متحججًا بأية حجة،
وقام بالفعل بمحادثتها ولكنها لم تجب على الهاتف، فحاول بعدها عدة مرات

وفي أوقات متباعدة ولم تجبه أيضًا، فطلب من سما أن تطلبها هاتفيًا للسؤال عنها والاطمئنان عليها قائلًا:
- هي ديما مش بتكلمك؟
أجابت:
- لا والله.
- طب ما تيجي نتصل بيها.
- أوكيه.
- بس من موبايلك لإن رصيدي خلص.
قامت سما بطلب ديما هاتفيًا والتي أجابت على الفور قائلة:
- ألو، إزيك يا سما عاملة إيه؟
- الحمد لله تمام، إنتي اخبارك إيه؟
- كويسة والله.
- إحنا قلنا نكلمك نتطمن عليكي، طالما مش بتسألي.
- ميرسي يا حبيبتي، أنا آسفة والله، أنا عارفة إني مقصرة معاكي.
- لا أبدًا مافيش حاجة.
كان أمير يشير إليها فناولته الهاتف وهي تقول:
- خدي أمير عايز يسلم عليكي.
دون أن تنتظر ردًا ناولت هاتفها لأمير الذي التقطه منها في لهفة واضحة، ورسم ابتسامة عريضة على شفتيه وهو يقول بسعادة طاغية:
- إزيك يا ديما عاملة إيه؟
- الحمد لله، أنت أخبارك إيه؟
- تمام والله.
ثم غمغم في دفء:
- وحشتينا، الشركة من غيرك مضلمة.
- ميرسي دة من ذوقك.
صمت قليلًا ثم قال:

- عاملة إيه مع شهاب؟
- الحمد لله، ماشي الحال.
- حددتوا معاد الفرح ولا لسه؟
- لا والله لسه.
- إبقي عرفينا بقى لما تحددوا، ولا مش ناوية تعزمينا.
- لا إزاي، إنتوا أول ناس هعزمهم.
داعبها قائلًا:
- تصدقي طمرت فيكي العشرة.
ضحكت وقالت:
- ربنا يعلم معزتكوا عندي قد إيه.
- طب أسيبك بقى دلوقتي وإبقي طمنينا عليكي.
- أوك، سلام.
أغلق أمير الهاتف وناوله لسما التي انصرفت تاركة إياه والابتسامة لا تزال تلازمه، وقد تغيرت حالته النفسية إلى حد كبير وشعر بشيء من السعادة، ليست سعادة من تحصل على شيء يفتقده أو حقق حلما ابتغاه، ولكن سعادة من أصابته مصيبتان ثم انزاحت عنه إحداهما، فقد خففت تلك المكالمة الهاتفية الألم الذي اكتنفه منذ ترك ديما للعمل، أو بعبارة أخرى خففت الألم الذي ازداد عليه حينها وهو ألم عدم رؤيتها وليس ألم رفضها له المستمر منذ البداية.
الغريب أنه لم يبال بعدم اجابتها لاتصاله وإجابة اتصال سما بها في نفس الدقيقة، بل نسي ذلك تمامًا، ولا مجال للاستغراب فقد اتفقنا أن الحب لا يقاس على أي منطق.

***

بينما كان أمير يؤدي عمله أتاه كريم ليتحدث إليه قائلًا:
- بقولك ايه؟
أجابه أمير دون أن يتطلع إليه:
- إرغي.

تحدث كريم في ارتباك قائلًا:
- كنت عايزك تظبطني مع سما.
ترك أمير ما بيده وتطلع إليه مندهشًا وقال:
- أظبطك إزاي يعني؟
- عايز أرتبط بيها، وعايزك تكلمها لي وتقنعها، أنا معجب بيها من زمان وإنت عارف، ومستعد أتقدم لها كمان.
- أنا ممكن أكلمها لك أه، لكن أقنعها ما أوعدكش.
- ليه؟
- لإني ما أقدرش أقنع حد بحاجة أنا مش مقتنع بيها.
قال كريم في ضيق:
- كلامك دة فيه تلميح مش كويس.
قال أمير بجرأة شديدة:
- لأ تلميح إيه، أنا ممكن أقولها لك في وشك، أنا مش مقتنع بيك، وإنت شخصية زبالة أصلًا.
- ليه كدة، الكلام دة بيقلل ثقتي في نفسي.
- طب بذمتك أنت مقتنع بنفسك؟
- بصراحة لأ.
- شفت بقى.
- طب كلمها لي وجس نبضها وعرفني.
- أوك، هكلمها لك.

***

في نفس اليوم وقبيل انصراف سما ناداها أمير قائلًا:
- بعد إذنك يا سما كنت عايزك في موضوع قبل ما تمشي.
رحبت قائلة:
- أوي أوي مافيش مشكلة.
انصرف كل الموظفين ولم يبق سوى أمير وسما التي بادرت بسؤاله:

- خير؟
أجاب:
- والله يا سما كان في واحد هنا في المكتب موصيني أظبته معاكي على حسب تعبيره يعني.
ضمت حاجبيها في دهشة وقالت:
- مين دة؟
- خمني.
- مش عارفة.
- إنتي ذكية وأكيد حسيتي.
أخذت تعصر عقلها لتتذكر قبل أن تهز رأسها ثم تبتسم قائلة:
- لأ، ما خدتش بالي.
ابتسم أمير وهو يقول:
- كريم يا سيتي، معجب بيكي من فترة وكمان عايز يجي يتقدم لك.
انطفأت تلك الابتسامة وحل محلها خيبة أمل وكأنها كانت تتوقع شخصا آخر، قبل أن تحني رأسها ثم تعود لترفعها وتقول:
- بس هو عارف ظروفي؟
- ظروف إيه؟
- إني يتيمة وكدة.
- وإيه اللي فيها، ما أعتقدش أن دة هيغير حاجة، وبعدين بطلي تشوفيها كدة، وكل حد يجيلك تقولي له ظروفي ومش ظروفي.
ـ إيه اللي فيها؟
- أصل لما أنتي تشوفيها كدة كإنها حاجة تقلل منك، تفتكري الناس هيشوفوها إزاي، حتى اللي مكانش ناوي يستقل بيكي هيستقل بيكي.
- بس من حقه يعرف برضه.
- أيوة بس مش تتعاملي معاها كإنها حاجة أساسية، تعاملي كإنها معلومة تتعرف وخلاص، وإنتي لو موافقة عليه من حيث المبدأ، قولي أة وبعدها هتخرجوا مع

بعض وتتكلموا في كل حاجة، وحصل نصيب أوك، ما حصلش يبقي خلاص.
ران الصمت بينهما للحظات قبل أن تقطعه بقولها:
- أنت إيه رأيك؟
قالتها وهي ترمقه بنظرات عميقة، فتحاشى النظر إليها وهو يقول:
- والله أنا شايف إنه شخص كويس وسخيف وجدع ورخم، يعني.
ابتسمت لدعابته قبل أن تسأل:
- عرفت منين إنه كويس؟
أجاب:
- ماشفتش منه حاجة وحشة.
- مش شرط، يمكن ما جاتلوش الفرصة.
- إزاي؟
- إحنا بنبقى كويسين مع ناس وناس على حسب صورتهم عندنا.
صمت برهة ثم قال:
- طب في حاجة أهم.
- إيه هي؟
- إنه بيحبك.
فاجأته بقولها:
- أنهى نوع من الحب.
ضم حاجبيه وسألها:
- هو الحب أنواع؟
أجابته:
- أه طبعًا.
- طب ياريت تنوريني.
- في حب الإعجاب، لما صفات بتحبها تلاقيها فيه، وحب الإنجذاب، وحب التعود، وفي حب الإرتياح، حبيته لإنك بترتاح له.
- هما مش حب أصلًا اللي أعرفه أن في حب حقيقي أو مافيش.

- لأ، كدة هنظلم الأنواع دي لما نعتبرها مش حب، وفي ناس كتير هيتطلقوا بسببنا، لإن الغالبية العظمى كدة، ممكن نقول إنهم مرتبة أقل أو درجة أقل.
- وأعرفهم إزاي؟
- بتبقى بتحبه أه بس قشطة لو نفع نفع، مانفعش مافيش مشكلة، مش بتقبله زي ما هو وتبقى عايز تغيره، مش متمسك بيه أوي، ولا مستعد تخسر أي حاجة في حياتك عشانه.
- وتاني؟
- وفي الحب اللي بيسموه الحب الحقيقي، أو العشق الأفلاطوني، وغالبًا دة اللي بيعيش، ودة بقى بتبقى متمسك بيه رغم كل الضغوطات والموانع والظروف اللي واقفة ضدك، بتقبله زي ما هو أيًا كان، حتى الحاجات اللي بتكرهها لو بقت فيه ممكن تتقبلها، لما تشوفه بتنسى كل حاجة حتى نفسك، وتبقى شايل هم اللحظة اللي هيروح فيها، صوته بيطربك، لمسته بتحييك، سعادته بس اللي بتفرحك والعكس صحيح، وتبقى مستعد تخسر كل حاجة وتكسبه فعلا مش كلام.

شرد أمير بذهنه قليلًا وكأنه يتذكر شيئًا ما، قبل أن تتابع هي:

- زي حبك لديما.

أومأ برأسه تفهمًا قبل أن تستكمل كلامها متسائلة:

- ولا مش مستعد؟

تنهد تنهيدة حارة ثم أجاب بعبارة هي أصدق ما يكون:

- مستعد طبعًا.

كان من الواضح أنه يعني ما يقول تمامًا، وبالفعل أي فقدان يكون أهون بكثير من فقدان من تحبه، وطالما الأمر كذلك فالمنطق يقول أن تقبل خسارة أقل تفاديًا لخسارة أكبر.

صمت أمير بعدها قليلًا ثم قال:

- إنتي شفتي الكلام دة في فيلم بقى ولا قريتيه؟

ابتسمت وقالت:

- لأ، دي من خبرتي في الحياة.
- وإيه أهمية تحديد النوع؟
- العلاقة اللي فيها واحد بيحب حب حقيقي والتاني بيحب بدرجة أقل بتبقى مأساوية للأولاني.
صمتت برهة قبل أن تضيف:
- المهم، ما جاوبتنيش.
- ما أعرفش بيحبك حب من أنهي نوع، أنا ممكن أسأله، بس واحد متخلف زي دة، مش هيفهم السؤال أصلا.
ابتسمت لعبارته الأخيرة، قبل أن يضيف هو:
- طب لو إعجاب، أو إنجذاب مثلا، هتوافقي ولا لأ؟
- دول لأ.
- ليه؟
- أنت لما تعجبك وردة هتقطفها، لكن لو حببتها هترويها.
أسرع يقول:
- سيبك من حكم الفيسبوك دي، إحنا بنقولها عشان اللايكات.
- لأ، أنا مقتنعة بيها.
- ما هو ممكن يتطور لحب حقيقي.
أخذت تفكر قليلًا قبل أن تقول:
- عندك حق، بص، أوكيه، أنا موافقة من حيث المبدأ، وهبقى أحكم وأشوف بنفسي.

***

قام أمير بإخبار كريم بموافقة سما، وضرب له موعدًا معها بإحدى الكافيهات، وبدا على كريم التوتر والارتباك وأخذ يتصبب عرقًا وهو يقول:
- أنا متشكر جدًا ليكي، وأوعدك إني هكون عند حسن ظنك.
شعرت بحرج شديد وهي تقول:
- أنا اللي متشكرة، بس في حاجات لازم تعرفها عني.

سألها:
- إيه هي؟
- أنا يتيمة ومقطوعة من شجرة، وعايشة مع واحدة زميلتي ليها نفس ظروفي في شقة لوحدينا.
طمأنها قائلًا:
- وإيه اللي فيها يعني، نضربك بالنار يعني عشان يتيمة؟
تهللت أساريرها وهي تقول:
- يعني ما عندكش مشكلة في النقطة دي؟
هز رأسه نفيًا وقال:
- خالص.
ابتسمت في سعادة وقالت:
ـ طب تمام.

***

بعد عدة أسابيع وبطبيعة الحال اشتاق أمير لرؤية ديما أو سماع صوتها، فقام بمهاتفتها لعدة مرات وكسابق عهدها لم تجبه، فعلم أنها لا تريد الحديث معه لسبب لا يعلمه، وقرر أن يحترم رغبتها ولا يعاود الاتصال، ولكن بعد أيام زاد عليه حنينه واشتياقه لها فقام بشراء شريحة اتصال برقم جديد في طريق عودته من عمله وقام بمهاتفتها.
هاتفها الأول برقمه ولما لم تجبه انتظر لعدة دقائق وطلبها من الرقم الجديد، ولم يندهش من إجابتها تلك المرة وظل يسمعها وهي تقول:
- ألو، ألو، مين معايا؟
لم يجبها واكتفى بسماع صوتها، ولم يجرؤ على إغلاق الهاتف عليها فانتظر حتى أغلقت هي ثم أغلق بدوره، قبل أن يعيد الكرة مرة أخرى وبعد أن أغلقت الهاتف للمرة الثانية، قام بوضع هاتفه جانبًا، ومدد جسده على الفراش في وضع شبه الجلوس وأخذ نفسًا عميقًا، ثم رسم ابتسامة عريضة على شفتيه وهو يسترجع وقع صوتها الرقيق على أذنه.

رغم أن الأمر قد يبدو بسيطًا لدى البعض إلا أنه قد ترك أثرًا كبيرًا في نفسه، وأكسبته سعادة كبيرة لتنعش له جسده ويحيا بها قلبه لعدة أيام.

***

كان شهاب وديما في تلك اللحظات يمشيان بذلك النادي الاجتماعي، عندما حانت منه التفاته نحو عدة فتيات يتمشيان في الاتجاه العكسي، ما لفت انتباه ديما التي عاتبته هاتفة:

- عينك.

انتبه لنفسه فأسرع يقول:

- في إيه؟

أجابت:

- عمال تبصبص.

قال ببراءة مصطنعة:

- وإيه اللي فيها؟

استنكرت قائلة:

- يعني إيه إيه اللي فيها ؟؟، مش عاجباك اللي ماشية معاك؟

أجاب بابتسامة عريضة:

- لا إزاي، عاجباني ونص.

ابتسمت لعبارته قبل أن يتابع هو:

- بس مالهاش علاقة يعني، أمال ربنا خلق البنات ليه؟

- يا سلام خلقهم عشان نبصبصلهم، ماتقعدش تبرر الغلط.

- مش ببرر ولا حاجة، دول من ضمن المتع اللي ربنا خلقها للراجل.

- والله، هي دي وظيفتها بالنسبة لك؟

- لأ أكيد ليها وظايف تانية، تاخد بالها من الراجل والبيت والعيال.

- أيوة كدة إتلم.

- خلاص يا سيتي حقك عليا، إتلميت أهو.

أنهى عبارته وهو يدعوها للجلوس إلى إحدى الطاولات، واستغل شهاب انشغالها

بالجلوس ووضع أشيائها على الطاولة ليخطف نظرة على فتاة تجلس في الطاولة المجاورة، ولكنها كانت له بالمرصاد فقامت بضرب كفه الممدودة أمامه على الطاولة، فسحبها مباشرة ورمقها بنظرات مستنكرة وهو يهتف:

- إيه اللي إنتي عملتيه دة؟ إنتي بتضربيني؟

صاحت:

- عشان رجعت تبصبص تاني.

هتف مدافعًا عن نفسه:

- أنا شبهت عليها، عشان شبه واحدة قريبتي.

هتفت بدورها:

- وانا ما ضربتكش، أنا بنبهك.

ضرب كفًا بكف وهو يقول:

- عشنا وشفنا الستات هما اللي بيضربوا الرجالة.

رمقته بنظرات صارمة وصاحت:

- أمال المفروض إيه؟

أسرع يقول:

- العكس طبعًا.

استنكرت قائلة:

- يا سلام.

ابتسم مداعبًا إياها وقال:

- أه، دي من ضروريات الحياة.

صمت بعدها قبل أن يقول:

- لا لا بهزر.

أتى النادل فقاما بطلب كوبًا من القهوة لها ومشروبًا باردًا له، قبل أن يقول في جدية:

- صحيح، أنا لو اترفزت في يوم من الأيام وضربتك هتعملي إيه؟

قالت في هدوء:

- ربنا ما يجيب مشاكل، ليه بتقول كدة؟
- لأ بجد.
- هو أنت ناوي على كدة يعني؟
- لأ طبعًا بس فرضًا يعني.
أخذت تتطلع إليه في ذهول ثم قالت في تحد وكأنها تتعمد إغاظته:
- هعملك محضر تعدي.
رفع حاجبيه في دهشة وقال:
- هتعملي محضر لجوزك؟
أجابت:
- وإنك تضربني بالنسبة لك حاجة عادية يعني؟
صمتت برهة ثم أضافت:
- بقولك إيه، أنت شكلك النهاردة شارب حاجة وعمال تخرف.
همت لتنهض بعدها إلا أنه منعها بيده قائلًا:
- خلاص خلاص، أنا كنت بضحك معاكي، ما تقفشيش كدة.
تراجعت عن النهوض ومكثت برهة لتهدأ قبل أن تتحدث إليه قائلة:
- الحياة الزوجية مش مين يسيطر على مين ولا مين يطلع عقده في مين، الموضوع أبسط من كدة بكتير.
هز رأسه موافقًا إياها وقد تبدلت ملامحه تمامًا إلى السكينة والوداعة، ثم أخذا يتبادلان الحديث في أمور الزفاف ومواضيع أخرى حتى انصرافهما.

***

كانت ديما تجلس بغرفة الاستقبال مع والدتها وأختها وزوج أختها، الذي نهض ليستأذن بالانصراف قائلًا:
- أنا هضطر أستأذن يا حماتي عشان عندي شغل، مش عايزة حاجة؟
أجابته:
- شكرًا يا حبيبي تسلم، سلم لي على ماما وبوسها لي من هنا ومن هنا، وقولها طنط زعلانة أوي عشان ما جاتش النهاردة.

علق قائلًا:
- غصب عنها والله يا طنط.
قالها ثم حيا ديما وأختها على الترتيب قائلًا:
- مع السلامة يا ديما، مع السلامة يا بيبي، مش عايزة حاجة؟
أجابت أختها:
- لأ، سلامتك.
بعد انصرافه التفتت والدة ديما إلى أختها وتساءلت قائلة:
- هو روح ليه من غيرك؟
- تعبان شوية عشان جاي من الشغل لهنا.
- أمال ليه بيحور وبيقول أن عنده شغل؟
- عشان ما تزعليش.
- هيجي ياخدك؟
- لا هروح بتاكسي.
- يا سلام، ليه، إنتوا متخانقين ولا إيه؟
- لا، أبدًا إنتي مش شايفاه بيسلم عليا أهو.
- أه، لو مزعلك قولي لي وأنا ابهدلهولك.
- بالعكس كتر خيره مستحمل عصبيتي.
- ما هو لازم يستحمل هو كان يطول يتجوز واحدة زيك، بقرعته دي.
أنهت عبارتها ثم التفتت إلى ديما التي فاجأتها بقولها:
- ماما أنا عايزة أسيب شهاب.
رفعت حاجبيها في دهشة وهتفت:
- ليه يا بنتي كدة؟
- خايفة ومش حاسة إني هبقى مرتاحة معاه، كل مدى بكتشف إنه إنسان من جواه مريض.
- ليه عمل إيه؟
- دة بيقول لي لو ضربتك في يوم من الأيام هتعملي إيه.

رفعت حاجبيها مرة أخرى وقالت:
- بجد قال كدة؟
- أه، تخيلي.
- قولي له ربنا ما يجيب مشاكل.
- أنا قلت كدة بس أصر فقلت له هعملك محضر تعدي.
استنكرت قائلة:
- حد يقول كدة؟!
ثم حاولت تهدئتها قائلة:
- بصي الرجالة عصبيين شوية، لازم تتعلمي إزاي ما تستفزيهومش وتمتصي غضبهم، وتستحملي، ما تاخديش المواضيع على صدرك كدة، وإن شاء الله بكرة ربنا يهديه.
صمتت بعدها برهة قبل أن تضيف:
- بصراحة أنا مش مصدقة إنه ممكن يقول كدة، شكلك بتتبللي عليه أو بتتلككي، دة شاب زي الفل وعريس لقطة ولو ضيعتيه هو راخر مش هيحصل كويس.
حدقت فيها ديما فاغرة فاهها بدهشة عارمة، وهمت أن تجيبها ولكنها أثرت الصمت، رغبة فقط في إنهاء أي نقاش يخص شهاب الذي باتت سيرته تستفزها وتشعر بغصة في حلقها كلما تذكرته.

***

بعد مرور عدة أسابيع على علاقة كريم وسما، وبينما هم في العمل تحدث كريم إليها قائلًا:
- بصراحة أنا لسة مش مصدق إنك وافقتي عليا.
ضمت حاجبيها في استغراب وسألت:
- إشمعني يعني؟
- زي ما انتي شايفة يعني الفرق بيننا.
أسرعت تقول:
- عشان تخين يعني؟

ثم استدركت قائلة:
- سوري أنا آسفة، أقصد يعني عشان شكلك؟
أومأ برأسه إيجابًا وقال:
- يعني.
تحدثت إليه قائلة:
- ليه متخيل إني هحاسبك على حاجة مش من اختيارك، أنا ماينفعش احاسبك غير ع اللي جواك والحاجات اللي بتتحكم فيها وإللي أنت إختارتها.
ابتسم في رضا وعقب قائلًا:
- تمام.
أسرعت تقول:
- دايمًا في الأفلام البطل والبطلة اللي بيحبوا بعض لازم يبقى شكلهم حلو، فدة عمل ارتباط شرطي عندك وعند ناس كتير إننا نحب الشخص اللي شكله حلو، بس دة مش صحيح.
- رغم إني ما فهمتش غير كلمة مش صحيح، بس مش مشكلة.
أطلقت سما ضحكة مرحة قبل أن تقول:
- وإنت ياريت ما تبصش لشكلي، لإن مهما كنت حلوة هتتعود وهيجي يوم وتزهق وتشوفني عادية ومعاملتك هتتغير.
- لأ أبدًا، أنا معجب بشخصيتك وأخلاقك وعقلك.
- طب كويس، أنت ريحتني أوي بالكلام دة.
ران الصمت لحظات وتردد كريم قليلًا قبل أن يقول:
- ممكن نتغدى مع بعض النهاردة؟
- أوكيه، مافيش مشكلة.

***

في إحدى الكافتيريات جلس كريم وسما يتحدثان حتى أقبل النادل وأخذا يمليان عليه طلباتهم، وتحدثت سما قائلة:
- عايزة بيف إستيك.

تطلع النادل إلى كريم الذي قال:
- وأنا هاتلي بنانا بوت.
نجحت سما في إخفاء تلك الضحكة التي كادت أن تخرج رغمًا عنها، في حين تطلع إليه النادل في اندهاش وقال:
- تقصد بنانا جوس؟
أجابه كريم:
- أه بالظبط.
سألته سما:
- طب مش هتاكل حاجة؟
ارتبك كريم وقال:
- ما أنا طلبت.
قبل أن يسأل النادل بعفوية:
- إيه، هو دة مش أكل؟
كتمت سما ضحكتها للمرة الثانية لألا تحرجه، قبل أن يجيب النادل:
- لأ دة مشروب.
بدا على كريم الحرج وهو يقول:
- خلاص هاتلي مكرونة فرن.
- مافيش.
- طب هاتلي البتاع اللي هي قالت عليه دة.
- أجيبلك بيف إستيك؟
- أه.
ذهب النادل فتطلعت إليه سما وقالت:
- أنت عارف إيه هو البيف إستيك؟
بدا عليه الارتباك وهو يقول بتردد:
- لأ إزاي، البيف دة اللي كلنا عارفينه، والإستيك دة اللي كلنا عارفينه برضه.
ضحكت سما وقالت:

- يا سلام.
غمغم وهو يشير بيده إشارات توضيحية:
- البيف دة إختصار للبلوبيف، خلاص؟ والإستيك، يعني إستيك معروفة مش محتاجة شرح، عارفة الأستيكة بتاعت زمان اللي كنا بنمسح بيها، صغيرة زيها كدة.
واصلت ضحكاتها وقالت:
- مافيش مشكلة لو قلت مش عارف.
صمت لبرهة قبل أن يجيب في حرج:
- أصلي مش عايز أقل في نظرك بس مش أكتر.
قطبت جبينها وهي تعلق قائلة:
- هو معرفتك بالإنجليزي هو اللي هيعمل لك قيمة في نظري! وعدم معرفتك هيقلل من قيمتك دي؟
- يعني.
- لو كنت متخيل دة تبقي غلطان، ولو الناس كدة فعلا أنا مش كدة.
أخذ يدافع عن نفسه قائلًا:
- مش بكيفي والله، بس إنتي عارفة كل الناس بيحبوا يترسموا بدة.
- أنا بعتبرهم متخلفين، خليك طبيعي يا حبيبي.
أعجبه وصفها إياه بكلمة حبيبي فابتسم في سعادة وقال:
- الله، قوليها تاني كدة.
قالها وهو يحاول لمس يدها الموضوعة على المنضدة فضربته على يده قائلة:
- إتلم.
تحدث في همس قائلًا:
- وأنا بحبك أوي برضه، بحبك حب كبير.
- كبير قد إيه يعني؟
- أكبر من حب قيس وليلى، ومن حب جوليو وروميت.
غمغمت مستنكرة:

- جوليو ورومييت؟
أسرع يقول:
- إيه دة، إنتي ما تعرفيهمش، أمال مثقفة على إيه بقى؟
قالت ضاحكة:
- أنت هتبدأ تطلع فيا العبر بقى وتردها لي، لأ عارفة بس كمل كمل.
أخذ يتحدث في خفوت وبتأثر شديد، وبدا وكأنما سيقول كلامًا رومانسيًا وهو يهمس بطريقة لا تتماشى مع شكله الكاريكاتيري:
- إحنا يا سما إتخلقنا لبعض.
انفجرت في الضحك مرة أخرى، فتطلع إليها وعلامات الاستفهام تتطاير من نظراته، قبل أن يقول في حيرة شديدة:
- في إيه تاني؟
أجابت:
- على فكرة ما إتأثرتش.
- ليه؟
- الكلام دة إتهرس، قول كلام جديد.
بدا عليه التفكير قليلًا ثم قال بنفس التأثر والهمس:
- أوك، تعرفي لو خيروني بينك وبين مليار دولار، عارفة هختار مين؟
ابتسمت وقالت:
- هتختار إيه؟
بدا وكأنه سيقول شيئًا ما قبل أن يتردد قليلًا ثم يقول:
- لأ بصراحة، هختار المليار دولار طبعًا، إنتي عارفة دول يعملو كام؟
ضربته مرة أخرى فقال:
- خلاص ممكن نقلل المبلغ.
ابتسمت سما وابتسم كريم بدوره وهو يتأمل ابتسامتها المشرقة، ويحمد الله في داخله أن جعلها من نصيبه، رغم الفارق الملحوظ بينهما ـ من وجهة نظره ـ على مستوى الشكل، وفي المستوى التعليمي أيضًا، فهو قد تخرج من معهد

فني تجاري ويعمل كمدخل بيانات، أما هي فقد درست بكلية التجارة باللغة الإنجليزية وتعمل كمحاسبة بنفس الشركة.

***

توطدت علاقة كريم وسما أكثر وأكثر، وبدأت بالفعل تبادله نفس المشاعر، وذات يوم تحدث إليها وهما في العمل قائلًا:

- أنا اتكلمت مع ماما عنك، واتفقت معاها إننا نيجي نتعرف، ولو كدة نقرأ فاتحة وكدة.

ابتسمت في سعادة وقالت:

- أوكيه، مافيش مشكلة.

قال في هدوء:

- طب كنت عايز أشوف إيه المعاد المناسب معاكي؟

غمغمت:

- تعالوا في أي وقت.

سألها:

- الخميس الجاي كويس معاكي؟

أجابت:

- أه كويس.

***

الفصل الثامن

في إحدى الليالي وبينما كان أمير نائمًا زارته ديما في المنام، ولكن رغم اشتياقه لم تكن الزيارة محببه إليه، فقد كانت حزينة وتشكو إليه شيئًا ما وهي تبكي وتنتحب، ولم يستطع أن يتبين ما تقوله فلا أحد يستطيع أن يتحكم في الرؤى بطبيعة الحال.

استيقظ أمير من نومه وعلامات الفزع والانزعاج تتطاير من عينيه، وعلى غير المنطقي ظل يلهث قليلًا، ثم مكث برهة ليستوعب الأمر ويدرك أن ما رآه مجرد رؤيا، ثم بدأ يسترجعها مرة أخرى في ذهنه حتى لا ينساها كعادته، ظنًا أنه قد يحتاجها فلعلها تحوي رسالة ما عند تفسيرها أو ما إلى خلافه.

رغم أن الأمر لا يتعد كونه مجرد رؤيا، إلا أنها كانت بالنسبة له كابوس، فهو بالتأكيد يحب أن يراها في المنام طالما لا يستطيع رؤيتها في الحقيقة، ولكنه لا يحتمل رؤيتها في تلك الحالة حتى وإن كان ذلك في المنام وهذا يفسر سر الفزع الذي شعر به.

حاول أن يعود إلى نومه دون جدوى فقد منع القلق النوم من أن يأتيه، فظل يتقلب في فراشه حتى طلوع الشمس، ثم قام وارتدى ملابسه وتوجه بعدها إلى عمله.

انتصف نهار ذلك اليوم وهو في عمله والقلق لا يزال يكتنفه مسببًا له قليل من الضيق، ما جعله يقرر مهاتفة ديما للاطمئنان عليها.

رغم غرابة الأمر إلا أنه أحال قراره إلى موضع التنفيذ، وقام بمهاتفتها من الرقم الجديد، وفي واقع الامر لم يتفاجأ حين أجابته بصوت واهن يحمل نبرة حزن واضحة وهي تقول:

- ألو، ألو، مين معايا؟

أغلق الهاتف ثم نهض واتجه حيث مكتب كريم وقال:

- إديني موبايلك عايز أعمل منه مكالمة.

ناوله كريم هاتفه فطلب رقم ديما التي أجابت على الفور بنفس النبرة قائلة:
- ألو.
- ألو، إزيك يا ديما عاملة إيه؟
- الحمد لله كويسة، إزيك أنت عامل ايه؟
- الحمد لله، أنا أمير على فكرة.
- ما أنا عارفة.
- إنتي بجد كويسة يا ديما؟
- أه.
- صوتك بيقول غير كدة.
- لأ عندي شوية برد بس.
صمت قليلًا وهو يمني نفسه أن تكون صادقة، قبل أن يأتيه صوتها وهي تقول بصوت متهدج شبه باك:
- أمير أنا محتاجة أقابلك.
انتفض جسده من طريقة إلقاء تلك العبارة، قبل أن يهتف بترحاب وبلهفة واضحة:
- أوي أوي.

***

تقابل أمير وديما بإحدى الكافيهات، وبادر أمير بسؤالها قائلًا في بقلق بالغ:
- خير يا ديما في حاجة ولا إيه؟
كان الحزن واضحًا في ملامحها وتأكد ظن أمير حين أجابت في انهيار:
- مشاكل مع أمير ومشاكل في البيت بسببه، كلهم واقفين في صفه، أنا حاسة أن أهلي كلهم بيكرهوني، وحاسة إني بقيت محطمة.
استوقفه الاسم الذي نطقت به فاستفهم قائلًا:
- أمير مين؟
أجابت:
- أقصد الزفت اللي اسمه شهاب دة، أنا مابقيتش طايقاه ولا عايزاه أصلا.

تطلع أمير إليها في ذهول تام، وأخذ صوتًا يعلو في داخله متسائلًا ما هذا؟
ما الذي يحدث؟
ولماذا ذلك اليوم بالذات الذي رآها فيه في منامه منهارة تشكو، وها هي أمامه الآن تحقق تلك الرؤيا وتفعل نفس الشيء؟
هل هي مصادفة؟
أم ترتيب من القدر؟
أم أن هناك تفسيرًا آخر وهو لا منطق الذي يلازم الحب دومًا؟
أفاق من شروده وتنهد بعمق ثم سألها:
- ما له، مش عايزاه ليه؟
أجابت:
- إحنا مش متفقين، مشاكل وخناقات طول الوقت.
فاجأها بسؤاله:
- مشاكل ولا خلاف؟
- بمعنى؟
- يعني مختلفين في موضوع أو مواضيع أو في تفكيركوا مثلًا، صح؟
- أه.
- خلاص يبقى تسميه خلاف.
- مش هتفرق.
- لأ هتفرق.
- هتفرق في إيه؟
- لما تعتبريها مشاكل هتحسي بتبعات المشاكل زي الضيق والكره، عقلك وجسمك هياخد موقف الدفاع باعتباره كدة، بس لو اعتبرتيه شيء أقل شوية الحاجات اللي فاتت دي هتبقى أقل، فما تسميش الخلاف مشاكل خصوصًا إنها مش التسمية الصحيحة.
صمت قليلًا ليراها وهي تهز رأسها موافقة إياه ثم استطرد:
- ثانيًا، عايزك تعرفي حاجة، إحنا إحساسنا وردود أفعالنا بتبقى ناتجة عن

استقبالنا للأزمة ورؤيتنا ليها، مش عن حجم الأزمة نفسها، يعني أي مشكلة تقابلك اعتبريها إنها حاجة صغيرة ماتستاهلش.
تساءلت في دهشة:
- يعني أبقى باردة يعني؟
أجاب:
- رغم إنك بتتريقي، بس دة صح، إعتبريها حاجة صغيرة ع الأقل فمش هتتعبي أوي، وعلى فكرة هي فعلا صغيرة بس استقبالك ليها قوي فمكبرها.
كانت تتطلع إليه في اهتمام وهو يستطرد:
- ثالثًا أقدر أعرف إيه المشاكل دي؟
أنهى عبارته قبل أن يستدرك باسمًا:
- أقصد الخلاف.
أجابت:
- أنا عايزة أفسخ خطوبتي من شهاب، عشان مابقتش طايقاه، وأهلي شايفينه كويس ومصرين إني أتجوزه، ولما أصريت ماما قالت لي لو سيبتيه إعتبريني مش أمك، هي شايفة أن سني كبر وفرصي هتقل في الجواز، والتفكير اللي أنت عارفه دة، مش عارفين أن الجواز ماهواش هدف في حد ذاته، هي حاجة المفترض تخلي حياتنا أحسن، فلو مش كدة بلاها.
- وهي ممكن تتبرى منك فعلا ولا بتهدد؟
- لا والله، تعملها عادي، اللي غايظني أكتر إنها بتحبه ومقتنعة بيه أوي، هي شايفاه من برة بس فمنبهرة.
- ع العموم الموضوع بسيط، فإهدي كدة عشان نعرف نفكر، بالراحة كدة قولي لي إنتي مش عايزاه ليه؟
- حاسة أن فيه حاجات كتير ناقصة فيه وناقصاني وأنا معاه، ومش مديني كل حاجة أنا محتاجاها، أنا بالنسبة له مش حاجة ذات أهمية يعني، جانب في حياته لازم يتملي وخلاص، مش بيحبني الحب اللي أي واحدة تتمناه، رغم إنه بيدعي كدة، بس مش بيبان في أفعاله، أنا أعرف أن اللي يحب حد بيبقي مش

شايف ولا عايز يشوف غيره، يبقي مش عايز يعدي يوم إلا ويكلمه أو يشوفه.
صمتت لتلتقط أنفاسها قبل أن تتابع:
- دة غير إنه حاسس إنه كتير عليا، وإنه حاجة كبيرة وما حصلتش ويستاهل أحسن حاجة، فعايز ياخد إمتيازات غير عادية أو تحكمات قصاد كدة، ممكن من غير ما يقصد، بس دة اللي حاصل.
كان يستمع إليها باهتمام قبل أن يعقب قائلًا:
- أهلك طبعًا مش متفهمين ومعتبرينك مجنونة وبتخرف؟
- أة.
- كلام زي دة مش أي حد يفهمه، وما ينفعش نستقل بأي حاجة لإن كلمة واحدة أو تصرف واحد صغير، ممكن تعرفك طريقة تفكير اللي قدامك ودي هتعرفك اللي هيحصل في المستقبل، والعلاقة هتروح لفين، وإيه طبيعة الخلافات اللي هتقابلكوا، إلا لو حد هيستحمل ويكتم جواه ويموت من القهرة.
صمت بعدها ثم أضاف:
- المهم عايزين نفكر نحل الموضوع دة إزاي.
أخذ يفكر قليلًا قبل أن يستطرد:
- طب ما تحاولي الأول تتكلمي معاه فياخد باله فيتغير.
- ماحدش بيتغير عشان حد، دة شخص عجيب.
- أنا أقدر أقولك تعملي إيه وتخليه يتغير.
- هعمل إيه يعني؟
- غيري طريقة تعاملك معاه.
- إزاي؟
- ماتقوليلوش كلام حب خالص وحسسيه إنه مش مهم عندك، وما تنفذيش أي شيء مش منطقي يطلبه وإنتي مش عايزاه، لإن في رجالة لما واحدة تبقى ملتزمة معاه أوي وبتسمع كل كلامه بيحس بالسيطرة والإستعلاء، فبدل ما يقدرها كأي إنسان سوي، بالعكس يحس بنفسه فيبص لها من فوق ويتعامل معاها على هذا الأساس، فتعامله للأسف بيسوء معاها، وممكن دة اللي يخليه

يخونها كمان، لإن التعود على كدة إداله إحساس إنه هو بس اللي ليه حقوق، وما بقاش في رادع جواه، حتى في الحياة العادية الكلام دة بيحصل، مش شرط في العلاقات الرومانسية.

- وبعدين؟

- هيحاول يرضيكي بكل السبل وهيبقى كويس معاكي زي ما كان في أول علاقتكوا.

- اللي هي إيه؟

- مش الراجل لما يحب واحدة بيهتم بيها ويعمل حاجات حلوة يعبر بيها عن حبه، ويتصنع شخصية مثالية عشان تحبه، أو عدة شخصيات فتلاقيه مرة أراجوز ومرة شيخ ومرة عالم ذرة، بحيث يغطي كل الشخصيات اللي ممكن تتحب، وأول ما تيجي نقطة التحول وتحبه وتبدأ تعبر عن حبها يهدى خالص لإنه وصل لهدفه وحس بذاته ويبقى شخص عادي، مش محتاج يعمل حاجة بقى، وممكن نقطة التحول دي تبقى الجواز، ودة بيفسر ليه بيتغيروا بعد الجواز.

هتفت مستنكرة:

- يا سلام؟

- الراجل مخه متسستم إنه ما يعملش حاجة غير لهدف أو لمنفعة هتعود عليه، وطبيعي لما يوصل للهدف يبقى مافيش داعي بالنسبة له يكمل في الشخصيات إياها.

، ودة ما ينفعنيش، بص أناfake - طب هو كدة ممكن يبقي كويس معايا بس مش عايزاه ودة أخر كلام عندي.

مط شفتيه قبل أن يقول:

- طب طالما مصرة، يبقي أحسن طريقة إننا ندور على حل أو فكرة تخليه هو اللي يسيبك، أو أهلك يقلبوا عليه فتسيبيه من غير ما يزعلوا منك.

قالها وهو يبتسم واضعًا طرف سبابته على جانب رأسه كمن توصل إلى فكرة عبقرية، إلا أنها صدمته بقولها:

- أهلي عمرهم ما هيقلبوا عليه.

- خلاص يبقي ندور على فكرة تخليه هو اللي يسيبك.
- صح، بس إيه هي الفكرة؟
أخذ أمير يفكر قليلًا ثم قال:
- بسيطة، ممكن تعامليه وحش جدًا فيزهق ويسيبك.
أخذت تدير الأمر في رأسها قبل أن تقول:
- أوكي، هجرب وأشوف.

***

في الموعد المرتقب بمنزل سما، أتى كريم بصحبة والدته وقامت سما باستقبالهما هي وزميلتها في السكن، وقامت بتقديمهم إلى بعضهم البعض قائلة:
ـ دة كريم ودي مامته، دي مريم زميلتي وزي أختي بالظبط.
تطلع كلاهما إلى مريم وهي فتاة في العقد الرابع كانت تجلس على كرسي متحرك، وتلف رأسها بغطاء يخفي نصف وجهها تقريبًا، في محاولة لإخفاء أثار حروق قديمة بقدر الإمكان، قبل أن تتمتم والدة كريم قائلة:
- أهلًا وسهلًا، تشرفنا، بصراحة إنتي أحلى بكتير من ما كنت متخيلاكي من كلام كريم.
شعرت سما بالخجل من هذا الإطراء وقالت:
- ميرسي يا طنط، بس حضرتك أكيد متفقة معايا أن جمال الشخصية أهم بكتير.
- أكيد طبعًا.
أخذت سما ومريم يتبادلان النظرات وكأن سما تحثها على الحديث، فتحدثت مريم لأول مرة قائلة:
- يا ترى يا كريم قلت لمامتك على ظروف سما؟
أجاب كريم في بساطة:
- أنا قلت لها على كل حاجة، وبعدين دي مش حاجة عيب دة قدر ما نقدرش نتدخل فيه، وبعدين ما أنا كمان يتيم ووالدي متوفي.
قاطعته مريم:
- بس هي مش يتيمة بالمعنى المعروف.

هم كريم ليقول شيئًا، إلا أن والدته أشارت له بالصمت، وبدت وكأن العبارة قد أقلقتها قبل أن تسألها:
- أمال بأنهي معنى؟
أجابت مريم:
- هي ماتعرفش مين أهلها أصلا، وممكن يكونو عايشين كمان.
سألتها مرة أخرى:
- إزاي؟، تاهت من أهلها يعني ولا هربت منهم؟
أجابت مريم:
ـ إحنا وعينا ع الدنيا ولقينا نفسنا في ملجأ أيتام، إتربينا فيه وعشنا فيه طفولتنا ومراهقتنا، لحد ما كبرنا وقدرنا نشتغل ونعتمد على نفسنا سمحوا لنا بإننا نخرج ونستقل بحياتنا.
اتسعت أعين كريم ووالدته في دهشة بالغة، وتلاقت أعينهم بنظرات ذات مغزى قبل أن تنهض سما قائلة:
- طب أنا هقوم أجيبلكوا حاجة تشربوها.
أسرعت والدة كريم تقول:
- لأ مالوش لزوم إحنا مستعجلين ووارنا مشاوير مهمة، كنا عايزين نتعرف بس، والمرة الجاية أن شاء الله نتكلم في التفاصيل، يلا يا كريم.
ثم نهضت وهي تتابع:
- تشرفنا.
أسرعت سما تقول:
- الشرف لينا يا طنط.
قالتها وقامت بتوصيلهم حتى باب المنزل، وقد نشأ في داخلها قلقًا من ذلك التصرف غير المبرر من والدة كريم، ثم نفضت الأمر عن رأسها وقد قررت أن تسأل كريم علها تجد لديه إجابة شافية.
***
في اللقاء التالي بين أمير وديما بدا عليها أمارات خيبة الأمل وهي تقول:

- لأ ما نفعش.
تساءل أمير:
- ليه حصل إيه؟
- بقى يروح يقول لأهلي ويقلبوا عليا، ويتخانقوا معايا، ويصروا أكتر إني أكمل معاه.
أخذ أمير يفكر قليلًا ثم قال:
- يبقي الحل نزعله بشكل يخليه يسيبك من غير ما يحكي لأهلك.
- وإيه الحاجة اللي تخليه مايحبش يحكي؟
- مش عارف، ممكن تبقى حاجة تمس كرامته.
غمغمت بأسلوب مسرحي:
- يعني مثلا أقوله أنا بحب واحد تاني، وحاولت أنساه وما عرفتش ودي حاجة مش بإيدي أنت عارف، وماحدش يقدر يتحكم فيه.
مازحها قائلًا:
- يا عيني، فاتن حمامة قاعدة قدامي.
ضحكت في مرح رغم جدية الموقف قبل أن تقول:
- لأ بجد إيه رأيك؟
هتف ضاحكًا وهو يصفق لها بيده:
- لأ أداء أكتر من رائع.
غمغمت في تأفف:
- يا عم بسألك على الفكرة.
أجاب:
- لأ أعتقد إنسان غلس زي دة، مش هيبقى عنده مشكلة إنه يتجوزك حتى لو غصب عنك أو لو بتحبي واحد تاني، ومش بعيد يقول لأهلك برضه، بصي ممكن مثلًا يسيبك من غير ما يجري يقول لأهلك لو قفشتيه وهو بيخونك، أو تبقي ماسكة عليه أي ذلة.
هزت رأسها يمنة ويسرة وهي تقول:

- صعب الكلام دة، لو فرضنا إنه بيخون اكيد هيعرف يداري، ولو مش بيخون تبقى الخطة فشلت.
- إحنا محتاجين فكرة كدة حتى لو مش بيخون نخليه يخون، وهو قاصد مش سوء تفاهم.
- طب إزاي؟ أنت صعبتها أكتر.
أخذ يفكر قليلًا ثم قال:
- لأ، مش عارف.
صمت بعدها ثم قال:
- محدش هيفيدنا في الحوار دة غير سما، خيالها واسع من كتر الأفلام اللي بتتفرج عليها.
غمغمت ديما:
- خلاص نسألها.

***

أخذت سما تستمع في اهتمام وتركيز لكلام أمير وديما وهي تجلس على مكتبها في الشركة، قبل أن تقول بثقة:
- دي سهلة جدًا.
هتف أمير:
- ماتقوليليش نزق عليه واحدة والكلام القديم دة.
هزت رأسها يمينًا ويسارًا ثم قالت:
- لأ خالص.
- أمال إيه؟
قالت ببساطة موجهة حديثها إلى ديما:
- في سؤال، هل كان ليه علاقات قبلك؟
أجابت ديما:
- أكيد طبعًا.
- لأ، ما أقصدش علاقة والسلام، أقصد كان في واحدة بيحبها وسابته أو ماعرفش

يكمل معاها لسبب خارج عن إرادته هو.
- أه في.
- يبقي نخليها ترجع تكلمه تاني وتطلب تقابله وطبيعي هيوافق، ونقفشهم.
- ما هي ممكن تروح تقوله؟
- لأ، ما هو مش هي اللي هتعمل كدة، إنتي تعملي أكاونت بنفس اسمها ع الفيسبوك، وتحطي صورتها، وتتكلمي معاه ع الشات كإنك هي، وتجسي نبضه ولو اتجاوب معاكي، جرجريه لكلام رومانسي وبعدها اطلبي تقابليه وقولي له إنك عايزاه في موضوع مهم وحددي مكان، وتروحي تقفشيه وتصوري الكلام الرومانسي وتروحي له المعاد دة، وتردحي له وتفرجي عليه الناس وتمشي.
رسمت ديما ابتسامة رضا على وجهها قبل أن تشكرها قائلة:
- ميرسي أوي ليكي، هعمل الحوار دة وأشوف.
نهضت ديما لتنصرف وصاحبها أمير ليقوم بإيصالها إلى الخارج، وفي طريقهم تحدث أمير قائلًا:
- مش قلت لك هي دي اللي هتخلص.
علقت ديما قائلة:
- فكرة ممتازة.
توقفت فجأة ما دفعه ليتوقف بدوره ويقول:
- في إيه؟
أجابت:
- بس ممكن ماتنفعش لإنه ممكن ما يتجاوبش أصلًا، وممكن يكتشف إنه مش نفس الأكاونت.
غمغم أمير:
- والله لو ما أتجاوبش يبقى إنسان كويس وتكملي معاه، لإنك قليل ما تلاقي حد كدة.
هزت رأسها موافقة إياه ثم مكثت برهة تتطلع إليه في صمت مما دفعه لأن يقول:

- في حاجة ولا إيه؟
غمغمت في هيام:
- تعرف إنك أكتر واحد برتاح له في الدنيا دي؟
غمغم في ثقة:
- أه، عارف.
ضحكت في مرح ثم قالت:
- لأ بجد، أنت كمان الوحيد اللي بيجي في بالي لما أكون متضايقه وبيرحني.
- أمال مش بتـ،
كان يهم بسؤالها عن عدم إجابتها لاتصالاته إلا أنه تراءى له عدم سؤالها، فبتر عبارته إلا أنها كانت قد فهمت مبتغاه فاستكملت عبارته قائلة:
- مش إيه؟
- لأ خلاص.
- لأ قول، عايز تسأل ماكنتش برد عليك ليه؟
- لا أبدًا.
- لأ أنت كنت عايز تسأل، رجعت في كلامك ليه بقى.
- أصل السؤال هيبقى فيه معنى اللوم والعتاب ودة مش وقته يعني.
تاملته قليلًا ثم قالت:
- أنت طيب أوي، يا ريت شهاب كان عنده نفس شخصيتك أو حتى نصك.
ألمته تلك العبارة وحقيقة أنها تريد منه شخصيته ومن الآخر شكله فعلق قائلًا:
- يعني إنتي عايزة شخصيتي مع شكله؟
- لا أبدًا.
- عادي مافهاش حاجة.
- انا مبقتش أركز في شكله الحلو من كتر النقص اللي جواه، بس أنا دونًا عن كل الناس بقيت لما ببص له بشوف حاجة سيئة مابشوفوش حلو زي ما انتوا شايفينه، مش فاهمة إزاي، بس دة اللي حصل.
تنهدت في عمق ثم تابعت:

- تعرف أن الجمال أحيانًا بيبقى لعنة، لأن صاحبه مش بيركز في إنه يصلح شخصيته لإنه حاسس إنه كدة كدة محل إعجاب.
- أنا شايف إنه عادي، ومعظم الشباب عندهم النقص دة، وإنك مكبرة الموضوع، بس دة ما يمنعنيش إني أساعدك، طالما دي رغبتك.
قالت في حيرة:
- مش عارفة والله.
صمتت بعدها ثم سألت:
- عايز تعرف ماكنتش برد ليه؟
- أيًا كان السبب دي رغبتك وأنا هحترمها و،
قاطعته قائلة:
- على فكرة أنا عارفة إنك أنت اللي بتتصل من رقم غريب عشان عايز تسمع صوتي.
فغر فاهه وهو يتطلع إليها مشدوها لحظات، قبل أن يرسم ابتسامة بلهاء على شفتيه، ويراقبها وهي تستطرد قائلة:
- وأكيد كنت محتاج تشوفني عشان كدة قابلتك وإلا كنا اتكلمنا في التليفون.
صمتت بعدها وتطلعت إلى عينيه مباشرة ترقب ردة فعله فتحاشى النظر إلى عينيها، وهو يستوعب عبارتها قبل أن تتابع هي:
- أنت ليه كنت بتساعدني في حل مشاكلي مع شهاب، وماكنتش بتحاول تستغل الموقف؟
ابتسم وهو يقول:
- لأ ما أنا راسم خطة، زي اللي رسمناها من شوية دي.
ابتسمت وقالت:
- لأ بجد.
أجاب:
- لسببين، الأول، عشان عارف أن الموضوع أكبر من إنك مرتبطة.
- والتاني؟

- في نظرية بتقول أن سبعين في المية من سعادة الحب، هو كونك تحب حد وتشوفه وتسمع صوته، والتلاتين في المية الباقيين إحساسك بإن التاني بيحبك، وإنك تلمسه وتحضنه، وأنا سعيد بالسبعين في الميه وراضي، وبعدين أنا بيهمني أحب ما يهمنيش أتحب، وفي ناس العكس، بس أنا زي ما قلت لك كدة، أو تقدري تقولي إني إتعودت ومن كتر ما إتعودت بقى دة طموحي.

استمعت إليه في اهتمام قبل أن تقول بصوت مليء بالشجن والشعور بالذنب:

- إوعي تكون زعلان مني؟

هز رأسه نفيًا وقال:

- لأ، لإن لولا وجودك ماكنتش هحس بالسبعين في المية دول، فكتر خيرك يعني.

بدا من الواضح صدقه الشديد وأنه بالفعل يعني ما يقول، وكانت تتمتع بالخبرة الكافية لتدرك ذلك، وفي حقيقة الأمر أراحتها تلك العبارة من الشعور بالذنب تجاهه والذي كان يراودها في أحيان كثيرة.

***

كعادتها لم تجب ديما على مكالمات أمير في الأيام التالية، والذي كان يحادثها من رقمه الأساسي نظرًا لمعرفتها أنه هو من كان يحادثها من أرقام غريبة.

كان القلق يعصف به ويكاد يقتله، وكذلك الفضول لمعرفة آخر التطورات في علاقتها مع شهاب وتنفيذ ما اتفقا عليه.

ارتفع رنين هاتفه بأغنية مشهورة بصوت المطرب عمرو دياب، فنظر إلى هاتفه ليجد اسم ديما يتلألأ على الشاشة، فأجابها بشوق ولهفة وقد نسي تمامًا غضبه من تصرفها معه.

بعد التحايا لم يلبث أن سألها قائلًا:

- عملتي إيه في الخطة اللي اتفقنا عليها؟

أجابت بسعادة:

- نجحت الحمد لله.

- طب كويس، بس كنتي اتصلتي عرفتيني بدل ما أنا عمال أكل في نفسي كدة، أو على الاقل ردي على مكالماتي.

- أنا آسفة معلش.
- أوكيه.
- عايزة أقابلك ضروري.
- أنا تحت أمرك مافيش مشاكل.

***

في طريقه إليها راود أمير خاطر بأن يفاتح ديما في أمر التقدم لخطبتها عسى أن توافق تلك المرة، وظل يقوي هذا الخاطر في داخله حتى قرر أن يفاتحها بالفعل .

وصل قبل الموعد إلى الكافيه المخصص للقائهم وجلس برهة ينتظر ديما، وفور وصولها نهض ليصافحها ثم جلس كلاهما وأخذا يتحدثان في مواضيع شتى، ورغم انتهاء أزمتها إلا أنها كانت تبدو بحال غير مطمئنة، فقرر أمير تأجيل مفاتحتها في موضوع ارتباطهم قبل أن يسألها:

- شكلك لسه متضايقة في حاجة ولا إيه؟
- لا أبدًا، بس أي تجربة فاشلة أكيد بيبقى ليها أثر.

أسرع يسألها:

- إنتي كنتي بتحبيه؟
- يعني.
- مش كان جواز صالونات باين؟
- أه بس زي ما قلت لك قبل كدة ما أقدرش أنكر إني كنت أحيانًا بحس إني بحبه، أنا سيبته بس عشان ما قدرتش أستحمل تعامله.

صمتت بعدها ثم أضافت:

- يلا مافيش حد كامل.

خيم السكون عليهم قبل أن تقطعه قائلة:

- ما تيجي نقوم نتمشي أحسن.

أطاعها أمير وخرجا للتمشية قبل أن يقول:

- إيه رأيك ندخل فيلم كوميدي يظبط لك المود؟

- تفتكر؟
- طبعًا في نظريات وأبحاث بتقول أن الضحك الكتير بيكسب سعادة، وإنه ليه تأثير عجيب.
ابتسمت قائلة:
- أنت بتقعد تقول نظريات أول مرة اسمع عنها.
- مش ذنبي إنك مش بتقري.
- لأ بقرأ والله بس.
بترت عبارتها وصمتت برهة قبل أن تتطلع إلى عينه مباشرة وتقول بشك:
- والله شكلك أنت اللي بتألف الكلام دة.
حانت منه ابتسامة خبيثة أدركت منها ديما أنها على حق قبل أن تقول:
- يا ابن اللذينة، عمال تشتغلني وأنا مصدقاك، دة أنا طلعت مقطف.
ضحك وهو يقول:
- أعمل لك إيه ما انتوا مش بتصدقوا الواحد لو إتكلم عادي، لازم اقولكوا العلماء إكتشفوا وعملوا دراسة مش عارف على إيه عشان تقتنعوا.
- يا سلام.
- سيبك إنتي، خلينا في موضوعنا، تحبي نروح السينما ولا لأ؟
- أحب، يلا بينا.
- تمام، إستني بقى أشوف لك إيه الأفلام اللي موجودة.
أمسك هاتفه الخلوي وأخذ يبحث في صفحات الإنترنت عن الأفلام المعروضة قبل أن يقول:
- في فيلم لمكي وواحد لشيكو بيتعرضوا، إيه رأيك ندخل مين فيهم؟
- أنت رأيك إيه؟
- أنا بحب الإتنين.
- خلاص ندخل الإتنين.
- أوكي.
قاما بدخول السينما وكان خروج ديما على عكس دخولها، فقد كانت منتشية

سعيدة وظهر ذلك على قسماتها وعلق أمير حين لاحظ ذلك قائلًا:
- النظرية طلعت صح ولا لا؟
ابتسمت قائلة:
- يعني.
استنكر قائلًا:
- يعني إيه، دة إنتي منشكحة ع الأخر أهو.
تطلعت إليه وانخفض صوتها وهي تقول:
- عارف، الأهم من الفيلم إنك تلاقي حد حاسس بيك، مهموم لك وبيحاول يساعدك، الإحساس دة لوحده كفاية.
فاجأها بقوله:
- عارف.
غمغمت في دهشة:
- بجد كنت عارف.
- أه، في نظرية بتقول..
قاطعته بنظرات صارمة وهتفت:
- برضه؟
ابتسم وقال:
- أنا فاهم نفسية الناس والستات على وجه الخصوص.
سألته بمرح طفولي:
- وإيه رأيك فينا؟
- إنتوا طيبين أوي وتستاهلوا كل خير، لذلك بحب أعطف عليكوا.
ثم داعبها قائلًا:
- وأملس على شعركوا، وأأكلكوا، خس وسوداني.
كانت تبتسم في سعادة قبل أن تبتلع تلك الابتسامة لتضربه بيدها على كتفه قائلة:
- إتلم.

ابتسم لردة فعلها قبل أن يقول:
- والله بجد فيكوا حاجات كتير حلوة وأحسن مننا، مش عارف ليه المجتمع يكون ذكوري، الحق إنه يكون أنوثي.
كانت تتطلع إليه في إعجاب قبل أن تغمغم في دهشة قائلة:
- في حاجة اسمها أنوثي؟
قال في حيرة:
- مش عارف، أمال بتتقال إزاي؟
قالت بنفس الحيرة:
- مش عارفة.
غمغم في استنكار:
- أمال بتعترضي على إيه؟
ضحكت في مرح قبل أن تتبدل ملامحها إلى الجدية وتقول:
- سيبك أنت، إيه هي الحاجات الحلوة اللي أنت شايفها في الستات؟
أخذ يفكر قليلًا ثم قال:
- أكيد أحاسيسكوا، ومشاعركوا الرقيقة، على نياتكوا وغلابة سهل يتضحك عليكوا.
صمت بعدها ثم أضاف:
- بصي أكتر حاجة بستغرب منها بس بتعجبني، تعامل الستات مع عيالهم، حاولت ألاقي له تفسير ماعرفتش، ما بتفكرش غير فيهم وفي راحتهم وتنسى نفسها وماتنامش غير لما تتطمن على كل واحد حتى لو زعلوها، يعني إيه ممكن تكون نايمة وتقوم لما ابنها اللي زي الشحط يجي من بره وتسأله اتعشيت ولا بالحاجات دي، ولا يفرق معاه، دة بيزعل لما يلاقيها بتهتم careless لأ، الراجل بالعيال أكتر منه، أنا بفكر في تحليل للعلاقة دي كتير وما لقيتش تفسير لكدة غير أن الست بتعامل عيالها كإنهم عضو من أعضائها، عارفة لما يكون جزء في جسمك مثلا بيوجعك أو فيه مشكلة ومحتاج اهتمام وعناية ومتابعة ودايما يبقى شاغلك، ومن غير تكلف، نفس الفكرة بالظبط هي بتتتعامل كإنها بتعمل

الحاجة دي لنفسها.
- عشان إنتوا أنانيين وما بتفكروش غير في نفسكم.
فاجأها برده قائلًا:
- دة صح، إنتي فاكراني هتقمص وأزعل، الرجالة والستات كل واحد منهم في صفات في طفولتهم استمرت معاهم لما كبروا، الراجل خد الأنانية دي.
- والست؟
- الست خدت من طفولتها المشاعر بوجه عام، إنها ممكن بتفرح من حاجات بسيطة إحنا مش متخيلينها، ولما تزعل بتزعل أوي وبتزعل من أقل حاجة.
- أنت إعترفت أهو أن إحنا مش أنانيين زيكوا.
- في إيه، إنتي ليه محسساني إنك قفشتيني، وشوية وهتبلغي عني، أنا عارف أنا بقول إيه، دي مش ذلات لسان.
ضحكت لتعليقه قبل أن يستطرد:
- تاني حاجة بتعجبني وبتميزهم، هي أن الست مضحية بطبعها، الراجل ما عندوش استعداد للتنازل عن أي حاجة، أنا مافيش خروجة ولا سفرية بتكمل مع صحابي، أولًا نختلف ع المكان اللي نروحه، كل واحد عايز مكان وماحدش عنده استعداد يتنازل، ولو الصدفة إتدخلت واتفقنا على مكان معين، نختلف على الوقت ثم على وسيلة السفر، والسفرية كدة كدة بتبوظ برضه في الآخر وما نروحش أي مكان.
- طب والستات؟
- لأ دول طيبين خالص، تقولي لها نطلع الساحل تقول لك الله فكرة روعة، بنفس الافورة دي، تقولي لها ولا أقولك تعالي نروح شرم تقول لك الله دي صاحبتي لسة راجعة وقالت لي دي بقت جامدة موت، تقولي لها ولا أقولك نروح الجونة تقول لك تصدق مارحتهاش خالص ونفسي أروحها، تيجي تقول لها لأ خلاص نروح دهب تقول لك واو دول بيقولوا عليها تحفة اوي، جاية في أي مصلحة.
ضحكت ديما في جزل لمحاكاته الفتيات وضربت كتفه براحتها قائلة:
- إحنا بنأفور كدة؟

- أه، والافورة الاكتر بقى لما تسافر معاها وتنزل البحر وتيجي تقول لك البحر النهاردة يجنن، على اعتبار أن مية البحر بيغيروها كل يوم.
ضحكت لكلامه فقال:
- تصدقي ضحكتك حلوة، تسمحي لي أصورها؟
وافقت قائلة:
- أوكيه.
- أو نخليها فيديو لأن صوتك كمان فيه نبرة جميلة.
- أوكيه.
ضحكت مرة أخرى وقام بالتقاط فيديو لضحكتها بهاتفه قبل أن يعود ليقول:
- كنا بنقول إيه؟
أجابت:
- كنت بقولك إحنا بنأفور كدة؟
- دي الأفورة اتخلقت عشانكوا أصلا، صحيح في مثال تاني كمان على الأنانية، لما أنام مع واحد صاحبي في أوضة كل واحد عايز التكييف ناحيته، أو تلاقي واحد عايز يفتح التكييف وواحد مش عايز، وكله مصمم إنه يعمل الحاجة اللي هو عايزها، الست بتضحي وتعمل اللي أنت عايزه.
- أنت شكلك متعقد منهم.
- هو أنا متعقد بس، دة أنا نفسي يخفوهم من الأرض، والستات بس اللي يفضلوا، والله هيبقي حالنا أحسن من كدة بكتير.
خالفته الرأي قائلة:
- بس أنا ضدك في دي.
- ليه؟
- مش برتاح لما أتعامل مع ستات، الرجالة بحس أن تعاملهم أحسن، لما أروح أخلص ورق ولا حاجة بيعملوا لي كل حاجة، وأول واحدة بيمشوني حتى لو كنت جاية أخر واحدة ومن غير مقابل.
ابتسم أمير في استخفاف قائلًا:

- دة لإنك بنت، وحلوة كمان.
هزت رأسها يمنة ويسرة في عناد وقالت:
- لأ خالص.
- طبيعي تكوني فاكرة كدة، مش حتفهمي اللي بقولك عليه إلا لما توحشي أو تبقي راجل، هما لو تعاملهم كويس لله في لله، كانو خلصوا الناس اللي قبلك.
بدا عليها الاقتناع وهي تغمغم:
- يمكن.
- أنا راجل وأكيد حفهمهم أكتر منك، شكل البنت وكونها جميلة بيأثر على طريقة تعاملنا معاها بدون ما نشعر، بنعاملها أحسن، مش عارف ليه، يمكن انجذاب طبيعي لأي حاجة حلوة.
- أه لحد ما تتجوزوها والهالة اللي حواليها تختفي أو تحسو بنفسكوا وترضوا غروركوا، فتبدأوا تدوها على دماغها.
صمتت بعدها ثم أضافت:
- الواحدة تبقى مش حلوة أحسن عشان ما تقعش في التريب دة.
- كل حاجة ليها ميزة وعيب، بس مش بالضروري تبقي وحشة، ممكن تبقي حلوة أه بس تتجوز واحد مش جاي لجمالها.
أخذت تستوعب كلامه قليلًا قبل أن تسأله:
- بس أنا مش مقتنعة بحوار أن الشكل بيأثر ع التعامل.
قال بكل هدوء وثقة:
- تحبي أثبت لك بتجربة عملية؟
أجابت على الفور:
- أه.
- طب تعالي دلوقتي نروح أي مصلحة حكومية وتشوفي تعاملهم معاكي هيبقى إزاي، وبعدها تتنكري وتوحشي شكلك ونشوف التصرف مع نفس الشخص.
ضحكت لغرابة الأمر ثم قالت:
- أوكيه موافقة.

بالفعل قاما بالذهاب إلى إحدى المؤسسات الخدمية الحكومية، وتوجهت إلى إحدى النوافذ التي يجلس خلفها موظف متجهم عابس يتعامل مع جمع غفير من المواطنين، والذي ما أن رآها حتى أمر الناس بإفساح المجال لها قائلًا:

- والنبي يا جماعة وسعولها عشان نمشيها الأول، دي زي أختكوا ما ينفعش نوقفها في الصف اللي كله رجالة.

قام البعض بتلبية طلبه في حين علت بعض الهمهمات من البعض الآخر، وأمتنعوا عن إفساح المجال لها، مما دفع الموظف لأن يمتنع عن خدمتهم ويقول مهددًا إياهم:

- طب إيه رأيكوا بقى ما حدش هيمشي.

كما هو متوقع قام المستجيبون بإقناع الممتنعين بالتنازل عن موقفهم للمصلحة العامة، وتقدمتهم ديما، لتقف أمام الموظف الذي تبدلت ملامحه إلى البشاشة وقام برسم ابتسامة عريضة لا تقل سخافة عن شخصيته، وهو يقول:

- أؤمري يا فندم.

تحدثت ديما قائلة:

- كنت عايزة أعمل بدل فاقد للبطاقة.

اتسعت ابتسامة الموظف أكثر وهو يقول:

- لازم تروحي تعملي محضر الأول، وتجيبي المحضر وبعدها نكمل الإجراءت ونعمل لك بدل فاقد.

شكرته قائلة:

- أوكيه، شكرًا جزيلًا.

انصرفت ديما وتوجهت نحو أمير الذي كان يقف بعيدًا يراقب الموقف، وما أن أصبحت أمامه حتى قام بإعطائها شعرًا مستعارًا أسود اللون يتخلله بعض الخصلات الرمادية والبيضاء، ونظارة طبية سميكة وأيضًا ملابس بالية تناسب امرأة أربعينية بسيطة، وناولها إياهم وهو يقول:

- إلبسي دول بقى وارجعي له، وشوفي هيعمل إيه.

أطاعته ثم عادت إلى الموظف بهيئتها الجديدة المختلفة كليًا، فرآها ولم يأبه بها

قبل أن تهتف قائلة:
- لو سمحت يا أستاذ تمشيني لإني مش قادرة أقف؟
تفاجأت حين صاح بعجرفة شديدة:
- في طابور يا مدام مش فوضى هي، إنتي مش أحسن منهم.
هتفت قائلة:
- أنا تعبانة والله.
صاح بنفس العجرفة:
- كنتي جيتي بدري، وبعدين ما كلهم تعبانين.
- ومستعجلة كمان.
- كلهم مستعجلين.
تركته وعادت إلى حيث أمير رافعة يديها في استسلام، وقالت باقتناع تام:
- أنت صح.

***

عادا ليمشيا مرة أخرى قبل أن تسأله ديما:
- إيه أكتر حاجة بتعجبك في البنت شكلًا، يعني لما تبقي جاية من بعيد كدة بتبص على إيه؟
فاجأها كعادته بقوله:
- أنا رافض أن السؤال دة يتسأل أصلًا، خصوصًا من واحدة ست.
غمغمت في دهشة:
- ليه، فيها إيه دي كمان؟
- لإنه بيكرس لفكرة تشيئ أو تسليع المرأة، يعني أن الست شيء الراجل بينقيها وبيشتريها، فبالتالي بتزود غرور الراجل ونظرته الدونية للست، زيه زي المشهد السخيف اللي كل الرجالة مرت بيه، لما الأم تجيب له صور بنات وتقوله اختار عروسة وهو قاعد حاطط رجل على رجل ومفكر نفسه شهريار، بجد تخيلي المشهد كدة، وحاولي تتخيلي هيبص للست اللي هيتجوزها بعد كدة ويعاملها إزاي، بكره المشهد دة، قمة الابتذال بالنسبة لي، فاهمة قصدي؟

- أه، بس مش كدة يعني.
- حتى الرجالة هينكروا الكلام دة، وعندهم حق لإنها بتتم في اللاوعي عندهم مش بيقصدوها، بس هو كلام صحيح، تقدري تفسري لي ليه بيعاملها بالشكل اللي بنشوفه، اللي هو إنتي إزاي تعملي راسك براسي، ويدي نفسه الحق إنه يعاملها وحش ويقصر في حقها ويعلي صوته، وهي لأ طبعًا ما ينفعش، دة لإن اللي بيشوف حد أقل منه بيتعامل معاه بالشكل دة، بعيد عن الجواز حتى، زي الكبير مع الصغير، زي البيه مع خدمه زي المدير مع الموظف، والموظف بيقبل إنه يعلي صوته عليه لكن تبقى كبيرة لو الساعي على صوته عليه، بيتضايق فعلا ولو إنه مع المدير بيعديها ومن غير ما يتضايق، مش يتضايق ويكتم حتى.
أنهى كلامه ثم تطلع إليها فوجدها تحاول جاهدة استيعاب تلك الأفكار البعيدة عن إدراكها، قبل أن يتابع كلامه قائلًا:
- في حاجات تانية بتكرس لغرور الراجل كمان، زي رؤيته للمجتمع وهو بيقلل من الست، بتخليه يقل منها، حتى لو المحيط اللي حواليه وأسرته مش كدة بس بيشوفها في أوساط تانية جوة نفس المجتمع.
-وإيه تاني؟
-المواضيع اللي بتتناقش إزاي تكوني زوجة صالحة؟ وإزاي تريحي جوزك أو ترضيه وتحافظي عليه والكلام دة.
غمغمت في دهشة:
- ودي فيها إيه، دي حاجة كويسة؟
- ما فهاش، بس لما يبقى كل كلامنا كدة وماحدش بيتكلم إزاي الراجل يبقى زوج صالح، بيبقى في معنى متضمن اللي هو مش بالضرورة الراجل يبقى زوج صالح، دة كتر خيره إنه إتجوزها وأنقذها من إنها تعنس.
صمت قليلًا ثم قال:
- عمرك شفتي حد إتكلم عن إزاي الرجل يبقى زوج صالح أو إزاي يحافظ أو يرضي مراته، أكيد لأ.
- الكلام دة صعب وغريب.

- عارف إنه كدة وإنه صادم كمان، بس لازم أقوله مش عشان يزيد، إنما عشان اللي بيتصرف بالشكل دة من غير ما يعرف ياخد باله، لكن اللي عارف براحته بقى.
قاطعته بقولها:
- طب بالمرة عايزة رأيك، أنت مع ولا ضد التحرش؟
غمغم مستنكرًا:
- هو في حاجة إسمها مع ولا ضد؟!
استدركت قائلة:
- لأ، أقصد إيه رأيك في التحرش؟
سخر منها قائلًا:
- العادي ولا اللي بالسمسم؟
ضحكت رغم جدية الموضوع قبل أن تقول:
- لأ بجد.
- ضد طبعًا، وضد اللي بيجيبوا اللوم ع البنت ويقولوا المفروض كانت تلبس محتشمة.
- طب ما دة صح.
- ده كلام صحيح، بس الوقت اللي يتقال فيه غلط، لإنه لو قلناه وقت الحادثة مش هيخلي اللي عمل كدة يحس بذنب، والناس اللي بيسمعوا كدة مش هيتعاطفوا معاها، فبالتالي هما كمان ممكن يعملوا كدة، نقوله في وقت تاني.
تطلعت إليه بإعجاب شديد للحظات، قبل أن تحول دفة الحديث وتنهي اللقاء فجأة وهي تتطلع إلى ساعتها قائلة:
- إيه دة، انا إتاخرت ولازم أروح دلوقتي.
صمتت بعدها ثم أضافت بلهجة مؤثرة:
- وأنا متشكرة جدًا ع اللي عملته معايا، مش عارفة من غيرك كنت عملت إيه، أنت غلاوتك عندي كل يوم بتزيد.
سرت قشعريرة باردة في جسده من إثر عبارتها الأخيرة وهم ليقول لها شيئًا

مماثلًا، إلا أنه تراجع وقال بلهجة فاترة:
- المهم نفسيتك تكون اتحسنت ونسيتي الجدع اللي اسمه شهاب دة.
حدقت فيه قليلًا قبل أن تقول:
- إوعي تكون فاكر إني بنساه بيك؟!
فاجأها بقوله وبصوت مليء بالدفء:
- ولو، إيه المشكلة، أنا مستعد أعمل أي حاجة تخليكي سعيدة.
ساد الصمت بينهما لحظات وظل كل منهما يتأمل الآخر في وله، قبل أن تقطع الصمت قائلة:
- شكلك عايز تقول حاجة ومتردد.
تردد قليلًا قبل أن يقول:
- لا لا، أبدًا.
صافحته لتنصرف قائلة:
- أشوفك بكرة بقى.
افترقا ليتقابلا في الأيام التالية ويقضيا وقتًا مليئًا بالمرح والسعادة يلعبان ويتضاحكان، وتوالت اللقاءات كل يوم أو يومين، وكان الانسجام واضحًا بينهما، حتى ليظن الرائي أن هناك علاقة قوية تجمعهم أكثر من كونها صداقة عادية.

***

الفصل التاسع

في إحدى اللقاءات قرر أمير أن يفاتحها في موضوع حبه لها، وشجعه على ذلك تلك السعادة التي تبديها من مقابلاتهم، وإلقائها لبعض العبارات التي يعتبرها تلميحًا.

أتى كعادته قبل الموعد إلى الكافيه المخصص للقائهما، واختار منضدة على مقربة من مطرب يعمل بالكافيه ويقوم بأداء الأغاني الرومانسية لعمل جو لطيف في المكان، فاستأذنه أمير في تأدية أغنية تعبر عن إحساسه تلك اللحظة بعنوان "أخر محاولة"، فأجاب المطرب مطلبه وبدأ يشدو قائلًا:

أخر محاولة،
جه ماجاش يا قلبي ما تسألنيش
هسمع كلامك،
على الله ترتاح وتهدي وتعرف تعيش
مش بلومه وألومه ليه، دة مش بإيدي ولا بإيديه
إفهم بقى يا قلبي،
وما تحرجنيش
أنا اللي فيا دة ما جاش لحد، أنا اللي فيا دة فوق الحد
حبيته أكتر من أي حد، وفـ بعده عني بموت بجد
حاولت مرة أعمل نهاية، لعذابي وأحكيله الحكاية
قاللي حبك مش كفاية، أنت مش واخد هوايا
بتحصل كتير،
بلاش تشيل الهم بدري أنت مافكشي عيب
رتب حياتك،
من غيره لو صمم عشان جرحك يطيب
مش بلومه وألومه ليه، دة مش بإيدي ولا بإيديه

إسمع مني يا قلبي،
كل شيء قسمة ونصيب
أنا اللي فيا دة ما جاش لحد، أنا اللي فيا دة فوق الحد
حبيته أكتر من أي حد، وفـ بعده عني بموت بجد
حاولت مرة أعمل نهاية، لعذابي وأحكيله الحكاية
قاللي حبك مش كفاية، أنت مش واخد هوايا

انتهى المطرب من تأدية الأغنية والتي كانت معبرة بحق عما يجيش داخله، في اللحظة التي وصلت فيها ديما، فنهض أمير ليصافحها وجلس كلاهما يتحدثان قليلًا قبل أن يقول أمير:

- كان في حاجة عايز أقولها لك من فترة، بس مارضيتش عشان ماتفتكرينيش بستغل الوضع لكن دلوقتي أعتقد إني أقدر أقولها.

تساءلت في حيرة:

- موضوع إيه؟

- عايز أعرف إنتي معتبراني إيه وشايفاني إزاي بالظبط؟

فاجأته بقولها:

- شايفاك صديق.

- بس؟

- أه.

- طب مش هتقدري يعني تعتبريني حاجة تانية؟

- زي إيه؟

- حبيب مثلًا.

اتسعت عيناها في دهشة وتحاشت النظر إليه لثوانٍ، قبل أن تعود لتتطلع إليه قائلة في حيرة:

- مش عارفة.

صمتت قليلًا ثم أضافت:

- طب إديني فرصة أفكر وأرد عليك.

- أوكيه.
ساد الصمت بينهما للحظات قبل أن يقول:
- صحيح مش عايزة ترجعي الشغل إحنا لسة ماجيبناش حد مكانك؟
أجابت:
- أفكر برضه وأقولك.
غير مجرى الحديث قائلًا:
- إيه رأيك نروح السينما النهاردة؟
هتفت:
- بس المرادي فيلم رومانسي.
- أوكيه، أي حاجة.
- ولا أنت حابب كوميدي برضه؟
- لأ عادي، أنا أصلا ماكنتش بحب أدخل سينما، مش متعة كبيرة يعني إني أتفرج على فيلم، بس معاكي كل متعة بتبقى مضاعفة، وبستمتع بالحاجة أكتر مش عارف ليه.
عقدت حاجبيها في اندهاش وهي تسأله:
- إزاي؟
أجاب:
- الفيلم بيبقى حلو، الخروجة كلها بتبقى حدث سعيد.
ثم أشار للطعام أمامه وهو يضيف بصوت حنون:
- حتى الأكل بيبقى طعمه أحلى والله.
اختلج قلبها في قوة من ذلك الكلام الرقيق، ثم أحنت رأسها في خجل وظلت ثواني تستشعر تلك المعاني الجميلة، قبل أن تعود لترفع رأسها وتقول:
- أنت كمان بقيت شاعر؟
غمغم:
- لا والله دة بيحصل فعلا.
- طب يالا بينا يا خويا.

***

أمام بوابة السينما أمرها أمير بانتظاره حتى يقوم بإحضار التذاكر قائلًا:
- أقفي هنا لحد ما أجيب تذاكر وأجي.
بعد ذهابه تفاجأت ديما بأخر شخص كانت تتمنى رؤيته يقبل عليها، ألا وهو شهاب خطيبها السابق الذي حياها قائلًا:
- إزيك يا ديما عاملة إيه؟
قالت في برود:
- الحمد لله كويسة.
أشار برأسه حيث أمير وقال:
- هو دة بقى اللي إنتي سيبتيني عشانه؟
كانت تهم بنفي ظنونه إلا أنها تراجعت في اللحظة الأخيرة، وقالت:
- أنت عارف أنا سيبتك ليه، وبعدين ما له دة، شايفه براسين يعني، ما هو بني أدم عادي أهو.
قال في استخفاف:
- مش عارفة ما له؟
قالت في عناد:
- أه، ما له؟
قال بنفس الأسلوب وهو يشير بيده:
- مش شايفة، دة إسود، مدي على أسود.
قالها وأخذ يضحك في استهزاء وتشف خاصة عندما لم تجبه، وكان أمير قد أتى في تلك اللحظة وسأله قائلًا:
- في حاجة يا نجم؟
ابتلع ضحكاته مع تفاجؤه بقدوم أمير ثم تنحنح وأجاب في جدية:
- لأ أبدًا، مافيش حاجة.
قالها وانصرف دونما استئذان تاركا أمير وديما التي ظلت بعدها شاردة، ولم تنتبه إلا على صوت أمير وهو يسألها:

- كان عايز إيه؟
أفاقت من شرودها وقالت:
- كان بيسلم عليا.
- أوكي، يالا بينا.
استوقفته بيدها قائلة:
- بقولك إيه، ما تخليها يوم تاني.
سألها في قلق:
- ليه بس؟
أجابت بلهجة غير مقنعة:
- جالي صداع فجأة ولازم أروح، عن إذنك.
انصرفت دون أن تنتظر رده وظل واقفًا وعلامات الدهشة وخيبة الأمل تعلوان وجهه، ثم قام بتمزيق تذاكر السينما وطرحها أرضًا قبل أن ينصرف بدوره.
لم يدر لماذا شعر وكأن لقاء شهاب له علاقة وطيدة بذلك التغير المفاجئ الذي حل بها دون أن يدرك السبب بالتحديد، وكان بالفعل محقًا في ذلك فكلام شهاب لها قد أيقظ ذلك الشعور الغريب في داخلها بالرفض مرة أخرى، وإن كان قد جعلها تدرك السبب بعد أن كان مبهمًا، وهو أنها كسائر البشر تحرص على الظهور بشكل اجتماعي مقبول، فضلًا عن كونه محمودًا، وفي الزواج لا بد من المحافظة على هذا الشكل أو تعزيزه، وكما أن المجتمع يأخذ الحالة الاجتماعية والمادية في اعتباره، يأخذ الشكل الخارجي أيضًا في اعتباره، وكما ينتقص كل من هو دون الحد المطلوب ماديًا واجتماعيًا ـ والذي يختلف باختلاف الوسط ـ ينتقص أيضًا من يمتلك أي عجز عضوي أو حسي أو مختلف في الشكل أو الجنس أو اللون.
هذا هو الواقع الذي لا بد من الاعتراف به لمجابهته بدلًا من إنكاره، فنحن في مجتمع ينكر دائمًا التفريق أو التمييز على حسب تلك الأشياء، ويضمر ذلك ويميل إليه بل يحبذه في داخله ولكن لا ينطق به خوفًا من اللوم والانتقاد، ولم ينجح ذلك الإنكار في جعل أفراده لا يشعرون بذلك التمييز، ذلك لأننا ننطق بها

متى أمننا اللوم أو عند الغضب والتشفي، فلا أحد يحاسب الأشخاص في تلك الأحوال، وغالبًا ما يكون في عدم وجود الشخص محل النظر، وهذا ما حدث اليوم عند لقائها مع شهاب وجعلها تنتبه لما هي مقدمة عليه، فقد كانت على وشك الولوج في علاقة عاطفية معلنة مع أمير، مع اعتقادها بجدارته واستحقاقه لمشاعرها ـ رغم ذلك التردد والرفض الذي كان يراودها بين الحين والأخر ـ نظرًا لتمتعه بشخصية فريدة ومثالية من وجهة نظرها، وله الفضل أيضًا في انفصالها عن شهاب، فهو بالتأكيد من جعلها تبصر تلك العيوب والمآخذ التي رفضتها في شهاب، بشكل غير مباشر عن طريق المقارنة بينهما فبالضد دائمًا تتميز الأشياء، ولولاه لكانت قد تزوجته وهي راضية مطمئنة، وبالتأكيد ستعاني من تبعات تلك العيوب الشخصية في المستقبل.

ظل الأمر يشغلها حتى مساء ذلك اليوم وهي تجلس مع والدتها تشاهدان التلفاز، فقررت أن تسألها سؤالًا يساعدها في اتخاذ قرارها:

- ماما بقولك إيه، هو أنا لو أتقدم لي واحد أسمر هتوافقي عليه؟

أجابت سؤالها بسؤال أخر:

- أسمر أسمر يعني ولا إيه؟

أجابت ديما:

- أيوة أسمر أسمر.

أخذت تستوعت عبارتها ثم سألتها وكأنما تستبعد الأمر:

- طب وهتخلفو إزاي بقى؟

رفعت ديما حاجبيها في دهشة من ذلك السؤال الساذج وغير المنطقي، وتراءى لها تغيير الموضوع فأشارت إلى التلفاز وهي تقول:

- إيه دة، الله، المسلسل دة جميل أوي.

نجحت في تشتيت انتباه والدتها التي نسيت الأمر وانشغلت بأشياء أخرى، وأخذت تتابع التلفاز فقط بعينيها، أما ذهنها فكان يسبح بعيدًا في محاولة لاتخاذ القرار الصائب في أمر علاقتها بأمير.

سألت نفسها ذلك السؤال الهام، هل تطلق لمشاعرها العنان دون مبالاة بتلك

الأفكار وتتحدى هذا المجتمع، خاصة وأنها لن تتلق أي أذى أو تلاسن وكل ما سيقال سيكون في عدم وجودها، أم أن علمها بما يقال وإحساسها بكلام العيون سينغص عليها حياتها.
هداها هذا السؤال إلى سؤال أخر أهم، لماذا نحيا على حسب القيود والقواعد التي فرضها المجتمع ـ حتى وإن كانت مخالفة للمنطق ـ ونظل أسرى لها، وقليل منا من يمتلك الشجاعة لكسر تلك القيود، خاصة وأنها في الغالب تكون مجرد عادة اعتادها المجتمع ـ دون معرفة الأسباب ـ فصار ما خلافه مرفوضًا، ولأن النفس تخشى التغيير أو تخشى مواجهة الانتقاد تصبح تلك العادة عرفًا، ومن ثم تتحول إلى قاعدة سواء مصرح بها أوغير مصرح بها، وقد تصبح هي الشيء المنطقي والبديهي وتستقر بعدها في العقل اللاواعي الجمعي، إما عن طريق الاتفاق أو عن طريق الملاحظة والاستنتاج.

***

في الأيام التالية من زيارة كريم ووالدته لسما، لاحظت سما تغيير في تعامل زملائها معها التي اتسمت بتحفظ بعض الشيء، والابتعاد عن التعامل معها بقدر الإمكان، أما كريم فقد كان يعاملها معاملة عادية وكأن شيئًا لم يكن، وكان يتهرب من لقائها خارج الشركة، وظل كذلك لعدة أيام ما أشعرها بحيرة وغضب شديدين فاستوقفته يومًا في حال انصرافه قائلة:
ـ في إيه يا كريم؟
تصنع الدهشة قائلًا:
- في ايه في إيه؟
- حاسة أن في حاجة غريبة مش منطقية.
تساءل في براءة مصطنعة:
- حاجة زي إيه؟
- أنت بتتهرب مني؟
ـ أنا عمري ما اتهربت منك.
- أمال بتسمي اللي بيحصل دة إيه؟

قال في برود:
ـ سميه أحمد، محمد، أي حاجة إنتي حرة.
صمتت قليلًا ثم قالت قي توتر مكتوم:
- لو حبيت تغير رأيك في أي وقت مافهاش حاجة عرفني، بلاش الطريقة دي إحنا مش صغيرين.
غمغم قائلًا:
- طريقة إيه مش فاهم؟
- إنك تزهقني وكدة عشان أنا اللي أسيبك.
لم يجبها وتحاشى النظر إليها ففهمت على الفور ما يجيش بداخله قبل أن تسأله:
- أنت بدأت تتغير من ساعة الزيارة، فغالبًا كدة مامتك ما وافقتش عليا صح؟
نكس رأسه وكأنه يعترف بأنها على حق، قبل أن يرفع رأسه ليقول:
- أنا بحبك يا سما وإنتي عارفة، بس دي أمي.
كتمت ذلك الحنق بداخلها وهي تقول:
- أقدر أعرف السبب؟
قال بأسف لا يخلو من شفقة:
- لإنك كنتي متربية، يعني فـ
تردد قليلًا فاستكملت عبارته قائلة في حدة:
- تقصد في ملجأ صح؟
هز رأسه إيجابًا دون أن ينطق فقالت:
- طب ما هي كانت عارفة قبل ما تيجي.
- كانت عارفة إنك يتيمة بس، ماكانتش عارفة انك إتربيتي في ملجأ.
- وإيه الفرق؟
قال ببرود:
- هي شايفة أن في فرق.
- هي ولا أنت؟
صمت برهة ثم تحاشى النظر إليها فتابعت:

- البرود اللي بتتكلم بيه ده معناه إنك مقتنع بكلامها، دة أن مكانش دة رأيك أصلا، ع العموم أوك، بس مكانش في داعي تقول للناس وتنشر الموضوع.
تطلع إليها وقال:
- هما اللي سألوني.

***

من الطبيعي أن تحزن سما قليلًا على علاقة استمرت فترة قصيرة ثم انتهت، ولكن من غير الطبيعي أن تنفرد بنفسها بعد عودتها إلى منزلها وهي منهارة، وتنفجر في ذلك البكاء الحار الذي دام لساعات وساعات ـ بل تنتحب وبحرقة إن أردنا الدقة ـ خاصة وأنها لم تكن علاقة مبنية على هيام وغرام ولا تستطيع أن تنكر سما ذلك، فقد كان بالنسبة لها زواجًا تقليديًا حتى اللحظة الأخيرة على الأقل.
السر في هذا الحزن الشديد ليس فقط فشل علاقتها مع كريم، بل أضف إلى ذلك ندبها لحظها العاثر الذي أوجدها في تلك الظروف الاجتماعية رغمًا عنها، وأوجدها أيضًا بمجتمع ينبذ ويرفض كل من هو مختلف أي اختلاف، حتى وإن كان ذلك الاختلاف لا يخل بالشرف أو بالأمانة، وكان الشخص يتمتع بسلوك وخلق منقطعي النظير.
كثيرًا ما يكون ذلك الإحساس بالرفض تلقائي ودون رغبة منا، فنحن ـ كما نتوارث الأفعال ممن سبقونا ـ نتوارث ردود الأفعال دون التطرق لمعرفة أسبابهما، ما يجعلنا نظل نحتفظ بنفس ردود الأفعال حتى وإن زالت تلك الأسباب التي أرغمتهم على ردة الفعل، ففي ذلك المثال الذي لدينا توراثنا الفكرة المشهورة عن الأيتام الذين نشأوا بالملاجئ، أنهم إما أبناء غير شرعيين تخلص منهم آباؤهم خوفًا من الفضيحة أو أشخاص تصرفاتهم غير مسؤولة وغير سوية، لأنهم إما أولاد شوارع أو فاقدي للتربية القويمة بسبب عدم وجود آباء لهم.
تلك الفكرة تسربت إلى وعينا وانطبعت فيها؛ فنشأ لدينا رد فعل تجاههم وهو الرفض، أو تقبلهم ولكن دون إعطائهم حق الأسوياء من صداقة وارتباط وخلافه .

فعند توارثنا للفكرة وردة الفعل أيضًا دون ربطها بالسبب، أصبحت نظرتنا كذلك لأي شخص ينشأ في ملجأ أيتام، دون إتعاب أنفسنا في معرفة إن كان سلوكه كما ذكرنا أم لا، أي توارثنا التصرف ورد الفعل ونسينا السبب، فلذلك شمل ذلك التصرف النوعين، ولكن إن أردنا التعمق والتدقيق سنمتنع عن ذلك التصرف عند تنافي السبب، وبذلك لن نظلم من يمتلك السلوكيات القويمة منهم.
تناهى إلى مسامع زميلتها بالسكن مريم ذلك الانتحاب القوي، فأتت إليها بكرسيها المتحرك وتوقفت أمام فراشها، ثم أخذت تربت على ظهرها دون أن تعلم سر ذلك الانهيار الغريب، وظلت تنتظرها حتى أفرغت كل ما بداخلها من ضيق وسخط على حالها.
انتهت سما من بكائها لتتطلع بعدها إلى مريم والتي غمغمت في هدوء:
- كريم سابك مش كدة؟
أومأت سما برأسها إيجابًا وهي تمسح دموعها فعلقت مريم:
- بس العياط دة كله مستحيل يكون عليه.
أشاحت سما ببصرها، ولكن مريم كانت بالذكاء لتدرك ما تخفيه عنها فتابعت:
- مش إنتي لوحدك اللي زعلانة من ظروفك.
استوقفتها تلك العبارة الأخير فعادت سما لتتطلع إلى مريم التي تابعت:
- أنا كنت كدة برضه.
قالت سما في استنكار وبصوت شاحب مليء بالأسى والانكسار:
- كنتي؟
- أيوة كنت.
- ودلوقتي؟
- دلوقتي بحمد ربنا على كل حاجة، ومن قلبي.
غمغمت بنفس اللهجة وهي تنقل بصرها بين وجه مريم وذلك الكرسي المتحرك الذي تجلس عليه:
- إنتي اللي بتقولي كدة؟
أومأت مريم برأسها إيجابًا وقالت:

- أنا عارفة إني أخر حد يقول كدة، واحدة مالهاش أم ولا أب ولا أهل، وشها نصه محروق، عندها شلل نصفي، مريضة بالسكر وبالضغط، ودة كله المفروض يخليني مش طايقة حياتي وبتمنى الموت.
تطلعت إلى سما تراقب وقع عبارتها عليها، قبل أن تتابع وقد شجعها ذلك الاهتمام البادي على سما لأن تستطرد قائلة بتأثر:
- أنا كنت كارهة نفسي وحياتي في الأول، في مواقف كانت بتقطع قلب الواحد، زي لما حد يبص ع الحرق اللي في وشي ويحسسني إنه إتخض، هو مش ذنبه دة غصب عنه لما يشوف حاجة ملفتة للنظر، واللي كان بيضايقني أكتر إنه لما يحس إني مش واخدة بالي منه فيرجع يبصلي تاني، عارفة الموقف دة، مش كدة وبس تعرفي إن أنا حاولت الانتحار مرتين بسبب كدة، ورميت نفسي من البلكونة، بس زي ما انتي شايفة ما موتش.
سألتها سما:
- للدرجة دي؟
تنهدت في عمق وكأنها تسترجع ذكرى أليمة ثم قالت:
- مرة وأنا ماشية في الشارع واحد اتريق ع الحرق دة، وقال لي إيه دة انتي طلعتي في برنامج رامز جلال ولا إيه؟
- دة إنسان قليل الذوق والرباية.
- الناس دول موجودين بيننا للأسف، وللأسف بيعتبرونا إحنا اللي مش متربيين عشان كنا في ملجأ، المهم، أنا اليوم دة رجعت منهارة زيك كدة، وفضلت أعيط طول اليوم وأقول ليه يا ربي تعمل فيا كدة، وكنت قربت أكفر، بس تاني يوم كنت هديت شوية فقررت ألبس الطرحة دي، أينعم في جزء لسة ظاهر بس في جزء كبير اختفى، في واحد مرة حب يتقدم لي ولما شاف الموضوع دة سابني، فقررت انتحر تاني لإني حسيت إني مش قادرة أعيش حياتي الطبيعية، وأبسط الحقوق بتاعت أي حد مش عندي، إحساس صعب أوي أوي، وكانت النتيجة إن مأساتي زادت، ما موتش بس بقيت مشلولة، بقيت متضايقة أكتر وبقول ليه يا رب برضه تعمل فيا كدة، وخدني وريحني والكلام دة.

صمتت قليلًا تلتقط أنفاسها ثم قالت:
- ومن كتر القهرة دي جالي السكر وبعدها الضغط، ساعتها اتضح لي أن ربنا وإن كان إبتلاني بحاجة فهو رحمني من خمسميت حاجة، لما كنت سليمة كان راحمني من الحرق والشلل والضغط والسكر، وأما وشي اتحرق كان وقتها راحمني من الشلل والسكر والضغط وهكذا، بس ماكنتش حاسة بالنعم دي غير لما ربنا ابتلاني بيهم، لذلك دلوقتي إتعلمت الدرس و حاسة برضا لإني حتى وأنا عندي كل دة، فأنا بالتأكيد مرحومة من حاجات تانية كتير جدًا، إحسبي كل الأمراض اللي بتيجي للناس هتلاقيني مرحومة منها، وفي ناس أمراضهم مؤلمة وأنا لأ، وفي ناس أمراضهم أخطر وبتهدد حياتهم وأنا لأ، في ناس مابتشوفش وناس ما بتتكلمش وناس ما بتسمعش وأنا لأ، في ناس بيباتوا في الشارع وناس مش لاقيين ياكلوا وأنا لأ، إحنا بنزعل من فكرة إشمعني أنا كدة والناس كلهم كويسين، بس في الواقع أي حد عنده حاجة مؤرقاه ومش بالضرورة يبينها، مش معنى إنه سليم ظاهريًا إنه ماعندوش مشاكل، دة مش صحيح الدنيا مليانه ابتلاءات، ومافيش حد مش مُبتلي، أحيانًا الواحد بيزعل من مصيبة أو حاجة حصلت له، بس لما يفكر يلاقي نفسه بيحمد ربنا أن نصيبه من الابتلاء كان كده، وإنه لو كان غير كده مكانش هيستحمله، بصي للناس حواليكي وشوفي مصايبهم وهتحسي ساعتها بالرضا.
انعكست الآيه وأصبحت سما هي التي تتطلع إليها بإشفاق قبل أن تقول:
- طب وليه مش كل حاجة مظبوطة؟
أجابت:
- ماتعرفيش مش يمكن ربنا بيحب الشخص دة وعايز يدخله الجنة، وعايزه ما ينشغلش بالنعم دي عنه فيدخل النار، وممكن عشان يكفر عن سيئاته فيدخل الجنة برضه.
- بس أنا بالشكل دة ممكن ما أتجوزش خالص.
- وإيه المشكلة لو ما إتجوزتيش، عادي جدًا دي مش حاجة تقلل منك أن ناس عندهم نقص رافضينك، وإيه يعني برضه لو اتحرمتي من جانب واحد في

نواحي الحياة بس الجوانب الباقية موجودة، وبعدين كويس إنك ما إتجوزتيش واحد نظرته ليكي كدة وإلا ما كنتيش هترتاحي معاه، وبعدين إيه الحلو في الجواز يعني، إتنين عزلوا وراحوا سكنوا مع بعض وانتهى الموضوع، وهيعيشوا حياتهم في خناقات ومشاكل بدل ما كانوا عايشين في سلام وهدوء.

بدا على سما الارتياح من كلام مريم فقالت:

- تعرفي أن كلامك دة ريحني أوي، ميرسي ليكي بجد.

ابتسمت مريم وقالت:

- الكلام دة عشان أعرفه دفعت تمن كبير أوي، وبعدين ما تشكرينيش، أي نعم ربنا ما رزقناش بأهل بس عوضنا ببعض وخلانا زي الأهل وأكتر، ولازم نشكره برضه.

وافقتها سما قائلة:

- عندك حق، الحمد لله.

***

تغيبت سما منذ ذلك اليوم عن العمل، ولم يسأل عنها سوى أمير الذي هاتفها وسألها قائلًا:

- إزيك يا بنتي عاملة إيه، إنتي كويسة؟

أجابت:

- كويسة الحمد لله.

- أمال مش بتيجي الشغل ليه؟

فاجأته بقولها:

- أنا مش هاجي تاني خلاص.

- ليه يا بنتي؟

- كدة وخلاص.

- في حاجة إسمها كدة وخلاص، كريم طلب منك ما تشتغليش؟

- لا أبدًا.

- طب حد هنا زعلك في حاجة؟

- لأ.
- أمال في إيه إنتي هتجنيني ليه؟ بقولك إيه، إقفلي أنا هخلص شغلي وهعدي عليكي وأنا مروح.

***

استمع أمير باهتمام لسما التي أخذت تحكي له ما حدث، وبدا عليه الحنق من تصرف كريم قبل أن يقول:
- بس دة مش سبب يخليكي تسيبي الشغل.
تنهدت بعمق قبل أن تقول:
- بص أنا قبل ما اشتغل في الشركة دي إتقدمت في كذا مكان وكنت هشتغل، بس أول ما يعرفوا ظروفي يقولوا لي لأ خلاص، مش فاهمة ليه، لذلك أنا متوقعة إنهم هيمشوني، فمش هستني لما دة يحصل، ولو ما حصلش زمايلي نظرتهم ليا هتختلف، دا لو ما كانتش إختلفت، وأنا مش بحب حد يقل مني.
تطلع إليها بتأثر ثم قال:
- مين قالك إن نظرتنا هتختلف؟
أجابت:
- لما كنت بغيب يوم كان كلهم بيتصلوا يسألوا، المرادي ما حدش عبرني.
- ودة معناه إيه بالنسبة لك؟
- معناها أن نظرتهم إختلفت، فتعاملهم إختلف.
- لأ مش بالضرورة، دي أوهام في خيالك إنتي بس.
صمت قليلًا ثم استطرد:
- وبعدين إيه اللي فيها، احنا ما ينفعش نحكم عليكي أو نحاسبك غير على أخلاقك وتعاملك مع الناس.
- هتقول لمين بقى، دي فكرة موروثة وبقت في حكم العرف والحاجات دي في قوة الحقايق والثوابت مش هتقدر تغيرها.
صمتت بعدها قبل أن تستطرد:
- بص أنا مش هستنى يجي عليا يوم أختلف مع حد فيعايرني، أنا كنت مخبية

الموضوع دة لحد ما اضطريت أقوله.
صمتت مرة أخرى ثم أضافت في حسرة ومرارة:
- يظهر إني مش من حقي أعيش أو أحلم زي باقي الناس.
مط أمير شفتيه وقال بصوت هادئ وبإشفاق واضح:
- عايزة رأيي؟
هزت رأسها إيجابًا فتابع:
- إنتي لازم يبقى عندك شجاعة وتواجهي أي حد يقل منك أو يفكر مش تنسحبي، هو الغلطان وهو اللي وحش من جواه، إنتي كدة بتشجعيهم، وأنا هقف معاكي ضدهم.
ثم تحولت لهجته إلى الحزم وهو يتابع:
- أرجوكي نفذي اللي بقولك عليه.
لم تجبه فاستحثها قائلًا:
- عشان خاطري.
ظلت صامتة قبل أن تتطلع إليه وقد بدا عليها الاقتناع وهي تقول:
- أوكيه، بس إديني أسبوع كدة ولا حاجة أريح أعصابي.

***

في اليوم التالي أتى أمير إلى العمل والغضب يملأ كل خلية من خلاياه، وتوجه مباشرة نحو كريم ثم صاح بعصبية واضحة:
- إيه اللي أنت نيلته دة؟
قال باندهاش:
- عملت إيه؟
- مع سما.
قال باستخفاف:
- أه، دي طلعت متربية في ملجأ يا عم.
صاح أمير قائلًا:
- وإيه اللي فيها طالما بنت حلال ومؤدبة وذكية ومثقفة وبتفهم في الأصول مش

زيك.
- يا عم بقولك ملجأ أنت إيه؟
- إحنا لو هنقارن المفروض هي اللي تسيبك، وإنت نفسك كنت شايف إنها أحسن منك بس هي ما شافتش كدة، وما حاسبتكش على حاجة مش من اختيارك.
- ما أنا كنت مستغرب، أديني عرفت السبب.
- مش دة السبب، السبب إنها عارفة أن مافيش حد أحسن من حد عشان شوية حاجات مش عنده هو مالوش دخل فيها.
- ما أنا برضه إيه اللي يخليني أتجوز واحدة كدة ما البنات على قفا من يشيل.
- هيحصل إيه يعني، هي ناقصة إيد ولا رجل؟
- ما ينفعش، أنت عارف، المجتمع و،
قاطعه أمير ليصيح وقد بلغ به الغضب مبلغه:
- دة مجتمع سخيف وناس سخيفة، ودة اللي مودينا في داهية، بنحب نمشي في الطريق اللي المجتمع فرضه علينا وفاكرين إننا لو عملنا حاجة غير كدة حتى لو صح السما هتنطبق ع الأرض، مع إنك لو جربت وعملتها هتلاقي أن مافيش حاجة من دي حصلت، أنت جبان وغبي بتخاف تفكر إيه الصح وتعمله فبتمشي ورا الناس، وإللي بيرضو عنه تعمله.
صمت قليلًا ليلتقط أنفاسه ويهدأ ثم أضاف:
- بس هي أحسن منك في حاجات كتيرة، إشمعنى النقطة دي بس اللي أخدتها في الاعتبار، فعلا البني أدم بيموت في إنه يقلل من غيره عشان يحس بقيمة نفسه.
هتف كريم بعناد:
- أه، أنا كدة.
قبل أن يعود ليقول:
- أنا مستعد أتجوزها بس عندي شرط ياريت توصلهولها.
سأله في اهتمام وقد هدأ تمامًا:

- إيه هو؟
- هتجوزها بس مش هجيب لا شبكة ولا مهر وهنعيش في شقة إيجار جديد.
نظر إليه نظرة استحقار وقال:
- تصدق والله بجد هي اللي خسارة في شكلك.
أشاح بيده وهو يقول:
- خلاص يا عم روح إتجوزها أنت طالما فرحان بيها كدة.
حدجه أمير بنظرات مقيته، قبل أن يتركه وينصرف دون أن ينبس بكلمة، فبعد أن كان كريم يستعطفه سابقًا للتوسط له عند سما، ها هو الآن يستخف بها ويتحدث من علٍ، بل ويربط ذلك ـ بشكل عفوي وتلقائي ـ بالمهر وحقوقها، ذلك لأن الأسر دومًا يغالون فيها تبعًا لما تملكه العروس وتتميز به، وكلما ازدادت جمالًا وازدادت مكانتها الاجتماعية والمادية، وأشياء أخرى لا دخل لها فيها، ازدادت اشتراطات الأهل، وهذا نوع أخر من التمييز رغم أنه إيجابي ولكن سلبية الأمر تظهر عند حدوث العكس، فبشكل تلقائي يتنازلون ويتغاضون عن تلك الأمور، وربما هذا المنطق هو ما دفع كريم لقول ذلك الكلام الذي أغضب أمير، لما فيه من التحقير من شخص سما بسبب أشياء لا دخل لها بها، ولكنها وللأسف حقيقة نحيا بها وسنموت عليها.

***

طال انتظار أمير لمكالمة من ديما تلك المرة، وحاول مكالمتها لكنها لم تجبه كعادتها مما دفع الغضب أن يتملكه، وبعد عدة محاولات في أيام متفرقة، هاتفها من شريحة جديدة قام بشرائها وعلى عكس توقعه أجابته تلك المرة فقال:
- إزيك يا ديما عاملة إيه؟ أنا أمير.
- الحمد لله، أنت عامل إيه؟
- كويس الحمد لله، إيه الغيبة دي فينك؟
- لأ أبدًا مافيش.
- طب إنتي فاضية نتقابل ولا لأ؟
- بصراحة لأ، بس هظبط يوم كدة واكلمك.

- أوكيه.
أغلق الخط وظل ينتظر ذلك اليوم بفارغ الصبر دون جدوى، ثم هاتفها مرة أخرى ليذكرها فقامت بتحديد موعدًا لمقابلته.
في اللقاء استطاع أمير بالكاد كتمان غيظه من طريقة معاملتها، على أمل أن تفتح له بابها يومًا ما ويجلس متربعًا على عرش قلبها.
قام بطلب كوبين من القهوة ثم ابتدرها قائلًا:
- ماردیتیش علیا زي ما اتفقنا لیه؟
لم يكن يقصد انتقادها أو تأنيبها فهو لا يستطيع أن يتعامل بتلك الطريقة معها، حتى وإن أجمع الناس على ضرورة ذلك، بل سأل سؤاله في تؤدة ولين، قبل أن تغمغم هي في دهشة:
- على إيه؟
تمتم في استنكار:
- إنتي مش فاكرة كمان على إيه!
أنهى عبارته وأشاح ببصره عنها في أسف واضح قبل أن تقول هي:
- أه أفتكرت.
عاد ليتطلع إليها والأمل يطل من عينيه، ولم يلبث أن زال وحل محله خيبة الأمل حين أردفت في أسف:
- أنت فهمتني غلط إكمننا قربنا من بعض شوية، بس أنا عمري ما تخيلتك حبيب.
- مش بالضرورة.
- مش فاهمة.
- مش كل حد اتجوز حد كان متخيله قبلها حبيب أو شريك حياة، ممكن الصديق يتحول لحبيب في أي لحظة إيه المشكلة، إنتي بترددي أي كلام الناس بيقولوه وخلاص.
تمتمت في ارتباك:
- أنت مافهمتش قصدي.

قاطعها:
- لأ فهمت، بس مش مقتنع، لإنك قبل كدة قلتي السبب إنك مرتبطة وطلع دلوقتي أن دة مكانش السبب، ع العموم خير خير.
خفض رأسه لبرهة ثم عاد ليرفعها ويعض على شفتيه ثم يقول:
- طب بالنسبة للموضوع التاني؟
- اللي هو ايه؟
- الشغل، لو تحبي ترجعي ممكن ترجعي خصوصًا إن شهاب هو اللي كان رافض شغلك.
أخذت تفكر قليلًا ثم أشاحت ببصرها بعيدًا عنه وقالت:
- لأ مش عايزة أشتغل.
أسرع يقول:
- مش عايزة تشتغلي ولا خايفة تحبيني لما تقربي مني؟
تفاجئت بعبارته فبدا عليها التوتر وهي تهرب ببصرها بعيدًا عنه، وران الصمت بينهما لحظات قبل أن تعود لتتطلع إليه وتتلعثم قائلة:
- مين قال كدة؟
انتقل التوتر إليه وهو يقول في حدة وصرامة:
- هي دي الحقيقة اللي إنتي بتحاولي تهربي منها، إنتي خايفة تحبيني، دة إذا ما كانش حصل وحبيتيني فعلا، بس رافضة الحب دة وعايزة تنسيني ومش قادرة، ومش عايزة نكون في مكان واحد عشان كدة، ومش عايزة تردي على تليفوناتي، وأراهنك بعد كام يوم هلاقيكي إشتغلتي في مكان تاني.
أطرقت برأسها وكأنه اعتراف صريح بإصابته للحقيقة، قبل أن ترفع رأسها وتقول بصوت متهدج:
- أنا فعلا عايزة نبعد، عشان كدة ماكنتش عايزة أرد على مكالماتك، أو حتى أقابلك، أنا عارفة إنها حركة تضايق، بس دة اللي حصل.
أغضبه ذلك التصريح رغم أنه كان يعلمه، فتطلع إليها في حنق قبل أن يقول بنفس الحدة والصرامة:

- تضايق بس؟، دي حركة مهينة إني أفضل أتصل بتاع عشرين مرة في اليوم، وما ترديش، لأ وأفضل أتصل برضه وما أحرمش، متخيلة كم الذل دة، أنا أحيانًا ببقى عايز اتطمن عليكي بس مش أكتر.
صمت قليلًا يتأمل وقع العبارات عليها، ولما لم يجد أية ردة فعل تابع صائحًا:
- إنتي عايزة نتقابل لما أنتي اللي تبقي عايزة كدة، لكن لما أبقي انا اللي عايز طز فيا، وأنا محترم رغبتك، بس ع الاقل ردي وعرفيني مش هزعل، لأنه هيكون أحسن من إني أبقي قاعد أكل في نفسي، وأنا عايز أتطمن عليكي ومش قادر.
سكت برهة ثم خفض صوته وتابع في استسلام:
- بصي، اللي عايز حاجة لازم يغامر عشانها، وأنا غامرت واستحملت، واتنازلت، مش لأني مرتاح كدة، أو ما عنديش كرامة، إنما لأني عايش على أمل إني أرتاح في يوم من الأيام، بدل ما أنا عايش كدة بين الحياة والموت، لا مني عايش زي البني أدمين ولا مني ميت ومرتاح.
أخذ يلتقط أنفاسه التي تسارعت بشدة حينئذ، قبل أن يردف في صرامة وهو يحاول أن يبدو متماسكًا، ويحارب دمعة أوشكت على الهروب من مقلتيه:
- عمومًا أنا كمان مش عايز أقابلك تاني.
قالها ونهض من كرسيه وأولاها ظهره ثم انصرف، والغضب يملأ كل كيانه، وقد قرر أخيرًا أن يضع حدًا لتلك المعاناة أو على الاقل يخفف من عبئها.
لا يستطيع أن ينكر أنه كان يشعر بإهانة شديدة من تصرفها معه، إلا أن حبه لها كان يجعله يتغافل عن كل تلك التصرفات التي اعتبرها إهانة له، وكذلك الأمل ـ الذي يتشبث به ـ كان يمنعه من أية ردة فعل، ولكن ما دام كذلك فمعاناة مع كرامة محفوظة خير من معاناة مع إهانات.

***

مخطئ من ظن ولو للحظة أنه سينهي الأمر بتلك البساطة، ويتخلى عن فتاته التي هام في عشقها وتحمل ما تحمل من أجلها، أو هو لا يعلم ما هو الحب حقيقة ولم يتذوقه أو يسمع عنه قط، وكل تجاربه في الواقع إما انجذابًا أو انبهارًا أو سعادة لوجود شخص يحبه، ولجهله أسماها حبًا وهي في الواقع

ليست كذلك، فالحب الحقيقي كما ذكرنا لا يخضع لأي منطق أو قاعدة، فكما تجد الشخص يفعل ما لم يعتد فعله يومًا ما، وتجده يتصرف أغرب التصرفات، تجده أيضًا يتنازل عن أشياء كثيرة لا يتنازل عنها في العادي ومن بين تلك الأشياء كرامته، ذلك لأنه يقيس النفع المتوقع بالثمن الذي سيدفعه، وبالطبع تَرجح كفة الحب فيبذل كل شيء من أجل ذلك الحب.

والمحب الذي يرتئي أن هناك كرامة في الحب وهو يعني التقرير والإخبار بذلك فهو مخطئ، أما إن كان يعني الطلب أو الأمر أي أنه يجب أن نتحرى الأمر ونـتوقف عنده، فهو ـ من وجهة نظري ـ إذا استطاع أن يفعل ما يقول هو ليس بمحب، أو هو في مرتبة دنيا من مراتب الحب، ويجب عليه أن يراجع نفسه أو يراجع حبه إن أردنا الدقة.

لا أقول أنه يجب أن يكون الشخص غير آبه للإهانات المتكررة ودهس كرامته المتواصل، فالرغبة في حفظ الكرامة هي فطرة إنسانية وتتفاوت باختلاف الأشخاص والأعراف، وينبغي أن يراعي كل طرف كرامة الآخر ويقدره ويحترمه، ولكن عندما أقول لا كرامة في الحب أعني التقرير والإخبار وليس الطلب والأمر، أي التقرير أن في الحب الحقيقي أو في أعلى مراتب الحب، يتغافل الشخص ويسامح رغمًا عنه ـ فقط مع الشخص المعني وحتى يمتلك زمام الأمور في الغالب ـ عما يمس تلك الكرامة مع إدراكه لذلك، كما يتغافل الشخص الضعيف عن إهانات من له سطوة ولا يستطيع ردعه خوفًا من ضرر ماحق قد يلحقه به، فتقول لا كرامة مع الأقوياء وأنت تعني تقرير ذلك وإخبارنا به لا تطلب وتنصح بحدوث ذلك.

غريب غريب هذا الحب، والغرابة الأكبر هنا ليست الأفعال المجنونة أو التنازلات، وإنما عدم استسلام أمير لمشاعر الغضب كأي شخص طبيعي والتي تُعمي عن تبعات الموقف، ففي طريقه للانصراف راورده شعور غريب دفعه لأن يتوقف بل يعود أدراجه إليها.

نعم عزيزي القارئ ما قرأته صحيحًا مائة بالمائة، قد يكون ذلك الشعور هاجس أتاه لينذره بتبعات قراره الوخيمة، والضياع الذي سيطوله من دونها، حتى وإن

كان وجودها لا يتعدى كونه في خانة الأصدقاء.
لقد دفع ذلك الهاجس أمير لأن يعدل عن موقفه ويعود إليها، طاردًا كل مشاعر الغضب والضيق في داخله والغشاوة التي يحدثانها، ليحل محلهم هدوءًا عجيبًا تحدث به حين عاد إليها قائلًا:
- أنا آسف، ماتزعليش مني، أنا مكانش قصدي، مش عارف أنا إيه اللي خلاني أقول كدة.
تطلع إليها بابتسامة باهتة ليرقب ردة فعلها، ولكنها صدمته بقولها:
- وأنا مش قابلة أسفك، ويا ريت تبقى راجل وقد كلمتك.
ألمته عبارتها بشدة ليس للمفردات القاسية التي اختارتها ولكن لتداعياتها، فقد أغلقت بتلك العبارة أي أمل لأي شيء قد يكون بينهما وأي صفة تقوم عليها علاقة بينهما.
ألمته بحق ألمًا جعله يتسمر في محله للحظات بل لدقائق إن أردنا الدقة، قبل أن يفيق ويبدأ في ابتلاع لعابه وحك أنفه من أثر ارتباك ممزوج بتوتر بعد تلك الصدمة، واستجمع كل قواه لكي يفتح فمه، ثم حاول أن يتفوه بشيء دون جدوى فقد تاهت كل الكلمات عن باله.
أغلق فمه مرة أخرى وظل صامتًا لبرهة، ثم أومأ بارتباك عدة إيماءات برأسه علامة التفهم، وكأن إيماءة واحدة لن تفي بالغرض.
التفت بعدها لينصرف قبل أن يتراجع ويلتفت إليها مرة أخرى، ثم يشير بأيد مرتعشة إلى كوب القهوة الموضوع على المنضدة أمامها قائلًا بصوت متهدج:
- أه صحيح، ماتشربيش قهوة ع الريق، مع الوقت هيتعب لك معدتك.
التفت مرة أخرى لينصرف ببطء شديد وبالكاد استطاعت قدماه حمله، وهو غير مصدق لما آل إليه الأمر الذي لم يكن يتوقعه ولا يريده.
أما هي فقد ظلت تراقب انصرافه وقد تملكتها دهشة عارمة، والتمعت عيناها ليس من الموقف فحسب، وإنما أيضًا لعبارته الأخيرة غير المتماشية مع السياق.
لقد ترك كل شيء وما فعلته به، وقام بتنبيهها من خطر قد يلم بها في ظنه.
ألهذه الدرجة يهتم لأمرها؟

ألهذه الدرجة يفكر فيها حتى في أحلك المواقف التي تتطلب التفكير فيها في نفسه؟
ما كل هذا الحب الذي يكنه لها؟
هل يوجد مثل هذا في الحياة؟
نعم يوجد ولكن فقط عند الأم مع أولادها ليس إلا، ونستطيع أن نتفهم ذلك.
ولكن مهلًا، طالما وجد إذن فهو ممكن.
علا صوت في داخلها يخبرها بخطئها، ويندمها على ما فعلته وما تفعله وبأنه لا يستحق منها ذلك، بل وبأحقيته أيضًا في الفوز بقلبها واستئثاره بها دون غيره، ولكن صوتًا أخر في داخلها كان يعارض ذلك، والذي على الرغم من ضآلته وعدم قدرته على إقناعها إلا أن وجوده في حد ذاته كان يقلقها من اتخاذ تلك الخطوة وفتح الباب له.
دفنت وجهها بين كفيها لدقيقة ثم رفعت رأسها مرة أخرى لتتطلع حيث انصرف، ولكنه كان قد اختفى تمامًا، فاعتدلت ثم مكثت دقائق لتتغلب على ما حدث قبل أن تهدأ تمامًا.
كانت مشتتة الذهن لا تدري هل فعلت الصواب أم لا، وظلت تقلب الأمر مرة أخرى في رأسها لدقائق، قبل أن تستقر مرة أخرى على بقاء الوضع على ما هو عليه، فدفع الضرر دائمًا مقدم على جلب المصلحة، والإنسان يندم على اتخاذ قرار خطأ أكثر من ندمه على تفويت فرصة منفعة.
قامت بمسح تلك الدمعة التي انحدرت على وجنتيها رغمًا عنها، قبل أن تدير رأسها مرة أخرى وتنظر حيث انصرف أمير بشجن ممزوج بأسف شديد.
في تلك اللحظات كان أمير يرتمي بجسده في سيارته، ولم يدر محركها بل مكث دقائق بدوره ليستوعب ما حدث.
كان لأول مرة في حياته يمر بمثل هذا الموقف، فبعد تصرفاتها السابقة ثم إخباره بأنها لا تريد رؤيته، ها هي الآن تتوج كل ذلك بتلك العبارة.
ومع ذلك فإن حزنه الأكبر ليس لضياع كبرياءه وإنما لنهاية قصته، فحتى وإن كانت قصة مؤلمة هو لم يكن يريد لها الانتهاء، لأن ذلك يعني خروج ديما من

حياته إلى الأبد، وهو ما لا يود أن يراه ولو في أبشع كوابيسه، فهو بإمكانه أن يتحمل عدم وجود علاقة ويرتضي ذلك، ولكن ليس بإمكانه تحمل عدم رؤيتها، وهو الآن قد خسر الاثنين.

غريب هذا الحب الذي يكون شيئًا عظيمًا في بعض الأحيان وعذابًا أليمًا في أحيان أخر، والأخير هو الأكثر، نعم كلنا نعلم أنه من أرقى وأنقى وأطهر المشاعر والأحاسيس، ولكن في الوقت نفسه نعلم ما يستطيع أن يفعله الحب في المحبين عند افتقاد أحدهم للآخر.

لذلك ـ وعلى الرغم منه ـ نشأ في داخله في تلك اللحظة عدة تساؤلات وجودية أخذ يسألها لنفسه وهي لماذا خلق الله الحب، هل لتحسين حياتنا أم لإيلامنا، ولماذا لم يكتف بالانجذاب أو الإعجاب ليسهل علينا الفراق، أو عدم الحصول والظفر بقلب من نريد.

تساءل أيضًا لماذا يتعذب الشخص عند فقده لشخص يحبه ويمتلك شغاف قلبه، ولا يتعذب بنفس القدر عند حرمانه من شيء يحبه كوظيفة أو هواية أو نوع من الأطعمة أو فعل أو امتلاك شيء.

لماذا الأشخاص فقط دون غيرهم هم من بقربهم أو ابتعادهم يؤثرون فينا ذلك التأثير، ولماذا الأشياء ليست لها مثل ذلك التأثير برغم اشتراكهم في قوة الرغبة والسعادة التي يحدثها القرب منها.

حتى وإن أسمينا ذلك عشقًا وذاك حبًا، لماذا لا يتساويان في كل التبعات.

انتهى من تساؤلاته وانتبه لنفسه ويا ليته ما انتبه، فقد كانت حالته مزرية ولا يحسد عليها بحق، فحالته أسوأ حالة تصيب المحبين ومأساته أقوى مآسي الحب، أقوى حتى ممن هجره حبيبه، فمن فارق حبيب له هو على الأقل قد تنعم بالعيش إلى جانبه لفترة ما، ويمتلك ذكريات يحيا بها أما هو فلا.

أدار محرك السيارة ليتحرك وهو لا يدري وجهته، وقام بتشغيل راديو السيارة في طريقه، وبعد عدة أغنيات تصادف إذاعة أغنية هي أبلغ ما يكون لوصف حالته بعنوان "في حكم المستحيل".

قبل ما أمشي،
ياريت تسمعني
جوايا كلام لازم يتقال
وسامحني لو،
كنت يعني
أنا ولا قلبي عليك تقال
عملت أنا،
كل حاجة بجد
عشان ما يبقاش ليك أعذار
بس إزاي،
هتحب حد
حبه فرض مش إختيار
كنت راضي بالقليل، كنت رافض ليك بديل
كنت حاسس أن حبي، شيء في حكم المستحيل
كان حتى باين من عينيك، إني واحد صعبان عليك
وكنت عارف بس قلبي، نبضه كان بين إيديك
كتر خيرك،
مارضيتش تجرح
دي غلطة مكانتش متبررة
أنا قلت عادي،
مادمت بفرح
بنظرة أو كلمة صغيرة
مالكش ذنب،
فـ جرحي عارف
أنت ياما حاولت بس
قلبك تملي،

يقول لأ أسف
وماقدرش أبدًا بيا يحس
كنت راضي بالقليل، كنت رافض ليك بديل
كنت حاسس إن حبي، شيء في حكم المستحيل
كان حتى باين من عينيك، إني واحد صعبان عليك
وكنت عارف بس قلبي، نبضه كان بيناديك
***

الفصل العاشر

بلغ الحزن من أمير مبلغه عقب لقائه الأخير مع ديما، واستمر للأيام التي بعدها وقد أكسبته ملامح جامدة باردة في كل أحواله وحديثه وحركاته وسكناته، وبالكاد أصبح يطرأ على ملامحه أي تعبير أو ردود أفعال، وكانت تقتصر فقط على المجاملات أو عند رغبته في عدم لفت الأنظار وإثارة التساؤلات.
كانت سما قد عادت إلى العمل بحسب نصيحته، ولاحظت ذلك التغير الذي انتابه والحزن البادي على ملامحه طيلة الوقت، فقررت التحدث معه والتخفيف عنه ففي إحدى المرات سألته:
- عامل إيه؟
أجاب في وجوم:
- كويس.
تطلعت إليه في شك وسألت:
- من قلبك؟
- أه.
صمتت قليلًا قبل أن تقول في إشفاق:
- تسمح لي أقولك حاجة؟
- إتفضلي.
- أنا مش عارفة إيه اللي مضايقك بالظبط ولو إني شاكة في حاجة معينة.
صمتت قليلًا قبل أن تضيف:
- بص، اللي راح راح خلاص هنعمله إيه، واللي مش عايزنا خلاص برضه هنعمله إيه يعني، هنضيع كل حياتنا زعلانين عليه، مش منطق، وبعدين في نقطة عايزاك تعرفها، إحنا بنبقى متخيلين إن السعادة مرتبطة بالشخص دة فبنحارب عشانه، بس في الواقع لأ، بدليل إن نفس الإحساس ده حسيته قبل كدة وهتحسه بعد كدة مع حد تاني هتحبه، ركز في الكلام دة وإفهمه هترتاح جدًا جدًا.

تطلع إليها مليًا ثم قال:
- قولي تاني معلش، أنا سرحت شويةز
أسرعت تقول:
- أنت حبيت قبل ديما؟
هز رأسه إيجابًا دون أن ينطق فتابعت:
- كنت بتحس بنفس الحالة والسعادة دي أكيد صح؟
- هو أنا لحقت أحس.
غمغمت قائلة:
- المهم، ماكنتش عايز تخسرها ومتمسك بيها زي ديما بالظبط، صح؟
- أه.
- الكلام دة بيحصل لإنك عايز حالة السعادة تستمر، اللي هي مرتبطة بوجودها، فالفكرة إن حالة السعادة دي بسبب الحب مش بسببها، فلما راحت بقيت متخيل إن الحالة دي مش هتيجي تاني، بس الحقيقة إنك هيجيلك يوم تحب حد تاني وتعيش الحالة دي تاني، بدليل إن دي مش أول علاقة.
كانت كلمات منطقية إلى حد كبير، بل مريحة للبال أيضًا، وكان يحتاجها وبشدة بعد تلك الأيام العصيبة التي عاشها، ورغم بساطتها إلا أنها جعلته يشعر بقليل من الراحة، فتطلع إلى وجهها يتأملها للحظات واكتفي أن يهز رأسه ويبتسم لها في امتنان بذلك الاهتمام الذي تبديه.

***

بعد عدة أيام تحسنت حالة أمير بشكل كبير، وبدا ذلك واضحًا لسما وهو يتناول منها بعض الأوراق بابتسامة مشرقة، دفعتها لأن تعلق قائلة:
- أيوه بقى كدة خلي الدنيا تضحك.
تطلع إليها طويلًا وأخذ يفكر في كلامها السابق مرة أخرى، ثم تنهد في عمق وقال دون أن تفارقه تلك الابتسامة:
- الله عليكي إنتي عظيمة بجد.
لم تدر سببًا لتلك العبارة إلا أنها قد أسعدتها كثيرًا، ليس لأنها تحب المديح كحال

الفتيات ولكن لأنه هو من قالها، ورغم أنها تبدو عفوية إلا أنها شعرت بخروجها من أعمق أعماق قلبه وبصدق شديد، فالمجاملات دائمًا لا تتعدى كونها جمل وعبارات مألوفة ومستهلكة، أما العبارات التي تكون بخلاف ذلك ولم تعتد الأذن على سماعها، فهي دائمًا تنبت من الداخل وتعبر عن شعور حقيقي.

بعد انصرافها اتسعت ابتسامته أكثر وظل يتابعها ببصره ثم فاجأها بقوله:
- تتجوزيني يا سما؟
شهقت سما بقوة وتسمرت في مكانها وكأنها غير مصدقة لما سمعت، وسقطت منها الأوراق التي تحملها إثر ذلك، فظلت واقفة برهة قبل أن تنحني وتلتقط تلك الأوراق، ثم تلتفت بعدها في بطء شديد وهي تحارب دمعة أوشكت على الهرب من جفونها، وتقول بصوت متأثر خرج منها بصعوبة بالغة:
- أنت قلت إيه؟
اتسعت ابتسامته أكثر وأكثر من ردة فعلها، ونهض ليتجه إليها ويمسك راحتها اليمنى بكلتا كفيه، ثم يقول وهو يضغط على حروف كلماته:
- بقولك تتجوزيني؟
كان قلبها يرقص طربًا من عرضه للزواج منها، وهي التي تمنت دومًا شخصا مثل أمير، يمتلك رقة قلبه وتلك المشاعر والأحاسيس المرهفة، وكان الحلم الذي تحيا به ومع هذا لم يخطر ببالها أنها ستمر بتلك اللحظة ويتحقق لها ما كانت تصبو إليه.
فتحت فمها لتقول شيئًا ما ولكن عجز لسانها عن النطق تمامًا من شدة الفرحة التي غمرتها والتي كانت تعني موافقتها، وهذا ما فهمه أمير وبقية الزملاء الذين انضموا إليهما في تلك اللحظات، وبدؤوا يتغنون بأغانٍ عاطفيه تلائم ذلك الموقف.

***

ارتبط أمير وسما بعلاقة عاطفية باركها جميع الزملاء بالشركة، وكانا ينهيان عملهما ثم يخرجان للتنزه واستكمال اليوم حتى نهايته مع بعضهما البعض.

في إحدى اللقاءات بإحدى الكافتيريات طلب أمير مشروبًا باردًا وطلبت سما كوبًا من القهوة، وبعد أن أتى النادل بطلبيهما، عاتبها قائلًا:
- ما تشربيش قهوة على معدة فاضية، أو ما تشربيهاش خالص أحسن.
غمغمت متسائلة:
- ليه يعني؟
- بيتعب المعدة وبيزود الحموضة.
صمت بعدها ثم تابع وكأنه يتذكر شيء محبب إلى قلبه:
- تعرفي، ديما كانت مدمنة قهوة زيك كدة.
كانت ترفع كوبها لترتشف منه رشفة، ولكنها توقفت فجأة عند ذكره لديما، فأعادت الكوب إلى المنضدة وهي ترمقه بنظرات ذات مغزى لم يشعر بها وهو يستطرد:
- أنا غلبت أفهمها كدة ومافيش فايدة برضه، دماغاتكوا ناشفة.
غمغمت في خفوت:
- أنا ما بحبوش أصلا أنا بشربه عشان سمعت إنه بيزود الحرق.
- وعايزة تزودي الحرق ليه؟
- عشان عاملة ريجيم.
سخر منها قائلًا:
- هو إنتي فيكي حاجة لما هتعملي ريجيم؟
ارتشف رشفة من مشروبه ثم قال وكأنما تذكر شيئًا:
- ديما كانت بتجنني بالحتة دي برضه، عندها هسهس الريجيم دة طول الوقت، مع إنها سمبتيك كدة ومافهاش.
قالها ثم ابتسم وهو يهز رأسه في استغراب، فرسمت سما ابتسامة باهتة لتجاريه، لم تلبث أن ابتلعتها حين أدار وجهه عنها، فقد كان يصر على تذكر ديما، وشعرت في ابتسامته وشروده للحظات بعدها حنين قوي لصاحبة تلك الذكرى، رغم تظاهره بانهماكه في تناول مشروبه، وأيقنت حينها أنها لن تستطيع ملء الفراغ الذي تركته ديما.

لم تشعر بغيرة أو ما خلافه بقدر ما شعرت بشفقة بالغة عليه بدت من نظراتها له، دون أن يلحظ هو ذلك.

***

هاتفت سما ديما وطلبت رؤيتها ووافقت ديما، فقامت سما بزيارتها في منزلها ودون أي مقدمات قامت بالدخول في الموضوع مباشرة قائلة:

- بصي بدون أي مقدمات أنا مش فاهمة السر في طريقتك مع أمير.

غمغمت ديما في استغراب:

- طريقة ايه؟

- هو حكالي على كل حاجة لإنه ما بيجيبش سيرة حاجة غيرك أصلا، وكل ما أغير الموضوع يلف يلف ويتلكك عشان يجيب سيرتك برضه.

صمتت قليلًا ثم أضافت:

- الراجل بيحبك وبيحب التراب اللي بتمشي عليه، ومش قادر ينساكي ولا يحب غيرك، وإنتي عارفة ومتأكدة من كدة ومش محتاجة إني أقولك، عايزة إيه تاني، ليه بتعملي معاه كدة؟

أشاحت ديما ببصرها عنها وقالت:

- الحب والمشاعر دي حاجة ما نقدرش نتدخل فيها أو نقنع بيها نفسنا.

تطلعت سما إلى عينيها مباشرة وقالت:

- ولو قلت لك أن إنتي بتحبيه.

حدجتها ديما في دهشة ثم صمتت برهة قبل أن تقول في ارتباك ملحوظ:

- مين قال كدة؟

أسرعت تجيب:

- إحساسي.

- مش صحيح.

ران الصمت للحظات قبل أن تقول سما:

- ع العموم أنا جيت أديكي فرصة أخيرة تراجعي نفسك وتصارحيها وتقرري، بس قبل الخميس الجاي، لأن الخميس الجاي خطوبتي أنا وأمير.

تطلعت إلى عينيها مباشرة وهتفت ويكأن الخبر قد أزعجها:
- بتقولي إيه؟
أسرعت سما تقول:
- هو طلب إيدي وأنا وافقت واتفقنا على معاد الخطوبة، بس أنا أتاكدت إنه لسه بيحبك ومش قادر ينساكي.
سألتها في لهفة:
- وإنتي بتحبيه؟
تهربت من الإجابة وقالت:
- بغض النظر عن إني بحبه ولا لأ، أنا مش هينفع أتجوزه وهو في قلبه واحدة تانية، هسيبك تفكري، وأتمنى توصلي للقرار الصحيح.
كان هذا آخر ما قالته سما قبل أن تنصرف وتترك ديما، التي أخذت تقلب الأمر في رأسها من كل الوجوه لعلها تستقر على القرار الصائب.
لا تدري لم شعرت وكأن خبر زواجه من سما قد أزعجها، وتسبب باختلاجة في قلبها، وتعجبت كثيرًا من ذلك؛ فهي لم تحب أمير أو على الأقل تحاول إقناع قلبها بذلك، هل ما حدث بسبب أن القلب لا يستطيع أن يكذب كاللسان والجوارح، ويتصرف بتلقائية وعفوية، وإن كان الأمر كذلك هل تتبع قلبها أم لا، والسؤال الأهم هل دائمًا القلب يصدق أم أنه قد يكذب أحيانًا ويورطنا.
ظلت تفكر في هذا الأمر لساعات طويلة، قبل أن تقرر أيضًا بقاء الوضع على ما هو عليه، بل وإغلاق ذلك الباب تمامًا.

***

في مساء ذلك اليوم استقبلت أسرة ديما، المكونه منها ووالديها وشقيقتها وزوجها، -شابًا مع أسرته يريد الزواج من ابنتهم ديما.
بعد إلقاء عبارات الترحاب والتعارف اختلى الشاب بديما ليتحدثان قليلًا، قبل أن يقول في لزوجة شديدة:
- أنا مكنتش مصدق أن في جمال بالشكل دة وأنا بتفرج على الصور.
ضمت حاجبيها في استغراب وسألته:

- صور ايه؟
أسرع يجيب:
- صور البنات اللي ماما وريتهم لي عشان أنقي منهم عروسة، واخترتك إنتي.
قالها ورسم ابتسامه لزجة وهو يتطلع إلى عينيها مباشرة ليرقب ردة فعلها، ولكنها وعلى عكس توقعه فاجأته حين مطت شفتيها في ازدراء وقالت مستنكرة:
- والله!
احتفظ بنفس الابتسامة وتحدث بثقة وكأنما قد تفضل عليها وخصها بذلك الشرف:
- أه.
فاجأته بقولها:
- مش فاهمة المفروض أعمل إيه، أنت مستنيني مثلًا أفرح إنك إخترتني من وسط كل دول يعني ولا إيه؟
ابتلع تلك الابتسامة اللزجة، وبدت علامات خيبة الأمل على وجهه ثم ابتلع لعابه وهو يقول في ارتباك واضح:
- لا لا.
عادت الابتسامة اللزجة لترتسم على وجهه وهو يتابع:
- أقصد أقول بصراحة أنا قلت أكيد الصور دي ملعوب فيها، وما صدقتش إلا لما شفت بنفسي.
سخرت قائلة دون أن تنظر إليه:
- البضاعة عجبتك يعني؟
استنكر قائلًا:
- نعم؟!
استدركت ديما:
- قصدي عجبتك؟
أجاب:
- بصراحة الصورة ظلماكي، إنتي أحلى بكتير.

قالت بنفس السخرية:
- طب وناوي تدفع قد إيه فيا؟
لم ينتبه لذلك الطعم الذي ابتلعه دون أن يشعر حين قال:
- أنا مستعد أدفع كل اللي تطلبوه، وأجيبلك الشبكة اللي تحلمي بيها، إنتي تستاهلي كنوز الدنيا.
لم تعجبها تلك اللهجة التي يتحدث بها بل شعرت بإهانة لم تدرك سببها، قد يكون لذلك التعبير الذي خانه وجعله يتلفظ بكلمات تكرس لمفهوم تبضيع المرأة.

***

بعد انصراف الشاب وأسرته أجلستها والدتها على الأريكة وسألتها:
- ها، إيه رأيك فيه؟
أجابت:
- لأ مش عايزاه.
رمقتها بنظرة حادة وهتفت:
- هو إنتي لحقتي؟
ثم أضافت بعدها:
- إيه بالظبط اللي مش عاجبك فيه؟
أجابت بلا مبالاة:
- مش عارفة، بس ما أرتحتلوش.
مطت والدتها شفتيها في استياء وقالت:
- ماتتسرعيش، إنتي ما أخدتيش فرصة إنك تعرفيه، أنا رأيي أن دة عريس لقطة، متعلم برة ومركزه كويس، عايزة إيه تاني؟
- مش محتاجة أعرفه، طالما كل كلامه هدفع وهجيب، يبقى عايز واحدة يشتريها بفلوسه عشان يستمتع بيها، مش بني أدمه تشاركه حياته وتونسه ويونسها تحليله حياته ويحليلها حياتها يسعدها وتسعده، والعلاقة تكون خد وهات، دة هيبقى عايز ياخد بس من غير ما يدي، وأنا مش شيء ممكن حد

يشتريه.
وجدت ديما نفسها تكرر عبارات أمير دون أن تدري، قبل أن تعلق والدتها:
- إيه الكلام الغريب اللي بتقوليه دة؟ إنتي جرى لعقلك إيه؟ ما بقتش عارفة أوديكي لشيخ ولا أعمل فيكي إيه؟
صمتت بعدها ثم قالت:
- وكل دة عرفتيه من قعدة واحدة إن شاء الله؟
أجابت:
- أنا عارفة أنا بقولك إيه، كلمة واحدة ممكن تعرفك طريقة تفكير اللي قدامك، ودي هتعرفك اللي هيحصل في المستقبل.
للمرة الثانية وجدت نفسها تكرر عبارات أمير، والذي بدا لها في تلك اللحظات وكأنه مايسترو يسطر لها مسار حياتها بعباراته التي تستحضرها في كل موقف.
تابعت كلامها قائلة:
- ممكن يا ماما ما تديش صوري لحد تاني؟
نهضت والدتها وهي تقول في يأس:
- ربنا يهديكي يا بنتي، أنا شكلي هتطلق بسببك والله.
ثم هتفت وهي تحدث شقيقتها:
- تعالي ليني عقل البنت دي لحسن أنا ريقي نشف.
أتت شقيقتها لتجلس محل والدتها، ثم حانت منها التفاتة حذرة إلى والدتها قبل أن تقول:
- أنا من رأيي ما تتجوزيهوش.
حدجتها ديما في دهشة لا تخلو من شك ثم تساءلت:
- مع إنه عريس لقطة على رأي ماما!
عادت أختها لتلتفت حولها في حذر، قبل أن تتحدث في خفوت وكأنما تخشى أن يسمعها أحد:
- حقها، وأنا عاذراها، دي وجهة نظر اللي ماشافش ولا عرف يعني إيه حب ويعني إيه سعادة زوجية، وكل همهم يعيشوا كويس وخلاص.

ثم أشارت إلى حيث يقف زوجها يلاعب أطفالهم:
- جوزي زي ما انتي شايفه أهو، البروفايل بتاعه ممكن ما يعجبش حد، بس بالنسبة لي أحسن راجل في الدنيا.
بدا على ديما التأثر من كلامها قبل أن تلقي ببصرها عبر غرفة الجلوس، لتتطلع إلى زوج أختها الذي كان يلاعب أطفالهم، ثم تسألها:
- برغم القرعة، وقصره، ومناخيره اللي مغطية كل وشه دي؟
أنهت عبارتها وهي تبتسم في سخرية قبل أن تغمغم شقيقتها قائلة:
- إنتي والناس بتقارنوا بيننا في وجه واحد بس وهو الشكل، فبتشوفوا إني أحسن منه، ومش هلومكوا لإن إنتوا مش هتشوفوا منه غير مظهره، وما لمستوش أي حاجة تانية فالحكم طالع كدة وحسيتوه غصب عنكوا، لكن العدل إنك تقارني من كل الوجوه، وساعتها هتلاقيه أحسن مني في كل الحاجات التانية، وهو اللي كتير عليا، وبعدين لازم نتنازل عن حاجة محدش كامل، زي مابتتنازلي عن صفة سيئة في الشخص مقابل أن شكله حلو.
صمتت بعدها قبل أن تضيف:
- أقولك على حاجة، لو الزمن رجع بيا ميت مرة مش هختار حد غيره.
اتسعت عينا ديما في دهشة من تلك التصريحات الصادمة لها ثم هتفت:
- للدرجة دي؟
أجابتها أختها:
- لما واحد يبقى مش أناني وبيفكر فيكي أكتر ما بيفكر في نفسه، وبيراعي مشاعرك في أقل حاجة، بيتهرب من صحابه عشان يخرج معايا مش العكس، ومش بيحب يشوف واحدة غيرك أصلا، فاكر كل مناسبة، وهو كمان اللي بيفكرني بعيد ميلادي وعيد جوازنا مش أنا، ويصر إننا نحتفل بيه، مفاجآته ليا مش بتخلص، كل اللي شاغل باله إزاي يعمل حاجة تفرحني، باختصار مالي لي حياتي، ومخليها لي جنة والله.
أدارت رأسها لتنظر حيث زوجها، وفي وله شديد أضافت:
- دة بيساعدني كمان في شغلي، وبيرفض إني أصرف ع البيت من فلوسي، ولا على

نفسي حتى، تخيلي، بيقول لي إنتي وطلباتك مسؤوليتي أنا.
صمتت مرة أخرى وعادت لتتطلع إليها لترقب ردة فعلها قبل أن تتابع:
- نصيحة من حد مجرب وبيحبك وعايز مصلحتك، ما تتجوزيش اللي عنده كل حاجة، إتجوزي اللي إنتي بالنسبة له كل حاجة.
كانت ديما تتطلع إليها في اهتمام شديد وهي تستطرد:
- استفادت أنا إيه إذا كان هو عنده كل حاجة، بس المهم تضمني إنه حب مش مجرد إعجاب.
سألتها:
- إزاي؟
- اللي يصر عليكي، واللي يحارب ويتنازل عشانك.
اخترقت تلك العبارة أذنها بقوة لتجذب انتباهها، وتجعلها تحدق في وجه شقيقتها في ذهول، فقد حلت لها المسألة وأراحتها أخيرًا من حيرتها ومعاناتها التي تعانيها منذ مدة.
تابعت شقيقتها حديثها ولكن لم تكن ديما تستمع إليها، فقد سافرت بذهنها بعيدًا،
سافرت حيث حبيبها ومعشوقها الأول والأخير،
إلى أمير.
نعم هو وحده من يستحق أن يحمل هذا اللقب،
أدركت تلك اللحظة كم ظلمته وجارت على حق نفسها وحقه،
كم ألمته وألمت مشاعرها أيضًا حين كبتتها ولم تطلق لها العنان،
حين كذبت على نفسها وقالت أنها لا تحبه وهي تحبه،
بل تعشقه حتى النخاع،
حتى وإن لم تكن تعشقه، هي يجب عليها أن تعشقه،
هو من أفضل من رأتهم في حياتها،
هو من سيقدرها ويحترمها ويراعي مشاعرها،
هو من سيحزن فقط لحزنها ويفرح فقط لفرحها،

هو من ستسعد معه وكفى،
نعم هو وليس أحد سواه من بحث عنه قلبها وأراده دومًا.
قامت لتحادث سما لتخبرها بالقرار الذي اتخذته وبأنها لن تحيا سوى بجانبه، وأنها أخيرًا قد ألقت خلف ظهرها كل تلك المخاوف التي فرضها المجتمع دون أي مبرر، فقط لأنه مجتمع يميل إلى التمييز والتقليل من شأن الآخرين، لأن ذلك التقليل يوهم الطرف الآخر بالعلو ورفعة الشأن، وتوارث المجتمع ذلك السلوك وتناسى السبب حتى أصبح يمارسه بديهيًا ودون وعي منه أو قصد.

***

كان القرار متأخرًا فقد كان اليوم هو الموافق ليوم خطبة سما من أمير، ومع ذلك أقنعت سما ديما أن تأتي، وقررت أن تفاجئ كلاهما وتعلن الاحتفال بخطبتهما على أن تنسحب هي، كما رأت من قبل في أحد الأفلام التي تشاهدها.
في الموعد المحدد للخطوبة والتي تقام بمنزل سما، وبينما كان أمير يتلقى التهاني وقع بصره على ديما وهي تدلف إلى المنزل، فتسمر مكانه مشدوهًا لبرهة من الزمن وتسارعت ضربات قلبه وهو يتطلع إليها، قبل أن يتغلب على انفعاله ويذهب ليحييها ظنًا منه أنها قد أتت لتهنئته.
نجح في أن يتماسك وهو يمد يده ليصافحها ثم قال:
- إزيك عامله إية؟ عقبالك.
- أنا مش جايه عشان أبارك.
اتسعت عيناه في استغراب فتابعت وهي تنقل بصرها بينه وسما التي ظهرت في تلك اللحظة:
- أنا جاية عشانك.
فغر فاه في دهشة وقال:
- عشاني أنا؟
- أه.
في تلك اللحظة تحركت سما ناحيتهما وهي ترفع يدها لتشير للجميع بالصمت، ثم تقول بصوت مرتفع وبأسلوب مسرحي صرف وهي تشير للثنائي الواقف

بمنتصف البهو:
- عندي ليكوا مفاجأة النهاردة يا جماعة، أحب اقدم لكوا العروسة الحقيقية ديما، هي اللي أمير هيخطبها النهاردة مش أنا، ودة كان مقلب وكلكوا شربتوه.
قام الجميع بالتصفيق وتعالت أصواتهم بالصياح والتشجيع فتابعت:
- إمسكوا إيد بعض وروحوا اقعدوا في الكوشه.
رفعت ديما يدها لتمسك بيد أمير إلا أنه أفلت يده منها بعصبية واضحة، ثم أشار لهم بالصمت قبل أن يقول:
- خلاص خلصتوا.
ثم التفت إلى سما وهتف بانفعال:
- خلصتي الفيلم الهندي بتاعك، والمفروض إنكو حطيتوني قدام الأمر الواقع وهفرح بقى وكدة.
بدا وكأنما قد تفاجأت سما وديما بردة فعله قبل أن تغمغم سما:
- في إيه دي ديما حبيبتك، دي المفاجأة اللي قلت لك عليها.
هز أمير رأسه يمنة ويسرة في أسف وقال بنفس الانفعال:
- مفاجأة وحشة للأسف، وأنا ما بحبهاش، دة كان وهم.
شعرت ديما بغصة ومرارة في حلقها من ذلك التصرف، ولم تستطع أن تتحمل أكثر من ذلك، فأسرعت تغادر المنزل شبه باكية.
ساد الصمت والتوتر أرجاء المكان، وبدا على أمير وكأنه قد شعر بالندم من ذلك التصرف وإحراجه لها بهذا الشكل وهو يتابعها ببصره في أسف شديد، فهو لا يستطيع أن ينكر أنه لا يزال يحبها، وأن مكانتها في قلبه لم ولن تتغير البتة.
أمسكت سما بيده وسحبته إلى غرفة خاوية، وأغلقت الباب خلفهما ثم قالت:
- تقدر تحلف إنك مش بتحبها؟
قال في عند وإصرار:
- مش هحلف، بس أنا مش عايز حد تاني غيرك، إنتي مش عايزاني بقى دي مشكلتك.
- أنت لو مش بتحبها ما كنتش انفعلت كدة ولا إتاثرت بالموقف، ما ينفعش

نتجوز وإنت في قلبك واحدة تانية، أنت بتحبها هي، وبقالك فترة بتحارب عشانها، وإتعذبت ياما، وأول ما جاتلك بدل ما تمسك فيها تعمل اللي أنت عملته دة، بتضحك على نفسك ولا بتضحك على مين؟

غمغم في حنق:

- أنا إتهانت منها وكرامتي إتبهدلت.

- حساسية الموقف من ناحيتك هي اللي خلتك تعتبر اللي حصلك منها إهانة، والحقيقة غير كدة، وبعدين ما أنت قلت إنك مستعد تخسر أي حاجة وتكسبها، رجعت في كلامك ليه، ثم هو يعني اللي عملته ده هيمنع حاجة حصلت في الماضي، فيبقي كرامتك إتبهدلت وما إتجوزتهاش ولا تبقي إتبهدلت وإتجوزتها، وع العموم أنت أحرجتها كمان أهو وجرحت كرامتها، تبقوا خالصين، إفتحوا صفحة جديدة، وسامحها وهي أكيد هتسامحك، وأنا هكلمها لك وأخدلك معاد بكره، يلا بقى بطل عناد.

أخذ يقلب عباراتها في رأسه قبل أن تتابع هي:

- ماتتجوزنيش عشان عجبك فيا حاجة، أو عشان عارف إني بحبك ومش عايزني أتالم، إتجوز حد بتحب كل حاجة فيه بتحب عقله وشكله وكلامه وصوته وسكوته وضحكته، ساعتها بس هتعيش سعيد.

بدا وكأنه قد اقتنع بكلامها، فهدأ ثم أشار إليها برأسه وقال:

- طب وانتي؟

قالت:

- مايرضينيش أعيش سعيدة وأشوفك مش سعيد معايا، دي لوحدها هتضيع سعادتي، فطالما كدة كدة مش هبقى سعيدة فخلاص مش هتفرق.

رفع رأسه لينظر ناحية باب الغرفة ثم نظر إليها وقال:

- طب وهتقولي إيه للناس اللي برة.

- هيحصل ايه يعني؟

- مش هامك كلام الناس؟

- أنا يا سيدي بحب كلام الناس مالكش دعوة، وبعدين دول كلهم تبعك أنا

ماليش أهل الحمد لله.
التمعت عيناها مع أخر حروف كلماتها، فتطلع إليها في إشفاق وضمها إلى صدره، ثم قبل رأسها وقال:
- والله إحنا اللي مالناش أهل يربونا ويعلمونا نتصرف زيك كدة.
صمت بعدها ثم قال:
- أنا مش عايز نبقى صحاب تاني، عايز نبقى في خانة الأهل وتعبرينا من هنا ورايح أهلك، وإحنا يشرفنا تكوني في وسطينا، بجد والله مش مجاملة.
مسحت تلك الدمعة التي انحدرت على وجنتها وهي تومئ برأسها إيجابًا، فقام بالربت على كتفها في حنان بالغ.

***

لم يستطع أمير كبت لهفته وترقبه للموعد الذي ضربته سما له للقاء حلم عمره، فكان ينظر إلى ساعته كثيرًا ويستحث عقاربها على الدوران.
رغم أن موعد اللقاء كان في الثالثة، وهي الآن تتجاوز الثانية عشرة بدقائق معدودة، إلا أنه من لهفته نهض ليتهيأ للقاء، ويرتدي ملابسه استعدادًا لهذا الموعد، ولم يكتف بذلك بل ذهب إلى المكان المرتقب وقد تبقى ساعتان على موعدهم.
طاقة الحب العظيمة في داخله والمشاعر الهائلة التي يكنها لديما، بالإضافة لشوقه إليها هما ما دفعوه لذلك، ولا عجب فالحب يصنع أكثر من ذلك كما رأينا من قبل.

***

في ذلك الكازينو المطل على النيل جلس أمير على إحدى الطاولات، وقام بتشغيل هاتفه ليستمع لإحدي الأغنيات التي تحكي ما بداخله بدقة شديدة، وكانت بعنوان "قبل المعاد".

قبل المعاد أهو بساعتين
رايح أقابل حلم السنين

قلقان وخايف وقلبي بيدق
مش عارف هقدر أنطق ولا لأ
دة أنا لما أفكر بس فيه
وأفتكر كلامه ولمسة إيديه
بعيش في أجمل لحظات حياتي
طب لما أشوفه هيحصل إيه
دة أنا ممكن أموت، وقبل ما أموت يجرالي حاجة
ولو حتى هعيش، عقلي هيطير لو قاللي حاجة
مرت الدقائق بطيئة بطء السلحفاة، وعندما شارفت الساعتان على الانقضاء ظهرت ديما أخيرًا في الأفق.
هبط قلبه عند قدميه وتسارعت نبضاته، وهو ينهض من مجلسه بحركة غريزية، وظل يراقبها وهي تقترب منه رويدًا رويدًا حتى أصبحت أمامه تمامًا.
تطلع إليها بعين مليئة بالحنان والدفء.
وتطلعت إليه بعينين ملأهما الهيام والشجن.
والتمعت تلك الأعين في فرح وسعادة.
وعلي عكس المتوقع لم ينطق أحدهما بحرف، وكأنما بينهما سابق اتفاق على ذلك الصمت.
كانت أعينهم تحكي ما عجزت عنه الألسن، فأمير كان غير مصدق لما يحدث أمامه، وما آل إليه الأمر أخيرًا، وأخذ يستعرض شريط الأحداث في ذهنه، وما مر به من بداية قصته معها حتى اللحظة التي تقف فيها أمامه الآن، قبل أن يرسم على وجهه ملامح عجيبة هي مزيج من الفرحة والرغبة في البكاء، ملامح لا يستطيع أحد تفسيرها، من لا يعلم قصته يعتقد أنه يهم بالبكاء، ومن يعلمها يعتقد أنها فرحة من لا يصدق نفسه.
أما ديما فقد ألجمت رؤيته لسانها عن النطق هي الأخرى، وهي تراه تلك المرة بمنظور وزاوية مختلفين عن السابق، فقد كانت لأول مرة ترى روعته وحسنه وبهائه، ذلك لأنها تتطلع إليه بعين قلبها وعين القلب ترى ما لا تراه عين الرأس،

ترى بشكل أشمل وأعم وأصدق.
التمعت عيناها أكثر عندما تذكرت أنها كانت ستفقد بغبائها كل هذا الحب، وكل هذا الحنان وكل هذا الدفء.
استلم أمير وجهها براحتيه، ثم مسح بإبهامه تلك الدموع التي لم تستطع ديما مقاومتها وهطلت أنهارًا، قبل أن يخفضها لتتلاقى أيديهم في شوق ولهفة وحنان جارف.
أمسكت ديما بيديه وضغطت عليهما في قوة، وكأنما تريد تعويض ما فاتها، وهمت لتقول شيئًا إلا أنه وضع سبابته على فمها ليمنعها من التحدث، والاكتفاء بكلام العيون لأنها هي الأصدق دومًا، ويستحيل معها حدوث سوء الفهم أو النفاق أو الذلات التي تصيب اللسان.
كان هاتفه لا يزال يعمل، وصوت المطرب الشجي يخترق ذلك السكون ليصف تلك الحالة من الصمت، رغبة في الاستمتاع بتلك اللحظات قائلًا:
سيبني أتاملك،
وأتأمل ملامحك وبراءة عينيك
وبلاش تبين ضحكتك،
دة لإني هموت من حبي فيك
أه ممكن أموت، وقبل ما أموت يجرالي حاجة
ولو حتى هعيش، عقلي هيطير لو قاللي حاجة
ابتسم أمير.
وابتسمت ديما.
وابتسمت لهما الحياة.
ضمها أمير إلى صدره قليلًا، أما هي فلم تستطع كبح تلك الدموع الحارة التي انسالت على وجنتيها مرة أخرى، وهي تلصق رأسها بصدره، قبل أن يبعدها ويحيط كتفيها بذراعه ليلتفتا وينصرفان.
أبت الشمس إلا أن تبارك ذلك اللقاء وتكمل الصورة الرومانسية، فمالت إلى المغيب في غير موعدها، لتستقر في الخلفية ويبدو الثنائي حينها ويكأنهما ظلان،

وقد أخذا يبتعدان شيئًا فشيئًا وقلباهما لا يحملان سوى السعادة.
والراحة.
والاطمئنان.
وكلاهما تداعيات لكلمة واحدة.
اسمها الحب.

((تمت بحمد الله وتوفيقه))

في حكم المستحيل

"كان في حالة يرثى لها بحق وموقف لا يحسد عليه ولا يشعر به إلا من مر بمثل ظروفه، وراوده خاطر بترك العمل الذي يعتقد أنه سبب رئيسي في تذكره لديما، كلما نظر إلى المكان الذي كانت تتواجد به فيزيد ذلك من آلامه كمن يتكئ على جرح أصابه، وأحال ذلك إلى موضع التنفيذ ولكنه تراجع في اللحظات الأخيرة.
خواطر غريبة بدأت تراوده، فقد أخذ يتساءل في داخله لماذا يكون الحب الذي هو أسمى وأطهر وأرقى المعاني والمشاعر الإنسانية سبيلًا إلى العذاب والآلام، حين تحب شخصًا لا يشعر بك أو لا يكن لك في المقابل أية مشاعر، وهي لا تلام على ذلك فلا أحد يستطيع التحكم بقلبه وإجباره على أن يحب شخصًا أو لا يحبه، وإلا فسيكون من الأولى به إثناء قلبه عن حبها ليستريح من ذلك الهم الجاثم على صدره.
سأل نفسه سؤالًا عجيبًا، لماذا نحزن عند فقدان الحبيب طالما أن الهدف هو تلك الحالة التي يُحدثها الحب وليس الشخص عينه، ولم التمسك بالشخص طالما من الممكن حدوث تلك الحالة مع شخص آخر.
تذكر أن الحب لا يخضع دائمًا لأي منطق ومن يقع فيه تجده رهين للا منطق بل ولا عقل أيضًا، فتجد الشخص المهاب الوقور أسيرًا للتهور وللأفكار والتصرفات غير المحسوبة بل المجنونة أيضًا، والشخص الشرس تجده حملًا وديعًا، وتجد الشخص الكئيب مبتسمًا مقبلًا على الحياة، بل تجد الشخص غير السوي أسيرًا للمشاعر الإيجابية من صفاء السريرة والتسامح والطيبة.
باختصار نستطيع أن نقول أينما لا يوجد منطق فثم الحب.
غريب هذا الحب.
وغريبة تلك الحياة.
هكذا أنهى أمير تساؤلاته حين لم يجد تعليلًا لتلك التساؤلات، قبل أن ينتبه إلى غرابة تلك الأسئلة ويتعجب من طرحه لها ثم ينفض عن ذهنه كل تلك الخواطر".

فصلة

للنشر و التوزيع

Fasla Publishing & Distribution

تواصل معنا :

01067000701

E-mail -: Fasla .Pub@Gmail .com

Facebook .Com/Fasla .Pub